المنتدى

مجلّة فكريّة ثقافيّة يصدرها مرّة كل شهرين
منتدى الفكر العربيّ

العدد (٢٣٠-٢٣١) المجلّد الحادي والعشرون (٥+٦)
أيلول / سبتمبر - تشرين الثّاني / نوفمبر ٢٠٠٦

عدد ممتاز مزدوج

٢٣٠
و
٢٣١

في هذا العـدد

ملفّ خاصّ

فلسطين ... فلسطين

العـراق ... العـراق

لبنـان ... لبنـان

Al Muntada

المنتدى

A Biomonthly Cultural Magazine

Published by the Arab Thought Forum (ATF)

Amman - Jordan

مجلة فكرية ثقافية يُصدرها مرة كل شهرين

منتدى الفكر العربي

عمّان - الأردن

إرشادات عامّة لكُتّاب المجلّة

- يشترط أن لا يزيد طول المادة المقدمة للنشر على عشر صفحات من القطع الكبير، وأن تكون مطبوعة على الحاسوب (الكمبيوتر).
- يُرجى موافاتنا بالقرص (الديسك) أو إرسال المادة بالبريد الإلكتروني.
- يُشترط أن تكون المادة غير منشورة أو مقدمة للنشر الى أية جهة أخرى.
- يُرجى من الكتّاب ذكر عناوينهم، بما في ذلك رقم الهاتف والبريد الإلكتروني والناسوخ (الفاكس).
- يُقلّل عددُ الهوامش والمصادر والمراجع بقدر الإمكان.
- يُرجى العناية بالأسلوب وبمستوى اللغة عنايةً خاصّة.
- تحتفظ هيئة التحرير بحقها في إجراء التعديلات المناسبة على الموضوع المقدّم إن رأت ذلك ضرورياً.
- تعتذر الهيئة عن عدم إعادة الموضوعات التي لا تقبل للنشر إلى أصحابها.

Arab Thought Forum

P.O.Box : 925418

Amman - 11190 Jordan

Tel : (+962-6) 5333261/5333617

Fax : (+962-6) 5331197

منتدى الفكر العربيّ

ص ب : ٩٢٥٤١٨

عمّان ١١١٩٠ - الأردنّ

تلفون : ٥٣٣٣٢٦١ / ٥٣٣٣٦١٧ (٦-٩٦٢+)

ناسوخ (فاكس) : ٥٣٣١١٩٧ (٦-٩٦٢+)

E-mail: mai@atf.org.jo

URL: www.atf.org.jo

سعر النسخة : أربعة دنانير (ستّة دولارات أمريكيّة)

منتدى الفكر العربي

الرئيس والراعي
سموّ الأمير الحسن بن طلال
President & Patron
HRH Prince
El Hassan bin Talal

الأمين العام
Secretary General
وسام شوكت الزهاوي
Wissam Shawkat Al-Zahawie

منظمة عربيّة فكريّة غير حكوميّة تأسست عام ١٩٨١ في أعقاب مؤتمر القمّة العربيّ الحادي عشر بمبادرة من المفكّرين وصانعي القرار العرب، وفي مقدمتهم سموّ الأمير الحسن بن طلال، رئيس المنتدى؛ تسعى إلى بحث الحالة الراهنة في الوطن العربيّ وتشخيصها، وإلى استشراف مستقبله، وصياغة الحلول العمليّة والخيارات الممكنة، عن طريق توفير منبر حُرّ للحوار المفضي إلى بلورة فكر عربيّ مُعاصر نحو قضايا الوحدة، والتنمية، والأمن القومي، والتحرر، والتقدم. وقد اتخذ المنتدى عمّان مقراً لأمانته العامة.

يهدف منتدى الفكر العربيّ إلى:

١- الإسهام في تكوين الفكر العربيّ المعاصر، وتطويره، ونشره، وترسيخ الوعي والاهتمام به، لا سيما ما يتصل منه بقضايا الوطن العربيّ الأساسية، والمهمات القومية المشتركة، في إطار ربط وثيق بين الأصالة والمعاصرة.
٢- دراسة العلاقات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية في الوطن العربيّ، وتدارسها مع مجموعات الدول الأخرى، لا سيما الدول الإسلامية والدول النامية، بهدف تعزيز الحوار وتنشيط التعاون، بما يخدم المصالح المتبادلة.
٣- الإسهام في تكوين نظرة عربيّة علمية نحو مشكلات التنمية التي تعالجها المنتديات والمؤسسات الدولية، بما يحقق إسهاماً فعالاً في صياغة النظام العالمي، ويضع العلاقات الدولية على أسس عادلة ومتكافئة، ويخدم التكامل الاقتصادي.
٤- بناء الجسور بين قادة الفكر وصانعي القرار في الوطن العربيّ، بما يخدم التعاون بينهم في رسم السياسات العامة، وتأمين المشاركة الشعبية في تنفيذها.
٥- العناية بالدراسات المستقبلية المتعلقة بشؤون أقطار الوطن العربي وعلاقاتها الدولية.

ويعمل المنتدى على تحقيق أهدافه عن طريق:

١- عقد الحوارات العربيّة العربيّة: وتتناول هذه الحوارات مناقشة أهم الموضوعات التي تهم العالم العربيّ. ويشارك فيها أعضاء المنتدى؛ إضافة إلى نخبة من الخبراء والأكاديميين.
٢- عقد الحوارات العربيّة الدولية: ويتكون فيها الطرف العربيّ من أعضاء المنتدى وخبراء وأكاديميين عرب؛ ويمثل الطرف المقابل إحدى الهيئات أو المعاهد أو المراكز من مختلف الدول والتجمّعات العالمية.
٣- القيام بالبحوث والدراسات الإستراتيجية: وتشمل الدراسات العلمية لفرق بحثية متخصصة حول القضايا الكبرى التي تواجه العرب حاضراً ومستقبلاً.
٤- المطبوعات: إضافة إلى سلسلة المطبوعات الخاصة التي توثق كل نشاط من الأنشطة المذكورة أعلاه (الحوارات العربيّة، والحوارات العالمية، والبحوث الاستراتيجية)، يقوم المنتدى بإصدار مجلة تصدر مرة كل شهرين بعنوان المنتدى باللغة العربيّة، ومجلة فصلية إلكترونية باللغة الإنجليزية تصدر كل ثلاثة أشهر، بهدف تعريف الأفراد والمؤسسات بخلاصة الحوارات والندوات والمؤتمرات التي يعقدها المنتدى؛ إضافة إلى نشر مقالات وترجمات تهمّ المثقف والمواطن العربيّ.

ويعتمد المنتدى في تمويله على رسوم الأعضاء العاملين والمؤازرين (مؤسّسات)، وتبرعات الأعضاء والأصدقاء ومساهماتهم؛ إضافة إلى ريع وقفيته المتواضعة.

عضوية المنتدى:

١- عضوية عاملة: تضم نخبة من الشخصيات العربيّة المتميزة، التي تؤمن بالمنتدى وبالأهداف التي أنشئ من أجلها.
٢- عُضوية مؤازرة: تضم مجموعة من أبرز المؤسسات والمجالس العربيّة المتفتحة التي تؤمن إداراتها بالعمل وبالفكر العربيّ المشترك.
٣- عُضوية الشرف: يمنحها مجلس الأمناء للأفراد والمفكرين من غير الأعضاء العاملين، الذين قدّموا مآثر ومساهمات جلّى، في مختلف الميادين، على المستويين العربيّ والدولي.



صفحة ٢٢



المنتدى

مجلّة فكريّة ثقافيّة يُصدرها مرّة كل شهريْن

منتدى الفكر العربيّ

المجلّد الحادي والعشرون (٥ + ٦)
أيلول/ سبتمبر- تشرين الثّاني/ نوفمبر ٢٠٠٦

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٣/١٣/ د)

المحتـــويـــات

العدد (٢٣٠+٢٣١) المجلّد الحادي والعشرون (٥ + ٦) - أيلول/ سبتمبر- تشرين الثّاني/ نوفمبر ٢٠٠٦



صفحة
٤٩



كلمة أولى

أ.د. هُمام غَصيب
رئيس التحرير

عددٌ مزدوجٌ آخرُ رُغم أُنوفِنا! لكنّنا نعوّضُ القارِيء الكريم - كعادتِنا - بغزارةِ المادّة وتنوّعِها. وعددُنا هذا هو الأخيرُ في سنتِنا الفضيّة. معنى ذلك أنّهُ يحتوي على حَصادِ السّنة. وبقيّةُ المحتويات تتحدّثُ عن نفْسِها.

مجلّتُنا الورقيّةُ هذه تُمثّلُ واجهةَ منتدانا؛ مثلُها مثلُ موقعِنا على الإنترنت الذي لا بُدّ من تحديثِه وتطويرِه على الدّوام حتّى لا يَذْبُلَ ويذْوي. ومن نشاطنا البارز في الفضاء الإلكترونيّ ما نختارُهُ من مقالاتٍ للتّعميم. وهي الفكرةُ التي جاء بها كاتبُ هذه السّطور. فهو يختارُ المادّةَ بعنايةٍ من بين عشراتِ المقالات التي يطّلعُ عليها يوميًا؛ ثمّ يُحوّلُها إلى المسؤولة عن موقعِنا الإلكترونيّ لتعميمِها على أعضاء المنتدى وأصدقائه.

وهذه مناسبةٌ كي أتمنّى للمسؤولةِ السّابقة، السّيدة رويدة الشّرع الخطيب - التي غادرتْنا لأسبابٍ عائليّة - كلّ هناء؛ ولخليفتِها، الآنسة دينا محمّد المبيضين، كلّ نجاح.

وإلى اللّقاء في اجتماعاتِ الدّوحة بإذنِه تعالى. ■

جولــة العــدد

العدد (٢٣٠+٢٣١) المجلّد الحادي والعشرون (٥ + ٦) - أيلول/ سبتمبر- تشرين الثّاني/ نوفمبر ٢٠٠٦

«نشرة» المنتدى قبل عشرين عامًا

(غلاف العدد الثامن)*

المنتدى

نشرة شهرية تصدر عن منتدى الفكر العربي

العدد الثامن، أيار/مايو ١٩٨٦

المحتويات

منتدى الفكر العربي

الرئيس: سمو الأمير حسن بن طلال

الأمين العام: الدكتور سعد الدين ابراهيم

المحرر: الدكتور فهد الفانك

ARAB THOUGHT FORUM

Chairman: H.R.H. Crown Prince Hassan

Secretary General: Dr. Saad Eddin Ibrahim

Editor in Chief: Dr. Fahd Fanek

ص.ب ٩٢٥٤١٨ تلفون ٦٧٨٧٠٧ تلكس ٢٣٦٤٩ عمان / الأردن

P.O. Box 925418, Tel. 678707/8 Tlx. 23649 ATF 80 Amman - Jordan

* أنظر أيضًا ص (٢١٤) من هذا العدد من **المنتدى**.

ملفّ خاصّ

فلسطين ... فلسطين

* الشأن الفلسطيني: أفكار وطروحات
* دعوا صوت الاعتدال يتكلم

العراق ... العراق

* في الشّأن العراقيّ: العبث المدّمر
* العراق وتحدّيات المستقبل
* وثيقة مكة حول الشأن العراقي
* جاؤونا بليل
* صرخة جيل يحتضر

لبنان ... لبنان

* إلى لبنان، معقل النقاء والشموخ
* مصلحة لبنان بين المنطق والتهويش
* المشهد اللبنانيّ الرّاهن

خمس افتتاحيّات

الحسن بن طلال

-١-

الشأن الفلسطيني: أفكار وطروحات*

تشهد اللحظة الراهنة في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي مسلسلاً متصاعداً من العنف يبدو بلا نهاية. فأي قطوف تلك التي يمكن جنيها في هذه الظروف الحالكة؟ ولصالح من؟

اسمحوا لي بأن أقدم هنا بعض الأفكار والطروحات على سبيل التأمل والمراجعة. فنحن أحوج ما نكون إلى إعادة التوازن، وإلى الدبلوماسية الهادئة الراشدة. أما العنف فلن يزيد الأمور إلا تعقيداً وقتامة.

الفكرة الأولى:

يحفل تاريخ القضية الفلسطينية بالقرارات الأحادية الجانب التي تشكل عقبة كأداء أمام أي انفراج حقيقي. وإذ يصف الرئيس الأمريكي بوش عملية إعادة توطين المهاجرين اليهود الأحادية الجانب بأنها جريئة في إطار عملية السلام، فإن رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت ينعت الرئيس الفلسطيني محمود عباس بالعجز. كذلك يقول أولمرت إنه لا يستطيع أن ينتظر أكثر من نهاية السنة الحالية كي يأخذ خطوات أخرى تتضمن إنهاء عملية بناء الجدار العنصري العازل، وتوحيد منطقة القدس الكبرى والمستعمرات (المستوطنات) ذات الصلة في الضواحي؛ وبذلك يتم منع دخول فلسطينيي الضفة الغربية.

أذكّر أنه منذ عام ١٩٧٢ إلى ٢٠٠٣ استعملت الولايات المتحدة حق النقض (الفيتو) ١٥ مرة لمنع اتخاذ قرارات ضد إسرائيل. أضف إلى ذلك تجاهل إسرائيل تطبيق القرارات التي صدرت، ومنها على سبيل المثال القرار ٢٤٢. أفلم يحن الأوان للالتزام بالقوانين والنواميس الدولية، وعدم اللجوء إلى القرارات الأحادية الجانب التي لن تكون إلا مؤقتة ولن يدوم مفعولها طويلاً؟

أتساءل – مع من يتساءل – أين صوت الأمة الإسلامية؟ هل يسوّغ تجاهل إسرائيل للقرارات الدولية استمرار هذا الصمت الصارخ؟ أليس هذا

* نُشرت في جريدة الحياة اللّندنيّة بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٧، العدد (١٥٧٩٩)؛ ص٩.

العنف الذي نراه بأزياء وأشكال شتى من المغرب إلى أندونيسيا إن هو إلا تعبير المقموعين المصمّتين؟ ألا يتطلب ذلك مساءلة مستفيضة فيما بيننا نحن العرب والمسلمين؟

الفكرة الثانية:

أستذكر هنا ما قاله وزير الخارجية الإسرائيلي الأسبق أبا إيبان عن مفهوم البينيلوكس، بالنسبة لإسرائيل وفلسطين والأردن، الذي يتضمن مفهوم الاستقلال المتكافل في إطار اتحاد اقتصادي أوسع. إن خطة أولمرت ستنهي مفهوم "حل الدولتين"، وسترسم الحدود النهائية لدولة إسرائيل بصورة أحادية الجانب. وهذه الخطة ستدفن مفهوم البينيلوكس.

لعل مفهوم الاستقلال المتكافل لم يعط حقه من النقاش والتفكير. فلا شك أن العمل نحو تحقيق وحدة عضوية اقتصادية سيكون في مصلحة جميع الأطراف المعنية، سواء تم تبني خيار "حل الدولتين" أم لا. أحلم زائف هذا أم ممكن؟

الفكرة الثالثة:

هنالك قضايا قانونية لا بد من أخذها بالحسبان. فلم لا توظف حجج قانونية دامغة لصالح الشعب الفلسطيني؟

خذوا مثلاً دور الأردن في الشأن الفلسطيني. أقول هذا ونحن على أبواب الذكرى الخامسة والخمسين لاستشهاد المغفور له الجد المؤسس، عبدالله الأول بن الحسين، على عتبات المسجد الأقصى. كذلك ذكرى وفاة الملك طلال الأول، أبي الدستور الأردني.

أذكّر بما نصت عليه المادة الأولى من الدستور الأردني المنشور في الجريدة الرسمية رقم (١٠٩٣) تاريخ ١٩٥٢/١/٨: إن "المملكة الأردنية الهاشمية دولة عربية مستقلة ذات سيادة، ملكها لا يتجزأ ولا ينزل عن شيء منه...".

كما أذكّر ثانيًا بمقررات المؤتمرات الفلسطينية، التي مهدت لـِ "ضم" الضفة الغربية للمملكة الأردنية الهاشمية؛ وبالتحديد مقررات مؤتمر أريحا في ١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨، التي نصت على الآتي: "يعتبر المؤتمر فلسطين وحدة لا تتجزأ؛ وكل حل يتنافى مع ذلك لا يعتبر حلاً نهائيًا".

وكان من أهم التطورات التي طرأت بعد حرب ١٩٤٨ توحيد الضفتين ضمن إطار المملكة الأردنية الهاشمية. وقد نصت المادة الثانية في قرار مجلس الأمة الأردني الصادر بتاريخ ٢٤نيسان/إبريل ١٩٥٠ على "تأكيد المحافظة على كامل الحقوق العربية في فلسطين، والدفاع عن تلك الحقوق بكل الوسائل المشروعة وبملء الحق، وعدم المساس بالتسوية النهائية لقضيتها العادلة في نطاق الأماني القومية والتعاون العربي والعدالة الدولية".

كذلك نصت مقررات اللجنة السياسية التي أقرها مجلس جامعة الدول العربية واعتمدها في ١٢ حزيران/يونيو ١٩٥٠ على "أن الدول العربية قد أعلنت استمساكها بعروبة فلسطين واستقلالها وسلامة إقليمها تحقيقًا لرغبات سكانها الشرعيين، ورفضت كل حل يقوم على أساس تجزئتها؛ وأن المملكة الأردنية الهاشمية تعلن أن ضم الجزء الفلسطيني إليها إنما **هو إجراء اقتضته الضرورات العملية، وأنها تحتفظ بهذا الجزء وديعة تحت يدها على أن يكون تابعًا للتسوية النهائية لقضية فلسطين... وعلى أن تقبل في شأنه ما تقرره**

دول الجامعة الأخرى . . . ".

لذلك فإن "ضم" الضفة الغربية للمملكة الأردنية الهاشمية كان مؤقتًا ومشروطًا ومقيدًا وليس نهائيًا. ومن ثم فإن "الضم" لم يمنح المملكة الأردنية الهاشمية (حق التملك) لأراضي الضفة الغربية؛ بل منحها حق "السلطة السياسية" لإدارتها وحكمها "كوديعة تحت يدها"، تابعة للتسوية النهائية لقضية فلسطين.

من هذا المنطلق قامت الأردن بالتفاوض مع إسرائيل **بدون إجحاف للشعب الفلسطيني وأرضه وحقوقه**، خصوصًا حق الحياة وحق العيش الكريم. وكما هو معروف، فإن هذه تكاد تكون الكلمات نفسها التي لا تخلو منها وثيقة أو اتفاقية أو معاهدة في الشأن الفلسطيني منذ وعد بلفور! أقول: قامت الأردن بذلك، كونها دولة ذات سيادة تتفاوض مع دولة أخرى ذات سيادة. فالضفة الغربية تم احتلالها وهي تحت السيادة الأردنية. والقول إن الأردن يتخلى عن السيادة لهذه الأراضي هو فجوة قانونية تعترف بالاحتلال الإسرائيلي؛ وهو أمر غير قابل للتفكير فيه.

ليست هذه دعوة إلى مطالبة الأردن بالضفة الغربية. لكن هنالك القضايا الدائمة التي لا بد أن يستمر التفاوض في شأنها بين الأردن وإسرائيل؛ وأهمها مسألة اللاجئين. كما تقع على عاتق الأردن مسؤولية التصدي لسؤال الانتخابات الحرة والنزيهة التي يتم فيها دعوة كل الأردنيين من أصول فلسطينية إلى الانضمام – وليس الاندماج – في الأردن. ويترتب على هذا إنهاء مشكلة الوطن البديل؛ أي النظام البديل. فيمكننا أن نتوجه إلى إخوتنا الفلسطينيين قائلين: لقد وجدتم مكانًا آمنًا في الأردن وساهمتم فيه. لكننا – في الوقت نفسه – ندعم بقوة آمالكم في الحصول على حق العودة الذي لا يزال حلمًا؛ والأردن ليس وطنًا بديلاً عن فلسطين. ونقول للإسرائيليين: "إذا أطلقتم على الأردن اسم الوطن البديل، فأنتم – إذًا – الوطن ما قبل التاريخي."

الفكرة الرابعة:

أكرر ما سبق أن قلته غير مرة عن أهمية السلطة المعنوية للأماكن المقدسة: القدس وبيت لحم والناصرة والخليل. فنحن لا نستطيع أن نتجاهل دور الأماكن المقدسة هناك في تنظيم الفئات الاجتماعية المختلفة، وتأثير ذلك على التطورات السياسية. بكلمة أخرى، فإنه ليس بمقدور أي سلطة سياسية إلا أن تعترف بحاجتها إلى القيادات الدينية في تلك المدن المقدسة لتكون وسيطة بينها وبين المواطنين. من هنا، فإنني أدعو – كما دعوت سابقًا – إلى تشكيل مجلس ديني مؤلف من ممثلين عن الديانات الإبراهيمية الثلاث لإيجاد صيغة توافقية تمكّن السياسيين من التوصل إلى حل عادل لقضية القضايا: القدس، مدينة السلام.

إنها مجرد أفكار وطروحات لإعادة الجميع إلى مائدة المفاوضات، وإلى الحوار الهادئ البناء؛ بدلاً من هذا العنف اللاإنساني. ■

في الشّأن العراقيّ: العبث المدمّر*

الحسن بن طلال

"ليس كل ما يعلم يقال، وليس كل ما يقال قد حضر أهله، وليس كل ما حضر أهله قد حضر أوانه" (الإمام علي كرم الله وجهه).

يا عراق! يا أطفال العراق! يا أهلنا: سنة وشيعة! سامحونا! لا أستطيع التعبير عما يختلج في نفسي من مشاعر الألم والمرارة إزاء ما يجري على ساحتكم.

هل بقي للكلام دور، ولو كان من جوامع الكلم؟ ماذا سنجني من الصرخات والنداءات؟ هل فات الأوان للعقلانية والحكمة؟ إلى أي درك نزلنا في عراقنا؟ مئات الأرواح تحصد كل شهر؛ وحتى الأمن بمعناه البدائي مفقود تماماً. شحّ المياه؛ انقطاع الكهرباء؛ القتل العشوائي؛ القتل المقصود الذي يستهدف أفضل من على قمة هرم الإنتاج؛ أعني العلماء والأكاديميين ومن كان في ركبهم. أليس ما يحدث تطهيراً عرقياً بأسوأ معانيه؟ أليست هي حرباً أهلية متعددة الأطراف؟ أو بداية لحرب أهلية لا تبقي ولا تذر؟ عشرات الآلاف من المهجّرين من منطقة إلى أخرى داخل العراق يهيمون على وجوههم دون مأوى ثابت أو سبل العيش الكريم. ومن المعروف أن نسبة المهجّرين إلى القتلى في مثل هذه الحالات من التطهير العرقي تقارب ١٠٠ إلى ١! فالهجرة الداخلية آفة من آفات هذا العصر؛ إذ إن المهجّرين لا يخضعون للحماية القانونية بما يحفظ حقوقهم، ولا يحصلون على أدنى ما يحتاجون إليه من دعم اقتصادي.

تشير الإحصاءات المتوافرة هنا وهناك، بما في ذلك مواقع إلكترونية** عدة لها صدقيّتها وجديّتها، إلى الكلفة البشرية المتفاقمة في العراق. أضف إلى ذلك الكلفة المتصاعدة في الإنفاق، خصوصًا من الجانب الأمريكي. تصوروا ماذا كان بالإمكان أن نفعل بهذه الأموال الطائلة في مجالات الوقاية الصحية والتنمية الإنسانية والمشروعات الخيرية والغيرية ومحاربة الفقر والأوبئة والمخدرات، إلى ما هنالك!

هل وصلنا إلى نقطة اليأس، إذًا؟ نقطة الإفلاس الأخلاقي والاستراتيجي؟ لن يكون ذلك ما دام المجال مفتوحًا للأفكار المبدعة غير التقليدية. مثل هذه الأفكار لا بد أن تطال جميع الأطراف

• نُشرتْ [بعنوان "العبث المدمّر"] في جريدة **الصّباح الجديد** العراقيّة بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٢٤.

•• أنظر مثلاً الموقع الآتي: *http://www.ips-dc.org/iraq/costofwar/htm*

المعنية: الأطراف العراقية، ودول الجوار، والولايات المتحدة الأمريكية قبل الجميع. والهدف ليس الكلام فوق الكلام والحوار لأجل الحوار؛ وإنما وضع الحلول العملية، ولو خطوة خطوة وجزئيات فوق جزئيات. أما الافتراض الضمني في كل ذلك، الافتراض الذي أرجو أن يكون صحيحًا، فهو أن العراق الموحّد الآمن المستقر يصب في مصلحة الجميع.

لقد وجّه المشاركون في اجتماع المائدة المستديرة لسيرورة هلسنكي حول العولمة والديمقراطية، الذي انعقد مؤخرًا في عمان برعاية نادي روما، رسالة عاجلة إلى قمة الثمانية تتمحور حول العنف المتصاعد في الشرق الأوسط. وتضمنت هذه الرسالة أفكارًا حول الصراع الفلسطيني الإسرائيلي الذي اتسع نطاقه ليغدو صراعًا بين إسرائيل والإسلاميين. كما ناشد المؤتمرون قمة الثمانية النظر في وضع إطار متعدد الأطراف يتم من خلاله العمل على معالجة القضايا المتصلة بهذا الصراع ضمن سياق إقليمي واسع، بحيث يفسح هذا الإطار مجالاً أكبر لمشاركة الأطراف السياسية الفاعلة والمجتمع المدني وممثلي كل الانتماءات الدينية من آسيا. كذلك طالبت الرسالة مجموعة الثمانية بإزالة كل الحواجز التي تعيق الحوار الذي يستند أساسًا إلى احتواء كل الأطراف ويقف ضد التهميش والإقصاء والعزلة. فالغاية هي العمل على ترسيخ العدالة وبعث الأمل في النفوس بمستقبل أفضل.

إن اللجوء إلى العنف واتخاذه سبيلاً للتعبير عن رفض الإنسان للواقع المرير الذي يعيشه لا يكون إلا حين يفقد الإنسان القدرة على التحمل للظلم والمساس بالكرامة واستباحة كل ما هو عزيز ومقدس.

أقول: لا خيار أمامنا عربيًا وإسلاميًا إلا السعي الدؤوب لترتيب بيتنا من خلال اللجوء إلى آلية الحوار المجدي فيما بيننا، التي تعمل على التقريب بين الأطراف المتناحرة، وتنادي بالتخلي عن تكفير الآخر ونبذ العنف. أشير هنا إلى الجهود الحثيثة لمنظمة المؤتمر العالمي للأديان من أجل السلام لتحقيق المصالحة والوفاق بين الأطراف العراقية الدينية المختلفة، وتأكيد دور القادة الدينيين من مختلف الانتماءات المذهبية في إعادة البناء الاجتماعي للعراق ومواجهة موجة العنف التي تجتاحه.

ففي الثلاث سنوات الأخيرة، عُقد عدد من اللقاءات في الأردن وبريطانيا واليابان ضمت ممثلي الديانات والطوائف الدينية المختلفة، وخرجت بتوصيات من بينها: تعميق أهمية تعزيز الحوار بين مختلف القادة الدينيين والإثنيين، وتشجيع ثقافة "الاعتراف بالآخر"، وتأكيد حرمة الأماكن المقدسة. فلا بد أن يسمو الدين على السياسات والأجندات السياسية الضيقة.

إننا نناشد السلطات الدينية والسلطات الرسمية أن تواصل مساعيها الحميدة في سبيل حماية الأماكن المقدسة وصوْن حرية العبادة. أفلا يمكن أن تشكل هيئة من كبار العلماء تحول دون تكفير الآخر وتساهم في التقريب بين المذاهب، على غرار ما فعل ويفعل الأزهر الشريف بكل ثبات ومثابرة، وبكل حكمة وحصافة؟ ورحم الله شيوخنا الأجلاء محمد مصطفى المراغي، ومصطفى عبد الرازق، وعبد المجيد سليم، ومحمود شلتوت، الذين وقفوا حياتهم على التقريب وفلسفة التقريب. كما ننوه بدور العلماء الأفاضل من الشيعة: آية الله العظمى الإمام السيد حسين الطباطبائي البروجردي، والسيد محمد حسين آل كاشف الغطاء، والسيد شرف الدين الموسوي، والسيد محمد جواد مغنية وغيرهم، ممن جعلوا من قضية التقريب بين المذاهب محورًا أساسيًا لنشاطهم.

إن التركيز على توحيد جهود علمائنا - سنة وشيعة -

أمر في غاية الأهمية: عربيًا وإسلاميًا. فنحن في هذه الأوقات العصيبة أحوج ما نكون إلى الوفاق والاتفاق، والتوحّد والائتلاف. أليس بالمقدور توظيف المسجد وخطب الجمعة لهذه الغاية النبيلة؟ أي العودة إلى دوْر المسجد كمدرسة تنويرية، وليس فقط كمكان لإقامة الطقوس والشعائر الدينية.

أشيد، في هذا الصدد، بالدور الذي ينهض به سماحة آية الله العظمى ابن العم الكريم السيّد علي الحسيني السّيستاني، وبدعوته إلى نبذ العنف الطائفي، وإلى ضرورة التآزر والتعاضد لمواجهة المحنة الكبرى التي يعيشها إخوتنا في العراق.

وإنني أؤيد من صميم القلب دعوات الخير للوفاق والاتفاق. أذكّر في هذا الصدد بالدعوة النبيلة التي وجهها الشيخ محمود الصميدعي إلى أهل المذاهب "للتصالح والتفاهم" في مكة المكرمة لمواجهة "المخططات الكبيرة" التي تمزق العراق وتدفعه إلى الحرب الأهلية. ومثلها دعوته إلى علماء السنة في الخارج "للعودة ولقاء المرجعيات الشيعية للتوصل إلى عهد شرف للتعايش بين المسلمين" في العراق. ويمكن تعميم هذه الدعوة إلى سائر الطوائف والملل والنحل.

إن ترسيخ الطائفية من شأنه أن يمثل نهاية أليمة لمشروع الدولة الوطنية العراقية. وسيقود العراق إلى الدخول في مرحلة من الاقتتال الطائفي والفوضى التي ربما تنتهي - لا سمح الله - بتفتيته وتقطيع أوصاله. فلا بد من تكوين قاعدة صُلبة للتعايش والاعتراف المتبادل بين طوائف العراق وقومياته الرئيسية؛ ما يضع الأسس لنوع من الديمقراطية التوافقية.

يجب العمل دون كلل أو ملل على المصالحة بين كل - أقول كل - الأطراف العراقية. فالأمر هنا لا بد أن يشمل المواطنين، وألاّ يكون وقفًا على الجهات الرسمية. ويمكن الاستعانة بروح المبادرات السابقة التي كان لكاتب هذه السطور بعض المساهمة في أكثر من واحدة منها: في يوغوسلافيا السابقة وكوسوفو وأندونيسيا وجنوب إفريقيا.

نستطيع أن نبدأ بميثاق اجتماعي ملزم للجميع، يحثّ على المشاركة الإنسانية وعلى العدالة الاجتماعية؛ خصوصًا التوزيع العادل لعائدات النفط العراقي (ما يناهز ٣٥ مليار دولار سنويًا). والتوزيع العادل لثروات الوطن كان دومًا المطلب والمقصد في مثل هذه النزاعات في كل زمان ومكان (إيرلندا مثلاً).

أشير هنا إلى أهمية إعادة أموال الشعب العراقي في الخارج ("أموال صدام") المقدرة بعشرة مليارات دولار، التي هي حاليًا تحت تصرف رئيس البنك الدولي. فمثل هذه الأموال يمكن توظيفها لإعادة إعمار المساجد والحسينيّات والكنائس، ولتفعيل المؤسسات الخيرية، من بين عشرات الأولويات التي يمكن تحديدها.

على صعيد آخر، لا بد أن أؤكد الدور الذي يمكن أن تنهض به دول الجوار في الأزمة العراقية. فبمقدور هذه الدول منذ البداية أن تتفق على ميثاق شرف إقليمي تتعهد بموجبه بالحفاظ على وحدة أرض العراق وعدم المساس بأمنه. ويمكن التوصل إلى مثل هذا الميثاق عن طريق الدبلوماسية الدولية الهادئة، وعقد سلسلة من "الخلوات" بعيدًا عن الأضواء. بعد ذلك يأتي دور مؤتمر أمن وتعاون إقليمي. فمن الواضح أن دول الجوار لم تستنفد ولو جزءًا يسيرًا مما تستطيع أن تبذل من أجل العراق؛ مع أن زلزال العراق لن يترك أيًا من هذه الدول دون أن يزعزعها في قليل أو كثير.

ومما يساعد دول الجوار على المشاركة في التصدي للتحديات التي يفرضها الوضع في العراق التغلب على

صعوبة الاتصال بالمجتمع المدني في العراق، وكأن هنالك كابحًا على أي اتصال عربي عربي مباشر! فإذا أردنا التحدث عن الآثار، لا بد من الاتصال عن طريق منظمات أمريكية؛ والتربية والصحة عن طريق جمهورية التشيك؛ وحتى الحوار في إطار حضاري عن طريق منظمات هولندية! وعلى ذلك قس!

أقول للمرة الثانية والثالثة والعاشرة: إن أمتنا لا بد أن تنهض لحل مشكلاتها بنفسها. من ذلك تأسيس صندوق عالمي فوق قطري للزكاة، تديره كفاءات الأمة أينما كانت. مثل هذا الصندوق يمكن توظيفه في الشؤون الإنسانية من دون أية غاية عقائدية. بالنفَس نفْسه، يمكن تأليف فيالق سلام تستطيع أن تساهم في حملات الإغاثة وقت الحاجة، ووضع الاعتبارات الإنسانية وإعادة الإعمار فوق أي اعتبارات سياسية.

كذلك الحثّ على تعزيز مفهوم المواطنة، الذي يعني "علاقة مشاركة إبداعية في خلق فضاء وطني جديد متجدد، يتجنب العزلة والانكفاء، ويحارب التعصب والشوفينية، ويؤسس للاندماج والوحدة على قاعدة الديمقراطية واحترام التعدد وصيانة حقوق الإنسان." [عن كتاب **الحرية والإصلاح في العالم العربي** لمحمد محفوظ، ص ١١٩.]

كل المقترحات المقدمة حتى الآن لحل الأزمة العراقية يشوبها الخلل. وأرى أن المشكلة تكمن في "حرفية" المقارنة بنماذج تحتل موقعًا بارزًا في الذاكرة الأمريكية، وحتى في أعمق أعماق النفس الأمريكية. فالعراق ليس فيتنام أو البوسنة أو أفغانستان. من هنا، قد يكون الأفضل أن يفكر في حزمة من المبادرات غير المكتملة التي تعبّ من التجارب الناجحة السابقة، بحيث تطوّر خطوة خطوة.

أقول لأصحاب القرار لدى كل الأطراف: بالله عليكم إلجأوا إلى الوساطة الدولية أو التعاون الإقليمي، أو إلى فكرة الفيدرالية مع الحكومة المركزية القوية، أو إلى التفاوض فيما بين العراقيين أنفسهم وبينهم وبين الآخرين، أو إلى أي مزيج من هذه الأفكار وسواها، كي تنقذوا العراق والمنطقة؛ فقد أصبحنا فعلاً حطب جهنم، وأدركَنا الوقت تمامًا.

نعم! نحن حطب جهنم في هذا القوس المتأزم الذي يبدأ من المغرب العربي المطل على شاطىء الأطلسي غربًا إلى آسيا الوسطى شرقًا؛ شاملاً السودان والكونغو والقرن الإفريقي والجزيرة العربية وشبه القارة الهندية؛ إضافة إلى "إهليلج الطاقة"، الذي يضم منطقتي الخليج وبحر قزوين، المكوّن من ٧٠ من احتياطي العالم من النفط و٤٠ من احتياطي الغاز الطبيعي.

إنه الإقليم الذي تتراكم فيه بذور الأزمات، ويكفي لشرارة أن تجعله أتونًا متقدًا. بالأمس القريب واليوم وغدًا: الشأن الفلسطيني؛ الشأن العراقي؛ الشأن اللبناني؛ الشأن السوداني، والحبل على الجرار. إذًا، ونحن نعالج كل شأن على حدة لا بد أن تكون الصورة البانورامية في ذهننا.

أقول لعراقنا الأشم: انهض يا عراق؛ يا أرض الرافدين! لملم جراحك وشدّ أزرك! فأنت مهد الحضارة ونبضها. كنت دومًا موئل الشرف والأصالة والإرادة. ولن ننسى عطاءك في الروحانيات والماديات. ■

إلى لبنان، معقل النقاء والشموخ*

الحسن بن طلال

لبنان، على صغر مساحته، هو الأعظم بشعبه وحضارته وروحه. إنه يقف اليوم شامخاً صامداً يدافع باستماتة عن وجوده وقيمه، وهو يواجه آلة تدمير عاتية تستهدف مقوماته وشعبه. فهل كان ضحايا مجزرة قانا مقاتلين في حزب الله؟! أم كانوا مجرد نساء وأطفال بعضهم من المعاقين؟ أم أنه عدوان وحشي يخلو من الحس الإنساني بكل معانيه؟

هل يكمن الحل لهذه الأزمة في تسوية واسعة عاجلة في منطقة الشرق الأوسط؟ طالما أن إسرائيل تنوي الحفاظ على احتلالها للأراضي الفلسطينية، فإن مثل هذه التسوية تبدو مستحيلة. فمنذ عام ١٩٧٤ استعملت الولايات المتحدة حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن ٤٠ مرة من أجل منع تمرير قرارات إما تدافع عن حقوق الفلسطينيين أو تندد بممارسات الحكومة الإسرائيلية. وكان آخرها يوم ١٣ تموز (يوليو) ٢٠٠٦، حيث تم إيقاف صدور قرار يندد بالعدوان الإسرائيلي على غزة، وإطلاق صواريخ وخطف جندي إسرائيلي من قبل مجموعات المقاومة الفلسطينية.

أقول: لا يمكن للقوة وحدها أن تحسم الصراعات الدائرة في الشرق الأوسط. إن تباطؤ المجتمع الدولي في الاستجابة لما يجري على الساحة اللبنانية، وعدم قيامه بالتحرك الفوري لإيقاف العدوان أدى إلى تدهور الأوضاع ووقوع المجازر الوحشية. وتقع مسؤولية أخذ الإجراءات الفعالة والكفيلة بإنهاء العدوان على عاتق المجتمع الدولي الذي يجب ألا يقف فقط عند الشجب والتنديد بهذه الأعمال الإجرامية والخروقات للقانون الإنساني الدولي.

لذلك فإنني أدعو إلى عقد مؤتمر دولي عاجل يناقش هذه القضايا من منظور فوق قطري إقليمي متكافل، يتم فيه التصدي لمسائل، مثل الأمن الصلب (العسكري) والأمن الناعم (الإنساني)، بمشاركة كل الأطراف المعنية على المستويين الدولي والإقليمي.

---

* نشرت في جريدة **الحياة** اللندنيّة بتاريخ ٢٠٠٦/٨/٥، العدد (١٥٨٢٨)؛ ص١٣.

يقول السيد روبرت مالي، مدير المجموعة الدولية للأزمات في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا: «إن الانتظار والأمل في أن يحقق العمل العسكري أهدافه المزعومة سيكون لهما عواقب وخيمة على الصعيد الإنساني. سيصبح من الصعب متابعة العملية السياسية عند توقف العمل العسكري». إن الحل السياسي لهذه الأزمة لا بد أن يكون من خلال تبني ميثاق استقرار إقليمي يتألف من اتفاقيات سياسية يتم بموجبها التصدي للمشكلات التي تواجه المنطقة: الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، والحروب في العراق وأفغانستان، والوضع الحالي في لبنان.

وتتضمن هذه الاتفاقيات الآتي: التوصل إلى وقف فوري لإطلاق النار بما يسمح للمساعدات الإنسانية بالوصول إلى المدنيين، وتبادل الأسرى، والانسحاب من مزارع شبعا المحتلة، والتحقيق الذي تشارك فيه أطراف متعددة في الجرائم التي ارتكبت بحق المدنيين والاعتداءات التي تمت على مراكز المراقبين التابعة للأمم المتحدة، وتفعيل حوار لبناني داخلي، ومشاركة الأطراف الإقليمية كافة في عملية الحوار، وإحياء عملية السلام في الشرق الأوسط.

لنأخذ بعين الاعتبار خطرًا آخر يحدق بمستقبل منطقتنا، ألا وهو زرع الحقد والمرارة في نفوس سكان المنطقة من عرب ومسلمين ومسيحيين ويهود. إن أجيالاً جديدة من الأطفال تنشأ وتكبر وهي تحمل مشاعر الكره للآخر والإنكار لإنسانيته. وقد شاهدنا على شاشات التلفاز صورًا لرسائل الكره التي خطت بأقلام الأطفال على القذائف.

لذلك فإنني أؤكد أهمية تفعيل الحوار بين مختلف الأطراف، ونبذ العنف والطائفية، والتركيز على كل ما من شأنه توطيد أركان الاستقرار في المنطقة، وذلك من خلال تحقيق العدالة الاجتماعية، والعمل على توفير سبل العيش الكريم للمواطنين، والعمل على تطبيق سياسة الاحتواء لا الإقصاء والتهميش. عندئذ يمكن الحديث عن بناء مجتمعات ديموقراطية مستقرة.

يجب ألا ننسى أن الديموقراطية ليست مفهومًا مستوردًا من الخارج، بل هي نابعة من تراثنا الحضاري ومتجذرة فيه. فعندما درس الفيلسوف أرسطو دساتير العالم القديم في عصره، كتب في مؤلفه «السياسة» قائلاً: «أما قرطاجنة فلم يقع فيها انقلاب قط لأنها ديموقراطية». إن لبنان أول ديموقراطية في العالم، وهو من علّم العالم الأبجدية والحضارة، واليونان، التي بنى عليها الغرب حضارته، مدينة بجلّ ما لديها للفينيقيين. أذكر من أبطالهم هنيبعل، حنّون، هانئ بن تيّم وفرفوريوس الصوري الذي ألّف كتاب إيساغوجي: المدخل إلى صناعة المنطق الفلسفي. كما كان له الفضل في جمع كتابات ومحاضرات أفلوطين في مؤلف عرف بالتاسوعات.

يا شعب لبنان الأبيّ، نحيي فيك الصمود والأمل وإرادة الحياة. فقد وقفت في وجه أقسى العتاة في الماضي، وبإمكانك الآن تجاوز هذه المحنة بالمقاومة الباسلة والتلاحم والالتفاف حول قيادتك، وتمسكك المستمر بالقيم التي أبدعتها طيلة تاريخك الحضاري. ■

مصلحة لبنان بين المنطق والتهويش*

الحسن بن طلال

لقد أصبحت قضيتنا الشرق الأوسط والحرب على الإرهاب متلازمتين. فالأحداث المروعة التي تشهدها المنطقة الآن تؤكد أن هذا الاختلاط في الأوراق لن يؤدي إلا إلى زعزعة الاستقرار، وإلى المزيد من العنف والتطرف وإراقة الدماء.

شنت هذه الحرب على لبنان تحت ذريعة أسر حزب الله لجنديين إسرائيليين. وكما نعرف، فإن إطلاق سراحهما لن يتم إلا من خلال عملية تبادل للأسرى. لكن الذي حصل هو هذا العدوان الذي نفذته حملة عسكرية شرسة كانت تعد للقيام بهذه العملية منذ أشهر. وتم تصوير هذه العملية للشعب الإسرائيلي والعالم على أنها تهدف إلى تحرير الجنديين الأسيرين.

وقد وقع الشيء نفسه قبل ذلك بأسبوعين في غزة عندما أسرت المقاومة الفلسطينية جندياً إسرائيلياً؛ الأمر الذي أعطى إسرائيل الذريعة التي تنشد من أجل تنفيذ عملية عسكرية واسعة تم الإعداد لها منذ فترة طويلة، وكانت غايتها تدمير الحكومة الفلسطينية وتقويض أي سلطة تملكها.

إن الهدف المعلن للعملية التي تنفذها إسرائيل في لبنان هو إبعاد حزب الله عن الحدود اللبنانية الإسرائيلية حتى لا يكون بوسعه أسر المزيد من الجنود الإسرائيليين، وكي لا يصبح بإمكانه استهداف المدن الإسرائيلية بالصواريخ.

وكذلك بالنسبة لغزة، فقد كان الهدف المعلن هو إيقاف إطلاق الفلسطينيين للصواريخ على المستعمرات الإسرائيلية، مثل أشكلون وسديروت.

لكن، هنالك أهداف أخرى لهذا العدوان على لبنان لا تتضمن فقط إطلاق سراح الجنديين. فهذا الشيء لن يتم تحقيقه بطرق عسكرية وإنما عن طريق المفاوضات، كما أسلفت. ما هو ممكن تحقيقه فعلاً بواسطة هذه الحملة العسكرية هو تدمير بضع آلاف من الصواريخ التي يمتلكها حزب الله، وفي الوقت نفسه، قيام الجيش الإسرائيلي بالرد الموجع على الضربات القاسية التي وجهت إليه بواسطة العمليات العسكرية التي قامت

* نُشرت في جريدة **الحياة** اللندنيّة بتاريخ ٢٠٠٦/٧/٢٢، العدد (١٥٨١٤)؛ ص ١١.

بها حماس في غزة وحزب الله في شمال إسرائيل.

كما تم طرح آراء أخرى للوقوف على أسباب هذا العدوان منها أنه يوجد تدخل إيراني في إقليم الشرق الأوسط من أجل دعم الموقف الإيراني في حواره مع الغرب بشأن قضية تخصيب اليورانيوم، والتخوف الذي يبديه الغرب من امتلاك إيران لقنبلة ذرية في المستقبل القريب أو البعيد. فينظر إلى ما يجري في لبنان على أنه رسالة توجهها إيران إلى الولايات المتحدة وإسرائيل مفادها أن لإيران نفوذاً قوياً في الشرق الأوسط يمكنها التعويل عليه لتحقيق أغراضها في أي وقت تشاء. كما هي الحال بالنسبة للشيعة في العراق، حيث بمقدور إيران استعمال هذه الورقة بالشكل الذي تريد وفي الوقت الذي تختار.

كذلك، تمت الإشارة إلى استمرار التأثير السوري في لبنان، على الرغم من خروج القوات السورية منه؛ وأن وقوف سورية مع إيران خلف حزب الله، وتحريكه في الوقت الذي تراه مناسباً، إنما يخدم بذلك استراتيجيتها ومصالحها في المنطقة.

وكان لتنظيم القاعدة نصيب في تحليل أسباب العدوان على لبنان، حيث تمت الإشارة إلى هذا التنظيم وإمكانية أن يكون له دور في هذا الوضع المتأزم، خصوصاً أنه يقف ضد التقارب بين الشيعة والسنة في العراق. وقد يوجه من خلال هذا التدخل رسالة مفادها أن هذا التنظيم لا يزال يمتلك القدرة على إثارة الزوابع في أي وقت أو مكان شاء.

مهما كانت الدوافع الحقيقية لهذه الحرب، فإن مصالح المجتمع الدولي لا تتفق مع المصالح الإسرائيلية في استمرارية هذه الحرب. فلبنان دولة مستقلة. وعندما قامت ثورة الأرز، بعد انسحاب القوات السورية، طالبت بالسيادة الوطنية للبنان كدولة ديمقراطية. وقد لا يعني ذلك الكثير بالنسبة لإسرائيل على الرغم مما يصرح به مسؤولوها - خلافاً لذلك - حول رغبتهم بتطبيق سياسة حسن الجوار. فبعد مرور ٥٨ عاماً على قيام دولة إسرائيل، لا نرى تطبيقاً لهذه السياسة فيما يتصل بالمطالب الأمنية والمطالب السياسية. وقد ترجح كفة المطالب الأمنية الآن في غياب الخطاب السياسي.

إن استمرار العدوان الإسرائيلي الغاشم على لبنان الحبيب يمثل تهديداً للتحالفات الدقيقة بين أطياف المجتمع اللبناني المتعددة والمتنوعة. ويجب الحرص على ألا تنزلق إلى هاوية الخلافات الطائفية والتمزق الذي استمر منذ ١٩٧٥ إلى ١٩٩٠. وقد ادعت إسرائيل أن الأحداث الأخيرة قد وحدت كلمة اللبنانيين وجمعت قواهم. لكن - من باب أولى - أن نؤكد تضامننا مع كل من يدعو إلى تماسك لبنان، وإلى وحدة اللبنانيين ورص صفوفهم وتكاتفهم في مواجهة هذا التحدي السافر لسيادة لبنان.

كما ستضر الفوضى الناجمة عن هذه الحرب بالمصالح الدولية والأمريكية على مستوى الإقليم إذا ما تحولت إسرائيل إلى أقلية مهيمنة وسط فسيفساء من الأقليات. فعلى سبيل المثال، إن المساس بالكيان الشيعي من خلال استهداف بعض القيادات الشيعية البارزة في حزب الله، وعلى رأسهم السيد حسن نصر الله، سيؤدي إلى تأجيج

مشاعر الغضب والانتقام لدى الشيعة في العراق وفي كل مكان. وهذا ما تنادي به الأصوات المتطرفة الإيرانية التي تدعو إلى المنازلة مع الولايات المتحدة. فلنوضح أولوياتنا: إن الرهان على تحالف الاستقرار في منطقتنا يكون من خلال الحفاظ على صدقية الاتحاد الوطني مع شعوب المنطقة: عراقياً وإيرانياً؛ عربياً وأعجمياً بدون استثناء. إننا نفتقر – أو نكاد – إلى ثقة شعوبنا واحترامها طالما أن التعامل مع الأزمة الحالية يتم من منطلق أمني وعسكري وبوليسي.

تطالب الحكومة الإسرائيلية حكومة لبنان بنزع سلاح حزب الله، وإبعاده من المنطقة الحدودية. وهو أمر من الواضح يستحيل حدوثه في وجود الحكومة اللبنانية الحالية، وفي ضوء التركيبة الدينية العرقية للمجتمع. إن أية صدمة مهما صغرت يمكن أن تزعزع أسس الدولة وتؤدي إلى فوضى عارمة، خصوصًا بعدما تم إخراج الجيش السوري من لبنان، وهو عنصر حافظ على بعض الاستقرار في لبنان لسنوات.

وفي حين تقوم إسرائيل بالإعلان عن تفكيرها إقليمياً وكأنها معنية بحل النزاع ضمن هذا النطاق، نجدها، في الوقت نفسه، تتصرف بصورة فردية وفق ما تراه مناسباً، وبدون الاتفاق مع الشركاء في الإقليم!

إن تغيير النظام في الشرق الأوسط إلى نظام أكثر استقرارًا يشكل هدفًا أساسيًا للإدارة الأمريكية الحالية. فهو هدف مشروع، إلا أن ما يجري على أرض الواقع هو خلاف ذلك. فقد نجحت – لحد الآن – في العمل على تقسيم العراق والتسبب في اندلاع حرب أهلية لا تزال في أطوارها الأولى. وقد يحدث الشيء نفسه في لبنان إذا لم يتم إيقاف العدوان الإسرائيلي الشرس في الوقت المناسب. كما قد تثير الضربات الموجهة إلى حزب الله الغضب ليس فقط في إيران، وإنما أيضًا لدى معظم الشيعة في العراق الذين تعتمد على دعمهم خطط بوش في إقامة نظام عراقي متعاطف مع الولايات المتحدة.

قصارى القول أن أهداف هذه الحرب التي تشنها إسرائيل غير واقعية، وستؤدي إلى نتائج لا يمكن توقعها. فعندما تزأر الأسلحة، يغيب العقل.

وقد يتطور النزاع العربي الإسرائيلي ليصبح نزاعاً يهودياً إسلامياً. فتتسع دائرة العنف والنزاع المسلح وغير المسلح لتشمل منطقة الشرق الأوسط الكبير، وتمتد إلى العالم أجمع. يجب أن ندرك هذا الخطر القادم ونتعامل معه بكل حكمة وحصافة.

إنني أدعو إلى عقد مؤتمر إقليمي حول السلام والأمن والتعاون لحل هذه الأزمة المتفاقمة. لن يكون الحل وحده في إرسال قوات دولية لوقف الحرب ومنع انتشار العنف. لا بد من وقف إطلاق النار والبدء بالمفاوضات تحت مظلة هيئة الأمم المتحدة بحيث يتوصل الطرفان إلى اتفاق يتم بموجبه إطلاق سراح الأسرى العرب من السجون الإسرائيلية، وإعادة الجنود الإسرائيليين المختطفين إلى ديارهم.

لا بد أن ننطلق من مبادئ الاحترام الكامل للسيادة، وحل الخلافات بالوسائل السلمية، والالتزام باحترام

حقوق الإنسان وحقوق اللاجئين والمهجرين والقانون الإنساني العالمي؛ وأن نطرح على بساط البحث قضايا، مثل حقوق الإنسان والحريات الأساسية للأفراد، وحقوق اللاجئين والمهجرين في العودة بسلام إلى بيوتهم والحصول على التعويضات المناسبة، والتعاون مع الجهات المعنية من أجل العثور على الأشخاص المفقودين، والالتزام من قبل الأطراف المعنية بالقرارات الدولية وتسهيل الجوانب المدنية المتعلقة بتقديم المساعدات الإنسانية وإعادة بناء الاقتصاد وإصدار تقارير موثقة عن أية تجاوزات في مجال حقوق الإنسان كي تقدم إلى الجهات والمنظمات المختصة.

إن الفشل في إيقاف الحرب الدائرة سيؤدي إلى تضاعف أعداد القتلى والجرحى والمهجرين والنازحين. وسندفع ثمنًا باهظًا جراء التطرف والفشل في التوصل إلى حل للأزمة. يجب أن نسرع ونجدّ في سبيل إعادة السلام والاستقرار إلى المنطقة قبل أن يفوت الأوان. أذكّر هنا بقول خافيير سولانا المتعلق باتفاقية ديتون للسلام، التي انتهت بموجبها حرب البلقان: إن هذه الاتفاقية قد أعادت السلام؛ لكن هذا السلام جاء متأخّرًا، وحمل في طياته تسويات مؤلمة.

يجب أن تنتصر الدبلوماسية على الحرب. إن تفاوض إسرائيل مع خصومها، والاعتراف بعدم وجود بديل لحل سلمي ينتهي بإقامة دولة فلسطينية حيوية، هما السبيلان الوحيدان من أجل أن تنعم إسرائيل بالأمن السياسي، ويعم الاستقرار منطقة الشرق الأوسط. ■

-٥-

دعوا صوْتَ الاعتدال يتكلّم*

الحســن بـن طــلال

كم من الأعمال العدوانية في منطقتنا قد جرى تبريرها بالزعم الكاذب بأن المصالح الغربية معرّضة للخطر؟ وتدّعي صيحات المعركة أن كل شيء مهدد بالخطر، وكل ضربة إنما هي دفاع أخير عن الحرية والاستقرار. غير أن المقدمات التي يستند إليها مثل هذا التفكير قد باتت واضحة للغاية. فالعرب والمسلمون من كل الأعراق والألوان لا يمكن الوثوق بهم. ويجب أن لا يُعاملوا بإنصاف؛ كما أن "القيم الليبرالية" التي تحمي الصالحين في كل من إسرائيل أو الولايات المتحدة ليست مُعدّة للدفاع عنّا أو حمايتنا. ويبدو أن حتى المعتدلين في المجتمعات العربية ينقصهم المَعْدِن الذي يمنحهم المساواة في ظل القانون الدولي. فنحن جميعًا نُعدّ برابرةً احتشدوا على البوابة، ويجب ترويعهم بالتهديد وإرغامهم على الخضوع الصامت.

لكن علينا أن نحمد الله لأن الاتجاه العربي المعتدل ما زال يناضل برزانة وهو صامد. وسيستمر الاعتدال في كفاحه من أجل قلوب الملايين من الناس الذين يرون في هذه الحرب على الإرهاب إساءة لحقائقهم الوجودية. لقد تناول **بواز غانور**، المفكر الاسرائيلي البارز، مسألة الإرهاب، وطالب بأن لا يكون هنالك "تحريم من دون تحديد"؛ إذ لابد أن يتم تعريف الإرهاب بشكل موضوعي، استناداً إلى قوانين ومبادىء دولية تتعلق بالسلوك المسموح به في الحروب التقليدية بين الأمم.

* نُشرت في جريدة **هآرتس** بتاريخ ٢٠٠٦/٨/١٤. ترجمتها عن الإنكليزيّة: دة. فاتن البستاني. راجعها: قلم التحرير.

إن جذور ذلك الغضب العربي وخيبة الأمل التي تسمح بإعطاء الشرعية للمتطرّفين لايمكن تجاهلها. فالإرهاب "تكتيك" ناشيء عن انحراف في خطوط التمثيل: إذا لم نفسح المجال للكثرة بالتكلّم، فإن القلّة العنيفة ستصرخ كي يُسمعَ صوتها. **ربما يكون من الصعب على معظم الإسرائيليين الاعتراف بأن الشيعة في جنوب لبنان إنما جرى تسييسهم وعسكرتهم فقط كردّة فعل على العدوان الإسرائيلي المتكرر. إن على مواطني إسرائيل وسائر دول الشرق الأوسط أن يكونوا صادقين مع أنفسهم بخصوص آثار عقود من الزمن ارتكبت فيها الإساءة للناس والقانون الدولي**؛ إلاّ إذا كنتم تعتقدون أننا نحن العرب نمتلك جينات إرهاب فريدة من نوعها كانت السبب في إشعال ردود أفعالنا في العقود الأخيرة. وإذا كان الحال كذلك، فارموا الحطب على اللهب، ودعوا منطقتنا تحترق إلى أن يتسنّى لكم قتل آخر عربي في جواركم، أو نفيه.

إنّ مؤسّسي إسرائيل والولايات المتحدة حاربوا ما عَدُّوه احتلالاً. وقد احتفل الإسرائيليون مؤخرًا بذكرى تفجير فندق الملك داود في عام ١٩٤٦، باعتباره نقطة تحوّل في إنهاء الانتداب البريطاني. لكن ذلك بالتأكيد يجب أن يُعرَّف بأنه عمل إرهابي. وقد وصف تصريح لمجلس العموم البريطاني في حينه ذلك الهجوم، الذي قُتل فيه ٩٢ شخصًا، بأنه "من أكثر الجرائم جبنًا وخسّة في التاريخ المسجّل".

لقد كان من لعنة القدر على اللبنانيّين أن يكرروا تلك العبارة في وصف الهجمات على بلدهم. لكن في عالمنا اليوم ينتمي الصلاح إلى المنتصر وحده! فإذا كانت هذه هي طريقة النظام العالمي الجديد، ولم يعد للقانون الدولي مكان، فإن على المتطرّفين من جميع الأطراف أن يقاتلوا حتى الموت! والسؤال هنا هو: ما الفائدة التي يمكن جَنْيُها في مثل هذا السيناريو؟ والجواب: إن شرور الألم والمعاناة والإفلاس الأخلاقي هي كل الغنائم التي يحصل عليها مقاتلو عالمنا الجديد.

إن الآثار المدمّرة للعقاب الجماعي للسكان المدنيين ستظل تشعر بها الأجيال القادمة. لقد جعلت "قوات الدفاع" الإسرائيلية المحتلة من الإرهاب حقيقة يومية لدى السكان المدنيين في فلسطين ولبنان؛ السكان الذين عاشوا وما زالوا يعيشون تحت ربقة احتلال غير شرعي. وبالنسبة للجانب الآخر لهذه الحرب العالمية على الإرهاب، فإن العنف في كثير من الأحيان هو مجرد شيء يقرأون عنه. إن تهديد الإرهاب قد أصبح صنمًا يعبده السياسيون ووسائل الإعلام، وهو يوفّر عذرًا هزيلاً للسياسات التي تجعل من

الإرهاب واقعًا يوميًا في حياة الملايين من الناس في الشرق الأوسط.

لا أحد يمكن أن يتجاهل الألم والمعاناة للشعب الإسرائيلي في الأسابيع الأخيرة؛ غير أن سياسات الانتقام والإساءة للأعراف الإنسانية بشكل غير متوازن لن تولّد إلا المزيد من العنف. إن الأردن بلد خاض حربيْن عالميتيْن إلى جانب الحلفاء. وقد عانيْنا من صدمات العدوان على مختلف الجبهات؛ كما تحمّلنا التهديدات والإرهاب، التي كان آخرها هجمات الزرقاوي الفظيعة على عمّان. **لذلك لا تتفضلوا علينا بتسميتنا حلفاء في الحرب ضد الإرهاب، ثم تتجاهلوا كلامنا حين نتساءل حول سياساتكم.**

إن السياسة التي تعتمدونها في هذه المنطقة هي نتاج تصوّرات خاطئة. فمنظورنا الإقليمي يجري تجاهله؛ في حين تزداد سيطرة المتطّرفين المتمكّنين كلّ الوقت. وعلينا أن لا ننخدع بالظن أنه بإمكان الاستراتيجيين السياسيين ابتكار شرق أوسط جديد يُفرض من أعلى إلى أسفل. إن تعزيز الديمقراطية التشاركية قد تقلّص بسبب الخوف من تمكين العرب والإسلاميين المعتدلين. كما أنّ أنظمةً داخل الإقليم وقوى خارجية تحاول خنق احتجاجات السكان الفزعين، التي يجب أن تُرفعَ عاليًا من خلال صناديق الاقتراع. لكن المعتدلين أيضًا أخذوا يصرخون الآن. فلا يمكن التحكّم في نشوء الحريات من علٍ؛ كما لا يمكن نسفها على صورة أشكال غربية لا تمثّل احتياجات أولئك الباحثين عن الحرية. ومع الازدياد المتصاعد في استقطاب الكره، يجب علينا أن نشعر بالامتنان لأنّ السخط لم يخنق احتجاج المعتدلين. ■

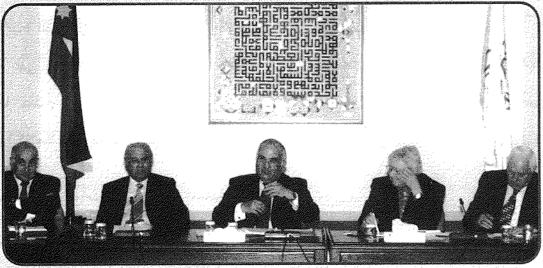
المشهد اللّبنانيّ الرّاهن*

عمّان: الأحد ٦ آب/ أغسطس ٢٠٠٦

رئيس الجلسة: الأمير الحسن بن طلال

أدار المناقشات: الشريف فواز شرف

المتحدّثون: أ. حسن أبو نعمة؛ د. طاهر كنعان؛ أ. عدنان أبو عودة؛ د. كامل أبو جابر



الشريف فواز شرف

أرحب بكم باسم منتدى الفكر العربي، ويسعدني أن أتشرف بتقديم صاحب السمو الملكي راعي المنتدى، الذي سيقوم بترؤس هذه الجلسة.

الأمير الحسن بن طلال

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أستأذنكم بداية في أن تقفوا معي جماعة لحظة صمت ولقراءة الفاتحة على شهدائنا في فلسطين وفي لبنان وفي العراق، وفي هذا الوطن المعذب، وفي هذه الأمة المناضلة... جزاكم الله خيرًا.

أود في بداية الحديث أن أقول إنني كنت عازماً على مثل هذا اللقاء قبل أيام، لكنني فوجئت للمرة الأولى بتمني أن أتجنب مثل هذا اللقاء لعدم وضوح الصورة

* من سلسلة اللقاءات الشهرية؛ عقد هذا اللقاء [رقم (٦/٢٠٠٦)] في مقر المنتدى بتاريخ ٦/٨/٢٠٠٦.

لدى القطاعات الرسمية في الوطن العربي. وهذا يؤكد مرة ثانية، وأوجه هذه الكلمة لكل مستمع، أهمية المسار الثاني الذي يوازي في أهميته المسار الأول في الحديث، خاصة عن الخط الوسطي والعقلاني الذي نزعم بأننا ننتمي إليه جميعاً. فلسنا في هذا اللقاء من المناضلين المسلحين، ولسنا في أي حال من الأحوال من الصهاينة المسيحيين الذين ظهروا في الآونة الأخيرة في الولايات المتحدة يتحدثون عن مجيء المخلص للقضاء على أعداء المسيحية، ليقابلهم من ينادي في بلاد فارس بمجيء المهدي ليخلص الإسلام من أعدائه. وأقول إنسانياً وواقعياً بعد كل هذا التخليص: ماذا يبقى لشراكتنا في إنسانيتنا الواحدة؟ وعلى أي حال، أرجو أن تكون هذه الملاحظة هي الأولى والأخيرة، ولم تعق عمل المنتدى لكنني أقول بصراحة إنني بصفتي، وكلي شرف، راعياً أميناً بإذن الله لسير عمل المنتدى، أحرص منذ ٢٥ عاماً على عدم تجاوز أية خطوط حمراء لا في سيرة انتفاضة فلسطين الأولى والثانية، ولا في سيرة الحرب العراقية، ولا الاجتياح للكويت. كنت وما زلت إلى جانب إخوتي وأخواتي أتحمل النقد من كل فج وصوب على أمل أن نستطيع أن نحتوي ونجتث من النفوس الغصة التي تكاد تقضي علينا، غصة القهر والعزلة التي تزداد وتقول لنا في كل مساء: ليتني أنام هذه الليلة ولا أستيقظ لأرى صباحاً أسود كما نراه في كل طالع شمس.

أما فيما يتعلق بيومياتنا، فإني أذهب إلى المحطة القريبة من باعة الشاورما في جبل عمان لأنني لم أدخل التلفزيون الأردني ولا محطة الإذاعة الأردنية، ولم أطلب خدمة التلفزيون الأردني في توجيه صوتي إلى خارج الوطن، لكن حسبي أن هنالك حساسية من ظهوري في مثل ذلك المكان أو في مثل تلك المحطة. وهذا يعزز قناعتي بأهمية المسار الثاني وموضوعيته. وأقول عبر العدسة، وهي ظروف صعبة حقيقية، لأن الغرفة ربما لا تساوي ربع هذا المكان، فهي شبه مظلمة، وأمامي كمرة، ولا أرى من يقابلني. واليوم قابلني عبر الأثير كل من نتنياهو والجنرال ماك جاكسون، قائد القوات البريطانية. وكان لنتنياهو أن يصف الدور الإسرائيلي بدور مشابه لدور تشرشل في مقاومة النازية في الحرب الكونية الثانية. وهذه النغمة تتجدد للمرة الثانية بوضوح لدي بعد أن اطلعت على صحيفة لاكروا الفرنسية المحسوبة على الكنيسة الكاثوليكية، التي تقول إن الخطر الأساسي على العرب المسيحيين ليس خطر استمرار الاحتلال الإسرائيلي للديار الفلسطينية ولفلسطين، والخطر الأساسي اليوم ليس العراق ولا أفغانستان؛ الخطر الأساسي لاستقرار المنطقة ولاستقرار العالم هو التهديد الإسلامي للهوية المسيحية! وأتوجه بالشكر من خلالكم للمجلس الكنسي للشرق الأوسط، وبالخصوص لرئيس أساقفة كركوك، الذي أجاب بالحرف الواحد: نعم هنالك خطر من أشكال التطرف، وبالخصوص من المدارس الجديدة التي لا تمت بصلة، بحسب معرفتنا كابراً عن كابر، إلى القيم الإسلامية. فالإسلام إيمان ومنظومة قيمية. أمّا التطرف فتغذيه أشكال من غياب للعدالة، أكانت اجتماعية أم سياسية أم اقتصادية. ونشهد لذلك بهجرة ٥٠ ألف مسيحي من العراق في الأشهر القليلة الماضية، إلى جانب التطهير العرقي لشمال العراق الذي تجاوز ٩٠ ألفاً منذ مطلع العام الحالي. لكنه يقول إن الخطر الكبير في هذه الفترة هو الارتباط ما بين المدارس المتطرفة سياسيًا في الولايات المتحدة

بالخصوص، التي تؤمن في يومنا هذا وفي جيلنا الحالي أن ترى سيولاً من الدم في سهل ماجدّو، والتي تؤمن بوجوب تغذية إسرائيل بالدم الصهيوني المسيحي دفاعاً عن ذلك الكيان، وهي تهدد المسيحية في الشرق، من الأرثوذوكسية الروسية إلى اليونانية إلى القبطية والأرمينية، وتفرق، كما نرى، بعض حركات التفرقة داخل الكنيسة الواحدة، ولست بحاجة لذكر الأمثلة هنا.

وفي المقابل أقول: كيف نستطيع عند الحديث عن فصل الدولة عن الدين، وهو طرح غربي كما نعلم، أن نقدم على التعامل مع هذه المقولة إلا بالدعوة لسمو القيم الدينية والإيمانية، ومنها بطبيعة الحال الإحسان والخدمة الاجتماعية الإنمائية لبني البشر. قد تكونون رأيتم قبل أيام مقالاً بقلمي في *Sunday Telegraph* بعنوان "سرقة الألف مليار دولار"؛ سرقة أثرياء العرب وحكوماتهم من شعوبهم منذ استقلال ما يسمى بنظام الدولة، أو النظام القطري. أضف إلى ذلك مبلغاً مماثلاً أنفق وينفق في هذه الأيام على شراء السلاح. لو حسبنا هذه المبالغ، وقد قام بعض المتخصصين بمثل هذه الحسابات، ووجدوا أنهم يستطيعون أن يضيفوا لدخل الفرد العربي ما يعادل من ٣٠٠ إلى ٥٠٠ دولار.

أقول: إن الخطر الأساسي هو خطر الضدية ودور المؤسسات الكبرى. وأعتقد أن أسباب الاشتباك بدأت في ١٢ تموز. ولاحظوا في ١٣ تموز مشاركة ممثلي حكومات كل من إسرائيل وجورجيا وأرمينيا وأذربيجان وتركيا في تدشين الجزء الأساسي من مشروع خط نفط باكو- تبليسي - جيهان لتصبح إسرائيل المكلفة بحماية المصالح الإسرائيلية والأمريكية؛ إذ إن جل هذه الدول صديقة للولايات المتحدة ولإسرائيل في شرق المتوسط. ومقابل ذلك لاحظوا الاهتمام الروسي بتجديد مرفأ طرطوس كميناء حربي، وإلى جانب ذلك توفير جميع الدفاعات الجوية لمنطقة قد تغطي جزءاً أساسياً من الأجواء السورية، وكل ذلك بإدارة روسية. وقلت ذلك في هذا الصباح على BBC، وذكّرت المستمعين بأن النسبة الكبرى من تلك المشاركة من الرساميل هي لـِ British Petroleum، الشركة البريطانية للنفط. ٣٩٪ من هذه المشاركة هي لـِ British Petroleum وشيفرون... إلى آخر القائمة.

اطلع البعض منكم على الخريطة المزعومة للشرق الأوسط الجديد، لكنني حقيقة لا أكيل أهمية كبرى لمثل هذه الخرائط، وأعتقد أنها بالونات تجريب. وأقول إن قضية الخطوط النفطية، ثم خط الغاز، تتجاوز الاتحاد الروسي وتتجاوز إيران، بمرور النفط والغاز من جيهان إلى عسقلان ومن عسقلان إلى إيلات وثم إلى شرق آسيا. والخط البديل هو الولايات المتحدة، والمؤسسات الأمريكية لها بدائل كثيرة. في حال صمود دولة الباكستان وعدم انشطار ما يسمى بلوشستان الحرة، على غرار كردستان الحرة، عن إيران وعن الباكستان، سيكون مرور الخطوط من آسيا الوسطى عبر بلوشستان إلى الهند. لاحظوا في الوقت الحاضر توقف الحوار السلمي السياسي ما بين الهند والباكستان، والطرد المتقابل للموظفين من كل من إسلام أباد ودلهي، ومطالبة دلهي بوجوب نزع السلاح عن منظمة "لاشقرطيبة" بحجة أن تلك المنظمة تقوم في الوقت الحاضر بأعمال تخريبية في الهند.

أقول بصفة عامة، إذاً، إن الحديث عن الشرق

الأوسط، وكما قلت أمام كل من السناتور بايدن والسناتور لوغَر قبل عامين عند الحديث عن الشرق الأوسط الكبير في الكونجرس، هو حديث عن رقعة تمتد من مراكش إلى بنغلادش، من الدار البيضاء إلى كلكوتا، أفقر منطقة في العالم وأكثفها سكاناً وأكثرها خطورة. أضف إلى ذلك ما وصل إلينا في الفترة الأخيرة من الصحف الإندونيسية والماليزية عن استعداد أعداد هائلة من الشباب والفتوة للانضمام إلى قوافل الانتحاريين ضد المصالح الأمريكية والإسرائيلية.

أقول إن الضدية قد تنتهي في مرحلة ما قبل ٣٠ آب، أي قبل تسليم الملف النووي الإيراني إلى مجلس الأمن، بالتسوية وقد لا تنتهي. وفي حال انتهائها قبل ٣٠ آب، سنخرج بصورة دولة عظمى إقليمية اسمها إسرائيل، ودولة عظمى إقليمية أخرى اسمها إيران.

الحمد لله الكراهية متبادلة بين العرب والأتراك بصفة عامة، وأنا لا أتحدث بلغة دبلوماسية هنا، وبيننا وبين الأكراد، على الرغم من مصاهرة أسرتي لكل من الأكراد والأتراك، بيننا وبين بلاد فارس إسفين عجمي عربي، ونحن العرب لسنا بحاجة لأعداء لأن الكراهية متبادلة بيننا جميعاً، وربما حتى داخل هذه القاعة، وأما الوسواس الخناس فحدث ولا حرج.

نموذج على طبيعة الأسئلة والأجوبة في هذا الصباح: سؤال: سمو الأمير، الأردن دولة حليفة لإسرائيل؟ الجواب: الدولة موقعة، كمصر، اتفاقية سلام مع إسرائيل، وهي توظف اتفاقية السلام هذه لتقديم أعتى أنواع الاحتجاج على ما يجري، ولتحريك الصف السياسي العالمي. أنا لست مطلعًا على ما يجري في هذه الأجواء من اتصالات حكومية ورسمية، لكن حسبي أن هذا الكلام، منطقياً، جار وراء الكواليس. سامحوني إذا اعتبرت هذا الكلام تجاوزاً للباقة المطلوبة في مثل هذه الأيام، حيث أن التزام الصمت أمر مطلوب، خاصة خلال تنفيذ لعبة الأمم على حساب الشعوب.

سؤال: ألا تعتقد أن استهداف إسرائيل من قبل الأغلبية المتطرفة من التيارات الوطنية والإسلامية آن الآوان لينتهي؟ جواب: إلى متى ستستمر إسرائيل بطرد واقتلاع الشعبين الفلسطيني واللبناني من بيوتهم وتعذيبهم إلى جانب تعذيب الشعب العراقي، إذ إن ٩٠٪ من أعمال المقاومة هي عراقية صميمية. فكيف يدعي من يقدم على مثل هذه الأعمال بأنه هو الضحية! سؤال: ألا ترى أن فعل الاتحاد الروسي والاتحاد السوفييتي قبل ذلك في محاولة السيطرة عسكرياً على الشيشان كانت محاولة فاشلة عسكرياً، بينما ما تقدم عليه إسرائيل اليوم يعكس براعة عسكرية في التصرف بطبيعة الحال، ولو كانت المنازلة بين إسرائيل ولبنان لانتهت الحرب بأيام؟ جواب: الوضع في الشيشان مختلف عن الوضع في لبنان، فهنالك ادعاء منذ أيام القياصرة بأن الشيشان جزء من الكيان الروسي، بينما لبنان دولة مستقلة ذات سيادة، وهذا العمل، أي محاولة السيطرة على الجوار ثم تسمية الجوار الآمن بالإرهاب، أمر مغاير للمنطق. وهكذا الأسئلة عبر مجموعة من المقابلات.

أقول إنني أحاول بوحدانية شديدة أن أعبر عما

يجول في الخاطر في هذه الأيام، ولا أريد أن أطيل أكثر من ذلك إلا بذكر طرفة وردت بالفرنسية. الطرفة بعنوان "الذبابة وفنجان القهوة". ذبابة وقعت في فنجان للقهوة، الإنجليزي أخرج القهوة مع الذبابة، الأمريكي طلب فنجاناً جديداً للقهوة، المكسيكي أخرج الذبابة وشرب القهوة، الصيني أكل الذبابة وأخرج القهوة، الفلسطيني تحت الحصار شرب القهوة وتأمل الذبابة، الإسرائيلي باع القهوة للأمريكي والذبابة للصيني واستصرخ العالم ليهب للدفاع عن أمن إسرائيل تحت خطر الذبابة، كما اتهم الفلسطيني في أنه أدخل الذبابة إلى القهوة، وأكد أن كلاً من حزب الله وسورية وإيران بصدد التهيئة لجيوش من الذباب لغزو إسرائيل. وصف هذا العمل بأنه انتهاك لحقوق الإنسان، وعمل ضد السامية، وإعادة للهلوكوست، وتمييز بين ركاب سفينة نوح. كما وجه الإسرائيلي الأمر إلى محمود عباس لمنع الذباب من الوقوع في فناجين القهوة، واستعاد مرة أخرى احتلال قطاع غزة، وقطع المياه والكهرباء، ودمر لبنان وقتل سكانها، واستخرج من الولايات المتحدة وعوداً ضخمة للتعويض العسكري والمعنوي عن التأثير الأخلاقي السلبي على الذوق الإسرائيلي في إدخال الذبابة إلى القهوة.

٦٨٪ من الأمريكان حتى يومنا هذا يعتقدون بأن المسألة ليست لصالح العرب، وأن إسرائيل هي المضطهدة.

يناشدني حفيد مهاتما غاندي بروفسور راجموهان غاندي أن أقوم بجولة الآن في الولايات المتحدة لتوضيح الحق العربي. لكنني لا أستطيع في مثل هذه الظروف أن أتحرك لأسباب وأسباب، وأرى أننا نعيش في فترة أقل ما يقال فيها إن أصدقاءنا يقدمون على قتلنا بمحبتهم لنا.

المتحدّث الأول:

الأستاذ حسن أبو نعمة

شكراً سيدي صاحب السمو. وكم كنت أتمنى لو أن حديثكم كان هو كل ما نبدأ وننتهي به، وأن يكون هذا اللقاء مخصصًا لمناقشة هذه الملاحظات القيمة والتحليل العميق الدقيق الذي تفضلتم به. لكن طالما هذا هو الترتيب، فأستأذنكم بتقديم هذه الملاحظات:

سيدي وسادتي وإخواني وأخواتي:

لم يبق الكثير مما لم يتناوله المعلقون والمحللون عن موضوع هذه الحرب التي تشنها إسرائيل على لبنان والتي تدخل الآن أسبوعها الرابع. لذلك، تحاشياً للتكرار، فسوف أحصر حديثي في أربع نقاط آمل أن تشكل محاور مناسبة للنقاش، وهي:

أولاً: الإطار اللبناني والإقليمي للأزمة.

ثانياً: قرار مجلس الأمن ١٥٥٩ وعلاقته بنشوء هذه الأزمة.

ثالثاً: سوء استخدام حق الدفاع عن النفس وسوء توصيفه.

وأخيراً استغلال الأزمة دولياً لغايات مغرضة وبعيدة.

أبدأ بما يجري في لبنان وأقول إنه لا يمكن معالجة ما يجري في لبنان بمعزل عن مجمل الصراع العربي الصهيوني، أي ما يجري في غزة أو العراق حالياً،

وما جرى بين إسرائيل ومحيطها على مدى عمر الصراع. كما إنه لا يمكن فهم إطار هذه الحرب بمعزل عن الحروب الإسرائيلية اللبنانية السابقة، فما هذه الحرب إلا فصل آخر من فصول الصراع العربي الإسرائيلي المستمرة. وهي أيضاً استمرار، وربما تكملة ونهاية، إن كانت الفصل الأخير لحروب لبنان مع إسرائيل. لذلك نخطىء إذا اعتقدنا أن سبب الحرب هو هجوم حزب الله على موقع إسرائيلي وخطف أو أسر جنديين إسرائيليين. إن أسباب الحرب قائمة، وكانت بانتظار الوقت المناسب أو الشرارة اللازمة. وقد نشرت صحيفة **سان فرانسيسكو كرونيكل** في ٢١ تموز/ يوليو أن خطة الحرب كانت جاهزة لدى إسرائيل قبل عام من وقوعها، تماما كما لم تكن زيارة شارون لساحة المسجد الأقصى سبب انطلاق الانتفاضة بل شرارتها. كذلك كان هجوم حزب الله في ١٢تموز/ يوليو الشرارة وليس السبب. هدف الحرب هو القضاء على حزب الله كمنظمة من منظمات المقاومة لأنه، مثل حماس، يشكل نتوءًا في الخريطة السياسية المطلوبة للشرق الأوسط التي يجري بناؤها.

ثانياً: موضوع قرار مجلس الأمن ١٥٥٩. كان هذا القرار هو التمهيد، كما كان الغطاء الشرعي، لتحقيق ذلك بدون الحرب لو أمكن. صدر القرار في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٤ وكان يشكل نقضاً واضحا لميثاق المنظمة الدولية ووصفة لمزيد من العنف. ففي الفقرة السابعة من الميثاق، ميثاق الأمم المتحدة، أقتبس: ليس في هذا الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما، وليس فيه ما يقتضي الأعضاء أن يعرضوا مثل هذه المسائل لأن تحل بحكم هذه الميثاق. هذا النص لا يحظر فقط تدخل الأمم المتحدة في الشؤون الداخلية، بل ليس فيه ما يقتضي الأعضاء أن يعرضوا قضاياهم الداخلية على المنظمة الدولية لحلها. وبالرغم من ذلك، وفي وجه معارضة لبنان الرسمي ومندوبه لدى الأمم المتحدة؛ طالب القرار بخروج جميع القوات الأجنبية المتبقية على أرض لبنان، وكان المقصود بذلك القوات السورية وليس القوات الإسرائيلية التي ما زالت موجودة في مزارع شبعا. ودعا القرار إلى حل المليشيات اللبنانية وغير اللبنانية ونزع سلاحها، وكان المقصود بذلك، في هذا الوقت إذ لم يبق إلا مليشيا واحدة، بالتحديد حزب الله، وأيد القرار بسط سيطرة الحكومة اللبنانية على جميع الأراضي اللبنانية، والمقصود بذلك أن يحل الجيش اللبناني محل قوات حزب الله في الجنوب.

ما شأن مجلس الأمن بكل هذه القضايا الداخلية الصرفة؟ الجواب بسيط: هذه هي المطالب الإسرائيلية التي قصد من القرار ١٥٥٩ تحقيقها، وهي ذاتها أهداف الحرب الحالية. إذًا، لم تعد المنظمة الدولية آلية لفض النزاعات، بل أصبحت أداة بيد الدول العظمى لتسخير القانون الدولي لتحقيق أهداف محددة للبعض على حساب البعض الآخر باستغلال موازين القوى، أي أصبحت الأمم المتحدة هي الخطر على أمن العالم وسلامه، وليس الضامن لهما.

ثالثاً: حق الدفاع عن النفس حق مكفول بموجب الميثاق. المادة ٥١ تقول: ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينتقص الحق الطبيعي للدول، فرادى أو

جماعات، في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة، وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والأمن الدولي، والتدابير التي اتخذها الأعضاء استعمالاً لحق الدفاع عن النفس تبلغ إلى المجلس فورًا، ولا تؤثر تلك التدابير بأي حال فيما للمجلس من الحق في أن يتخذ في أي وقت ما يرى ضرورة لاتخاذه من الأعمال لحفظ السلم والأمن الدولي أو إعادته إلى نصابه. انتهى نص الفقرة. ما أن قام حزب الله بالهجوم على الموقع الإسرائيلي وأخذت إسرائيل تتأهب للرد، حتى ردد أطراف ما يسمى بالمجتمع الدولي، بدءًا بالرئيس بوش ثم بقية أعضاء الجوقة، تأكيد حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها.

آن لنا أن نختبر هذه الفرضية. بحسب المادة التي قرأتها: يمارس حق الدفاع عن النفس إذا تعرضت الدولة إلى هجوم، ويمارس الحق لحين يتولى مجلس الأمن زمام الأمور. لا يجوز أن تقف أية دولة مكتوفة الأيدي أمام الهجوم، بل عليها أن تتصدى له لحين تدخل الإجراء الدولي من قبل مجلس الأمن. إن إسرائيل لم تتعرض لهجوم مستمر، بل لحادث حدودي بدأ وانتهى، ما يجعل القضية برمتها من اختصاص مجلس الأمن. وحوادث الحدود تقع يوميًا، كما الاجتياحات والاغتيالات والخطف، وليس الأسر في هذه الحالة، ولا يتأتى عنها اعتراف للمعتدى عليه (للمعتدي) في ممارسة حق الدفاع عن النفس. قبل فترة وجيزة قتلت القوات الإسرائيلية رجلي أمن مصريين على الأرض المصرية، وجرَّت جثتيهما إلى داخل الحدود الإسرائيلية لتبرر قتلهما كمتسللين. ولم يتضمن رد مصر أكثر من كلمة في المؤتمر الصحفي للرئيس المصري مع أولمرت خلال زيارة الأخير لمصر قال فيها الرئيس المصري رداً على سؤال: لقد أكد لي أولمرت أن المسألة لن تتكرر كونها كانت خطأً.

لنقارن بين ثمن جنديين مصريين قتلا عمداً على أرضهما، وسوي الأمر بكلمة طيبة فيها من المواساة للمعتدي أكثر مما فيها للضحية أو لذوي الضحيتين، وبين حرب دمرت بلداً بأكمله، وقتلت أكثر من ألف بريء لا علاقة لهم بالحادث أصلاً، وجرحت عدة آلاف، وشردت أكثر من مليون، وردت الحياة في ذلك البلد سنين إلى الوراء، والدمار مستمر ولا نستطيع أن نتصور نهايته حتى الآن، مقابل أسر جنديين لا يزالان على قيد الحياة. لا يمكن أن يقع هذا الرد ضمن حق الدفاع عن النفس لسببين: أولهما أن المعتدي يفقد بالضرورة حقه في الدفاع عن النفس حتى لو تعرض للاعتداء كرد على اعتدائه؛ والأصح أن هذا هو حق الانتقام والعقاب الجماعي غير المعروف في القانون الدولي، فقد منح المجتمع الدولي لإسرائيل حق الانتقام والعقاب الجماعي، وليس حق الدفاع عن النفس. إسرائيل في حالة اعتداء على كل من حولها منذ نشأت، ولكل من حولها الحق الطبيعي في الدفاع عن النفس إلا هي، وأين يبدأ احتساب العدوان. الصواريخ البدائية التي تلقي بها حماس من غزة على إسرائيل، أو أي هجوم على موقع على حدود غزة من قبل المقاومة الفلسطينية يعتبر اعتداء يبرر لإسرائيل ممارسة حق الدفاع عن النفس، ناهيك عن فظاعة وضخامة الرد، أما الاحتلال واعتداءات إسرائيل اليومية، فلا تبرر إطلاق الصواريخ كممارسة يائسة لحق الدفاع عن النفس في وضع غير متوازن وغير متكافئ. وصواريخ حزب الله لم تطلق على إسرائيل إلا بعد

الهجوم المدمر وحصار لبنان بأكمله. لكن في نظر المجتمع الدولي، فإن إسرائيل تدافع عن نفسها ليس على ما وقع، بل على ما سيقع لاحقا، فهو حق مطلق لا محدود لا بالزمان ولا بالمكان.

رابعاً وأخيراً ضمن هذا السياق، يبدو أن واشنطن اعتقدت أن الأزمة اللبنانية وفرت لها الفرصة لمعادلة إخفاقات أفغانستان والعراق والحرب على الإرهاب والشرق الأوسط الكبير ونشر الإصلاح والديمقراطية، الفرصة لمعادلة هذه الإخفاقات المتتالية والمحرجة لتحقيق نصر في لبنان يلغي حزب الله، فيسجل ذلك كأحد انتصارات المعركة ضد الإرهاب كون حزب الله في نظر واشنطن منظمة إرهابية. هذا نصر يحاصر سورية ويلجم دور إيران التي قدمت على أنها المسؤولة الرئيسية عن أزمتي لبنان وغزة من خلال خطتها للهيمنة الشيعية على المنطقة، الهلال الشيعي أو القوس الشيعي، كما تعدل الاسم أخيراً. إذًا، يدمر لبنان، وتدمر غزة، ويطلق العنان لإسرائيل لتقود هذه الحرب لحماية المنطقة من الهيمنة الشيعية الإيرانية المزعومة، وممن يُكوِّنون القوس الشيعي.

القوس الشيعي المزعوم يبدأ في طهران، ولكنه يتجاهل العراق الذي وضعته الحرب وعواقبها الخطيرة تحت حكم الأكثرية الشيعية بحيث يصبح الأكثر ملاءمة لبناء القوس، ثم يقفز فوق العراق إلى سورية السنية، ثم يقفز فوق لبنان، الدولة العلمانية المثالية من حيث أنها نموذج فريد للتعايش الحضاري والديني، إلى حزب الله، ثم يقفز قفزة كبيرة إلى حماس، هلال متقطع ومجزأ حتى لو كان فيه شيء من الحقيقة. المفارقة الأخيرة حول هذه الحرب هي أنه في حين تفتح ترسانات السلاح الأمريكية لتزويد إسرائيل علنًا بأكثر الأسلحة فتكًا، إضافة إلى الدعم السياسي والمالي المطلق، يشار بكل أصابع الاتهام وحتى بالتجريم إلى سورية وإيران لتزويدهما، أو لاحتمال تزويدهما، لحزب الله بأي سلاح، بالرغم من أن الأرض السورية هي الأرض المحتلة، وأن من حق سورية أن تطالب بالدفاع عن أرضها وعن نفسها كما هو حق لبنان وحق الفلسطينيين، فهم المعتدى عليهم. لكن المجتمع الدولي لا يزال يمنح حق الدفاع عن النفس للطرف الذي ما يزال يمارس العدوان بأبشع صوره، ويُحرِّمُه على ضحايا العدوان.

شكرا سيدي صاحب السمو، وشكرا أخي سيادة الشريف.

الأمير الحسن:

بعد الشكر للسفير حسن أبو نعمة لخبرته السابقة في الأمم المتحدة على ما سمعناه من ملاحظات هيكلية وطروحات فكرية، أجد من واجبي أن أبدي بعض الملاحظات - إذا جاز لي - للإسهام في تأطير مناقشتها فيما بعد.

أولاً: أرجو لفت النظر إلى المقال الذي وضع أمامكم قبل قليل بعنوان "إلى لبنان معقل النقاء والشموخ"، والإشارة إلى وجوب التفكير ملياً في ميثاق الاستقرار لمنطقتنا. فميثاق الاستقرار هذا هو محاولة لتذكير العالم بأن البلقنة وصلت إلى ذروتها بالتوقف سياسياً عن القتال في مؤتمر بيتون وفي ميثاق الاستقرار لجنوب شرق أوروبا. مع الأسف ما نراه في هذه المنطقة من مبادرات أحادية الجانب، من

حائط الكراهية والتمييز العنصري إلى التدخل في لبنان وفي أماكن أخرى في هذا الإقليم، يبعدنا كل البعد عن العمل المتعدد إلى أن وصلنا إلى الاستماع إلى الأمين العام للأمم المتحدة يقول: ما هو مبرر وجود هذه المنظمة إذا ما استطعنا أن نقنع العالم بجملة المشروعات الخاصة في هذه المنطقة المعذبة من العالم؟ فالنكوث بهذه المشروعات ليس أمرًا جديدًا، والإنسان يحتاج إلى حاسوب صغير يستذكر كل هذه الأرقام ١٥٥٩، وماذا عن ٢٤٢ و٣٣٨ ؟ ماذا عن الموقف المبدئي الغربي من القرارات الأساس منذ عام ١٩٦٧. هذه الملاحظة الأولى أننا نستمر في التدخل الفردي والتفسير الفردي وإجراءات أحادية الجانب.

وأذكركم مرة أخرى بأن مجموعة الـ ٧٧، وهي ملاحظة مؤسسية خارجة عن موضوع البحث المباشر، برئاسة الصين تطالب الآن بمنبر، ليس مؤتمرًا للتفاوض، لكن منبرًا لإعادة تصويب رسالة منظمة الأمم المتحدة والبنك الدولي وصندوق البنك الدولي قبل الاحتفال بذكرى ٦٠ عامًا على تأسيس الأمم المتحدة في العام القادم.

ثانياً: حق الدفاع عن النفس قد يكون مشروعاً، لكن بالحجم الذي مورس إسرائيلياً لم يكن حكيماً على الإطلاق. ومن جانب آخر، لنستذكر أن حق الدفاع عن النفس واتفاقية حق الدفاع عن النفس، الدفاع المشترك العربي، نكثنا نحن بها منذ مطلع الستينيات، حيث الغزو الناصري المصري لليمن، واستخدام أسلحة الدمار الكيماوية في اليمن. في صورة لحجاج(رسام كاريكاتير) أمس أو أول أمس، أحد جنرالات الكنبايات جالس وبيده الريموت وبيده الأخرى الأرجيلة ووراءه صورة عبد الناصر وصدام، ويقول للولد اهرع وهات لنا صورة نصر الله خلينا نعلقها.

أين الحد الأدنى من العمل العربي المشترك؟ تصريحات الأمين العام للجامعة العربية، والوعد بلقاءات لوزراء خارجية العرب، والإدانة المباشرة من قبل شخص عمرو موسى، وليست مجموعة دول، هي أقصى ما نستطيع أن نستمع إليه في هذه الأيام.

ثالثًا: الإصلاح الديمقراطي وقوس عدم الاستقرار.

اسمحوا لي أن أذكّر مرة أخرى بأن الديمقراطية لا تفرض من القمة إلى القاعدة. الديمقراطية التشاركية لا بدّ من بنائها في سد فجوة كرامة الإنسان والعجز. لا بد من أن نمارس إسلامياً حقًا إسلاميًّا في تطبيق ركن من أركان الإسلام، وهو الزكاة، سَمُّوه زكاة، سَمُّوه صدقات، سموه خيرات، سموه تنمية اجتماعية، سموه أمن ثاني، سموه بالذي تريدونه. لكن بالمحصلة نسب الفوائد على ارتفاع أسعار البترول التي تقدر بمرحلة قريبة بـ ٢٠٠ دولار للبرميل لا تدر الخير على هذه المنطقة، بل على العكس تجعل التفاوت بين الثراء الفاحش والفحش بصفة عامة، وبين كرامة هذا الإنسان البسيط المستضعف والمحروم قاعدة شعبوية لكل من يستغلها.

وكما قلنا في إيران هنالك نسبة مرتفعة من البطالة، نسبة مرتفعة من تعاطي المخدرات، ويبقى السؤال الموجه: لماذا احتلال أفغانستان؟ هل هو لتطوير صناعة الأفيون غير المسبوق في أي سنة خلت في هذا القرن؟ ومن يتأثر بذلك؟ تذكرون المثلث الذهبي،

أو المُذهَّب، لاوس وكمبوديا وتايلاند.

أقول مرة أخرى: إننا على صعيد العناقيد الثلاثة الأمن الأساسي والظرفي، عناقيد هلسنكي. النوية الأولى عنقود الأمن، مع شديد الأسف لم نستطع أن نقول ما قاله يوري أفنيري في حق إسرائيل في هذه الحرب بجرأته ووضوحه، وهو رئيس حركة أورشالوم. لم نستطع أن نقول ما قاله بواز غانور، رئيس معهد دراسات الإرهاب في هرتسليا في إسرائيل: لا تحريم بلا تعريف. وتحتفل ليفني بنت إيتان قبل أيام، كما قلت في BBC اليوم، بذكرى هدم فندق الملك داود، وتعتبر كل هؤلاء أبطالاً لأن والدها إيتان نعمة.

فأين الطرح العربي للنوية الأولى: الأمن العربي؟ بمفهومه الواسع. والنوية الثانية: العمل الاقتصادي والاجتماعي. والنوية الثالثة: العمل الإنساني والثقافي، والشروع في آخر عامين من عهد الرئيس بوش، طبعاً هذه ستكون من المعجزات، في تغيير منحى الحرب على أمر ما إلى منحى النضال من أجل أمر ما. وأقول هنا من أجل قانون للسلام فضلاً عن التعامل مع تنازلات من قانون الحرب.

المتحدّث الثاني:

الدكتور طاهر كنعان

شكرا سيدي سمو الأمير. طبعاً لا أستطيع أن آتي بجديد في هذه المناسبة وكل الطروحات تناقش باستمرار، ولا توجد فكرة إلا ويجري تداولها في السهرات ومجالس الحزن على ما يجري.

ابتداءً كان المغفور له الملك حسين رحمه الله ينادي بالسلام الشامل والعادل الذي تقبل به الأجيال وتصونه. غياب هذا السلام ووقوع سلام منقوص وزائف ومشروخ هو السبب العميق فيما يجري الآن. في قانون نيوتن الثالث: لكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومعاكس في الاتجاه. في الأمور الإنسانية يوجد ردود فعل لكنها تأخذ وقتًا ويمكن أن لا يكون حجمها بحجم الفعل. غياب السلام واستفراد إسرائيل بالجوار دون أن تغير أي شيء جدي في مسلكها تجاه الإقليم أيضا هو السبب فيما يجري الآن.

في نظرة إقليمية في إطار الجيوبولتكس للإقليم، نلاحظ أن إسرائيل تستفرد بكل بلد عربي على حدة، وتمتنع عن أي مقاربة تفترض وحدة أي مسار للسلام بين أي بلد عربي وآخر، وهذا التاريخ معروف. في الوقت نفسه، تسعى فيما وراء المنطقة العربية سعيًا حثيثًا إلى صداقات من أقوى ما تستطيع أن تحصل عليه، صداقة مع تركيا، وصداقة مع إيران زمن الشاه، ومحاولة صداقة مع الجمهورية الإسلامية إلى درجة أنه لما قام العرب بأكبر حماقة في تاريخهم الحديث عن طريق هجوم العراق على إيران، حاولت ويمكن أن تكون نجحت في تزويد إيران الإسلامية بالأسلحة، وهي فضيحة كونترا. وكذلك صداقة مع الصين، ولديها صفقات سلاح وتكنولوجيا تسلح مع الصين. أما في المنطقة العربية فالسياسة هي التفتيت، وذروتها ما يجري في العراق، وهو العرقنة والفتنة الشيعية السنّية. كان الفشل الأساسي في رد الفعل لأن الرابط الأساسي في المنطقة كان الرابط القومي العربي. وهذا الرابط لم يستطع أن يصمد أمام محاولات إسرائيل في التفتيت، بل استسلم لها. وكان أهم من وقع مستسلماً للتضحية بالرابط العربي الحركة الوطنية الفلسطينية

ذاتها. فالفلسطينيون بإنشاء منظمة التحرير جعلوا عقيدة هذه المنظمة قطرية فلسطينية محضة، وقال العرب إن القضية استلمها أهلها، وانتهى الموضوع بالعزلة الفلسطينية.

إن ما يجري في لبنان والمقاومة اللبنانية هو عكس هذا التيار تمامًا. فالمقاومة اللبنانية حاولت أن تضع لذاتها جذورًا في المنطقة، فحاولت مع سورية. وعكست الرابط الديني (وحدة الدين) مع إيران، واعتمدت في تسلحها وفي مواردها على إيران، لكن دون أن تجعل وطنيتها اللبنانية وإخلاصها للبنان يتأثر في أي لحظة من اللحظات بهذا الرابط الإيراني. وبالعكس فعندما اتهم السيد حسن نصر الله بأنه أداة إيران، وهو لفظ كان بالنسبة إليه قريبًا من الكفر، قال: نحن في جبل عامل في هذه البلاد قبل الفتح وقبل العرب وقبل الإسلام.

إن صمود المقاومة في لبنان ليس فقط صمودًا عسكريًا، وإنما هو صمود أخلاق ومناقب ومسلكية ظهرت في عام ٢٠٠٠، ظهرت باستمرار في النسيج والرابط الاجتماعي الذي خلقه حزب الله في مجتمعه، اقتصاديًا وخدماتيًا، والذي يسميه الإسرائيليون البنية التحتية للإرهاب، وهو القاعدة الاجتماعية للصمود. كما ظهرت في العقلانية الكاملة لإدارة الصراع الذي وضع الحزب نفسه في مقدمته. وقد أنشأ علاقات فهم وعقلانية مع التيار الوطني الحر، تيار الجنرال عون، بنقاش موضوعي وحوار أعجب به حتى المتطرفون في الطرف الآخر من ١٤ تشرين. ففي آخر دورة للحوار قال أمين الجميل: نحن بدأنا نفكك موضوع سلاح حزب الله ونضعه في إطاره الصحيح. فما هو

هذا الإطار؟ إنه إنشاء منظومة دفاع وطنية غير مقتصرة على حزب الله، لكن فيها عقيدة المقاومة التي تبناها حزب الله، وهي عقيدة دولة إسرائيل نفسها. فإسرائيل أيضًا، كما ذكر السيد حسن نصر الله، هي دولة لجيش، وتقوم على نظام شبيه أيضا بالنظام السويسري، حيث كل مواطن جندي، وهذه الألوية التي تدعى ألوية الاحتياط تشمل كل من هم في سن الخدمة العسكرية في إسرائيل من ذكور وإناث.

فما يمنعنا قبل توقيع اتفاقية سلام أن نكون مجتمعات فيها هذا الرابط الاجتماعي؟ ما يمنعنا هو ثقافة المجتمع الاستهلاكي، ونسميها ثقافة العلمنة، ثقافة أن ما دام معنا ورقة اسمها اتفاقية سلام، فمن ماذا نخاف؟ ظهرت هذه الثقافة في العهد الإسلامي الأول: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿*قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره...*﴾ صدق الله العظيم.

الأمير الحسن بن طلال

أشكر الدكتور طاهر كنعان. يبدو أن قوانين نيوتن تنطبق على المتحدثين، فكل فعل يؤدي إلى ردة فعل. ولعلاقاتنا ما بين كمبردج وأكسفورد بطبيعة الحال نحن معتادون على ذلك، ليس من ذنبي أنه ذهب إلى كمبردج.

أقول في موضوع اتفاقية السلام إنني اتهمت قبل أيام – وربما معي الدكتور كامل أبو جابر ومجموعة من الذين ساهموا في تلك الأيام بوضع اتفاقية السلام،

وبطبيعة الحال هناك أعداد من الذين وضعوا اتفاقية السلام عندما اشتهرت، وأعداد ممن تنصلوا من مسؤولياتهم تجاهها عندما أصبحت على المحك – من قبل دينس روس، وهي تهمة أعتبرها شهادة تقدير، عندما قال: حين فاوضنا لم نأخذ المصالح الأمريكية بعين الاعتبار – ولم أكن أعلم أنني مفوض من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، أي بمعنى آخر لم أستأنس برأي السفير الأمريكي في كل مساء حول ما تقدمنا أو تأخرنا به في مناقشة اتفاقية السلام. لكنني أقول إن الاتفاقية لا تمنع الدولة الأردنية من الاحتجاج بجميع الوسائل، لا بل بالعكس، ربما هي تبرر مثل هذا الاحتجاج على ما يجري اليوم.

أما فيما يتعلق بالاحتكار الإسرائيلي لتمثيل المصالح الغربية، فمع شديد الأسف إن الدول التي تدعي بأنها قريبة من تلك المصالح تقوم هذه الأيام بايذاء بعضها البعض بأقبح الألفاظ. انظروا دور قناة الجزيرة في هذه الأيام بالذات – نتيجة للقرار الضمني لدولة قطر في أن تتجه لمزيد من الاعتماد على إيران، ربما شعوراً منها بأن القوات الأمريكية تنوي الانسحاب من بعض القواعد القطرية – والتفوه بالعبارات النابية تجاه الأشخاص، وتجاه كبار المسؤولين في المملكة العربية السعودية. وأعتقد أن سمو الأمير سعود الفيصل كان واضحاً وموضوعيًا، ولا توجد على ما أعتقد اتفاقية سلام بين قطر وإسرائيل، لكنه تساءل بكل أدب حول من استشارت قطر عندما اعترفت بدولة إسرائيل. وتذكرون وزير خارجية قطر في اجتماع (MENA) للشرق الأوسط وشمال إفريقيا عندما اتهمنا بالدول المهرولة نحو السلام، والتهمة أتت في فترة كان فيها عمرو موسى وزيراً للخارجية.

أقول من استفاد من هذا السلام ماليًا؟ أليست هي دول الطوق النفطية؟ ومن استفاد من الحروب العراقية ؟ أليست هي دول الطوق النفطية؟

أقول في هذا الصدد لا بدّ من التقريب ما بين دول العمق ودول الطوق، كيف؟ لا أعلم. لكنني وددت في باب الإشارة إلى الشيعة المتأصلة في هذه المنطقة عربياً أن أذكر بأن الشيعة عربية قبل أن تكون إيرانية. وودت أن أذكر – مع شديد الأسف – أننا نستطيع اليوم أن ننتقد التغييرات في القدس لنرى إسرائيل تجند رجال الأمن لحماية الأماكن المقدسة الإسلامية من حراس الهيكل أو سدنة الهيكل وما إلى ذلك، لكننا لا نستطيع أن نوجه الانتقاد لما يجري في الأماكن المقدسة الإسلامية في النجف وفي كربلاء وفي بغداد وفي مكة وفي المدينة، إذ نرى بين فقرات كأس العالم الإشارة إلى المباني الجديدة التي تغير من صورة الأماكن المقدسة.

جزء من مشكلتنا الأساسية هي غياب الشورى بكل أشكالها. فمكة كانت ذات يوم مدرسة على مدار السنة للشورى بين أهل السنة والجماعة وبين الشيعة. وأود أن أُذكّر مرة أخرى بمقولة CNN: (Sunny Muslims) عندها قلت: I am a cloudy Muslim! إن مجلدات التقريب بين المذاهب تؤكد غياب أي خلاف فقهي بين أهل السنة والجماعة وشيعة آل البيت. فالخلافات قبلية، وأقول إننا نعيش فترة الخلافات القبلية في كل شيء؛ داخل

البيت الواحد وداخل الديانة الواحدة دونما استثناء.

المتحدّث الثالث:

الأستاذ عدنان أبو عودة

شكرا سمو الأمير. أثرتنا وأنت تتحدث عن الشيعة، وأنت مرجع في الموضوع، لكن وجدت فيما تفضلت به ما أعتقد أنه قد يكون من الضروري التذكير به.

إن قضية النزاع الشيعي السني السياسي انتهت في أول القرن الثامن عشر حينما انتهى الصراع ما بين الصفويين والعثمانيين على العراق وشرق الأناضول. ومنذ ذلك الحين لم تشهد منطقتنا شيئًا اسمه صراع سني شيعي سياسي. إن النزاع العراقي الإيراني أيام البهلويين لم يُسَمَّى نزاعًا شيعيًا سنيًا، بل كان يسمى نزاعًا حدوديًا، حتى أن صدام حسين اعتبرحربه مع إيران نزاعًا قوميًا، وليس سنيًا شيعيًا. والنزاع السني الشيعي بالمعنى السياسي استيقظ فقط بعد احتلال العراق من القوات الأمريكية. علينا أن نتذكر ذلك لأنه مهم تاريخيًا. فقد غاب ذلك النزاع ٢٠٠ سنة، وعاد مع الأمريكان الذين بدأوا بالترويج له. أخشى إن تبنيناه فكرًا وخطابًا سياسيًا أن نحقق ما نسميه النبوءة، ونحرك الصَدْع الزلزالي الممتد من بيروت لبومبي، فهذا صَدْع زلزالي مريع فيه شيعة وسنة إذا أخذ الطابع السياسي، وهو الموضوع الذي يجب أن نحفر فيه لنعرف ما هي الأهداف من ورائه.

الأمير الحسن بن طلال

بالمناسبة هنالك سحر لحرف الباء: بوش وبغداد وبصرة وبيروت.

الأستاذ عدنان أبو عودة

وبومبي. لقد أردت بهذا الحديث لأنه بين الفينة والأخرى يشار إليه، ولا بدّ من معرفة تاريخية حول الموضوع. ولنتذكر أن هذا الكلام جديد على المنطقة، ولنعرف أن من أيقظه هو الاحتلال الأمريكي للعراق. والمذابح التي تجري هي تعبير وربما مقدمة لحرب أهلية. علينا أن نعرف وننتبه إلى أنه لا يوجد في التاريخ صراع سني شيعي سياسي بعد أن انتهى ذلك الصراع بين الصفويين والعثمانيين، الذين كانوا جميعًا أتراكًا قدموا من وسط أسيا. والصفويون عندما تبنوا الشيعة كانوا سنة، فتبنوها لمواجهة العثمانيين. وأتوا بواحد من الكرك في جبل عامل، كرك لبنان، وسمى نفسه شيخ الإسلام، على طريقة العثمانيين. فالسنة عندهم شيخ إسلام، فعمل شيخ إسلام للشيعة. فهو صراع سلالتين من الأتراك، حيث استخدموا الدين فيه، وأخذ هذا الطابع.

الموضوع الثاني الذي أريد الحديث فيه يأتي من كلام سمو الأمير حين تحدث عن خطوط النفط والأنابيب، إلى آخره. فهنالك إجماع في العالم، وليس فقط عندنا نحن العرب، أن الحرب القائمة ضد لبنان ليست من أجل جنديين، وهي ليست حرب الوردتين، وليست حرب الأسيرين، بل هي حرب أعمق من ذلك بكثير، ولها أهداف بعيدة عبرت عنها كونداليزا رايز بعباراتها المبهمة أنه شرق أوسط جديد في طور الولادة، وتركت لنا نحن أن نضع سمات الوليد. فهي لم تحدد نوع الوليد، ذكرًا أم أنثى، أبيض أم أسود، طويلاً أم قصيرًا، وقالت أنتم حَدِّدوا. وأعتقد أن ما تفضل به سمو الأمير عن

التخطيط الأمريكي في قضية النفط، وإلى آخره، قد يكون جزء من هذه السمات المقبلة على الشرق الأوسط.

أريد أن أُذكِّر سموه أنه قبل أكثر من ربع قرن كان هو الشخص الأول في العالم العربي الذي أطلق جرس الإنذار عن تفكير إسرائيل في تفكيك المنطقة، فأذكر الدراسة التي أعدت وقرأناها. نحن سيدي ما ظنناه في ذلك الوقت تخطيطًا إسرائيليًا مجردًا، نراه الآن علـى الأرض، فنراه في العـراق وربما في لبنان. يبقى عندي السؤال الكبير، وأحب أن أضع عناوين كبيرة لأفكار كبيرة فاعذروني، الفكرة التي أقولها: ألم تلاحظوا أيها السيدات والسادة أن إسرائيل كلما اكتسبت معاهدة سلام عربي تجعلنا نحس أننا بعيدين عن السلام الشامل؟ وهذه مفارقة عجيبة، كلما وصلت إسرائيل إلى سلام مع دولة عربية، نحس بأننا أبعد عن السلام الشامل لأن السلام الشامل، كما نفهمه نحن، لا يمكن أن يتم إلا بحل القضية الفلسطينية، بإقامة دولة فلسطينية واسترجاع سورية للجولان. ومن هذا السلوك، لا أرى أن أي واحدة منهما هي بصدد التفكير الإسرائيلي، لا الجولان ولا فلسطين. واعذروني إن قلت إن جزء من تفكيرنا اللاشعوري، وأنا أتكلم عن حقبة مضت في السبعينيات والثمانينيات، كان أن السلام مع إسرائيل هو نوع من أنواع كف الشر، لتكف شرها عنا. والسؤال هو، وأنا الحقيقة أود أن أسمع استجابة سمو الأمير لهذا، كلنا كنا نفكر بهذه الطريقة، ربما لم نلفظها بهذا الوضوح الذي ألفظه اليوم، لكن مجمل خطابنا ومجمل منطقنا ومجمل تحاججنا يختصر بكلمة واحدة كف شرها، لماذا؟ لأنه لا يمكن التعارك معها. نعم، لا تعارك معها. وهذا يؤدي بنا إلى ما يجري الآن في لبنان. فالذي يجري في لبنان اليوم هو لأن إسرائيل تشعر اليوم أنها تخسر صورتها الردعية التي جعلتنا في السبعينيات نقول: كف شرها عنك، و اقترب من السلام واعمل للسلام، إلى أخره، من أجل أن تخلص من شرها. ونحن اليوم لم نخلص من شرها، فلم تحل القضية الفلسطينية، ولم تنسحب من الجولان، فالقضية في جوهرها مسألة قائمة، والمسألة مسألة مراحل وانتقال من موقف إلى موقف، ومن مرحلة إلى مرحلة. ما يجري في لبنان هو جنون إسرائيلي، فالهجمة دموية ووحشية لا يمكن تفسيرها إلا بأنها غضب إسرائيلي كبير على خدش صورتها الردعية. فالصورة الردعية الإسرائيلية تشكلت من خلال خمس انتصارات متوالية على العرب. فهزائمنا خلقت الصورة الردعية، فصرنا نحن الذين أوجدنا لها الصورة بأن نخاف منها ونقول لا تعارك معها، ولا احتكاك بها. بالنسبة لاسرائيل، إن صورتها الردعية الناجمة عن توالي انتصاراتها العسكرية أغلى وأثمن من صورتها الردعية المستقاة من امتلاكها للأسلحة النووية. فهي صورة غالية عليها تعبت حتى شكلتها، وقد أخذت سنين حتى تشكلت، فصار عندنا خوف جيني منها، فاستجابتنا هي خوف جيني من إسرائيل فلا يُحكى معها، ولا تُذكر سيرتها. وزاد من هذا الأمر أننا اكتشفنا في الأخير أن أمريكا وإسرائيل هما One and the same، واحد ولا يوجد فرق بين الاثنين، فلا يوجد فرق مطلقًا، وهذا زاد من خوفنا. الآن حزب الله شوّش هذه الدنيا كلها وشوه تلك الصورة. فكلما ضربوه على يده تبين أنه لا يضرب، وعاد هو وضرب، وأخذت المسألة إلى يومنا هذا، فاليوم هو السادس والعشرون من الحرب، وكلما مضت

الأيام كلما تمزقت الصورة الردعية لإسرائيل، وكلما ازدادت إسرائيل غضباً وعنفواناً وجنوناً، فلا تستطيع أن تتخيل أنهم لم يعودوا يخافون منها.

الآن نحن العرب، وأظن أننا كلنا في هذه القاعة كما لمح الأخ أبو عمر، نتابع ولا نتوقف عن المتابعة، واكتشفنا أن الواقع العربي على النحو الآتي: نحن في حالة مراجعة، فالمثقف العربي وحتى المواطن العادي في حالة مراجعة، مراجعة لماذا؟ هل يا ترى تستحق إسرائيل كل هذا الخوف؟ فهذا هو السؤال المطروح. هل كنا مصيبين في خوفنا من إسرائيل؟ أم أن المسألة ليست ذلك، فالدول العربية هي الفاشلة، وبفشلها صنعت الوهم الإسرائيلي.

في عام ١٩٧٦ كنت باحثًا في مركز الدراسات الدولية بجامعة هارفارد. وقد دعونا في يوم قائد القوات البحرية الأمريكية، وكما عَّرف نفسه فقد كانت مسؤوليته تمتد من سان فرانسيسكو إلى الصومال. كان ذلك قبل ٣٠ عاماً، فكل هذه البحار كانت تحت سيطرته. وألقى محاضرة تحدث فيها عن مسألتين لا أريد أن أذكر الأولى منهما. أما الثانية فأذكرها لليوم، إذ قال فيها إن أية هيئة أركان يجب أن يكون لها ضابط واحد عنده خيال لأن الأمور قد تصل حدًا لا تستطيع الكتب المرشدة أن تحلها، فتحتاج إلى صاحب خيال. والناحية الثانية أنه يلزم أن يكون عندك ركن يعرف بالثقافة والنفسية للشعوب التي تسيطر عليها لأن حساب القوة، وهذه النقطة التي أذكرها لليوم، له نوعان: حساب منظور، وهو عدد حاملات الطائرات وعدد الدبابات والغواصات والقنابل وغيرها، وحساب العناصر غير المنظورة التي تسمى Invisible.

وقد تذكرت كلمته عن "Invisible"، وهي تعني الإيمان، والإرادة، والاستعداد للتضحية، والإيمان بالقضية. فمجموعة هذه الأمور مع تدريب جيد تعمل قوة معينة. هذا الكلام كله في الوقت الحالي قيد المراجعة بحوارات حتى بين الشخص وذاته، صحيح أم خطأ.

النقطة التي كنت أريد الحديث فيها، وقد خرجت عن الموضوع، أنه لا بد من إحلال السلام. فلا بد من تسوية، ولن تستمر الأوضاع على ذلك. لكن السؤال هو: كيف يمكن أن تتم هذه التسوية؟ الحقيقة أنه لا يوجد عندي جواب، لكنني أحمل معي جواب ICG (مجموعة الأزمات الدوليّة) التي أنا عضو فيها، والتي أصدرت تقريرًا ربما يوزع قريبًا، اليوم أو غدًا، وهو يتناول أربعة مبادئ أقتنع بها، وأود أن أذكرها كجزء من التفكير الواسع:

الأول: تجنب ربط المسألتين اللبنانية والفلسطينية، حيث ينبغي لأي حل ألا يربط بين الاثنتين، فكل واحدة منهما لها جذورها وأبعادها المختلفة عن الثانية، والربط سيفشل الجهود الدولية في الحل ويعقدها.

المبدأ الثاني: نعتقد أن جوهر حل القضية الفلسطينية هو مقايضة وقف إطلاق النار في غزة بفتح الطريق أمام حماس للحكم. هذا كلام ICG بأنه يلزم فتح طريق الحكم لحماس لأنها لا تطالب بوضع شريعة، فهي حركة تحرير وطني

مرجعيتها دينية، فلتدخل الحكم حتى تعرف كيف تصير أكثر اعتدالاً، مثلها مثل الناس الآخرين.

الثالث: نعتقد أن الأولوية الملحة على الجبهة اللبنانية هي وقف إطلاق النار، ولا يوجد أي عذر لتأجيله. فموقف الولايات المتحدة وإسرائيل يقوم الآن على حجة أن وقف إطلاق النار دون حل جذور المشكلة سيعيد الوضع إلى ما قبل ١٢ تموز/ يوليو. هذا صحيح، لكنه لا يعني أن يستمر القتال حتى حل المشكلات الجذرية، فليوقف القتال، ثم يكون البدء بالتصدي للمشاكل الجذرية.

الرابع: التصدي لجذور النزاع في لبنان وفلسطين.

هذه هي المسائل التي نعتقد أنها مبادئ لحل النزاع الفلسطيني الإسرائيلي واللبناني الإسرائيلي. نحن الآن بهذا الموقف في العالم العربي انقسمنا في التحليل إلى قسمين، قسم سماه أحد المثقفين المصريين على التلفزيون حساب البقالة، وهذا عندنا في الأردن شائع وأنا أسميه حساب "الدكنجية"؛ وحساب شارل ديغول الذي اقتبس عنه ميشيل عون قبل أسبوع حين قال: في الأيام العصيبة فَكِّر في الكرامة. هذا هو جواب شارل ديغول عن مثل هذه المواضيع: في الأيام العصيبة فَكِّر في الكرامة. وهذا يعني تجنب حساب الدكنجية. وحساب الدكنجية سيطر علينا نحن في مجتمعنا الحالي الذي نعيش فيه. وهذا في رأيي عائد إلى جينات الخوف من إسرائيل العميقة عندنا. لذلك نصبح دكنجية جيدين: كم نربح وكم نخسر، وليس المهم ما يحدث مستقبلاً فيما يتعلق بالكرامة والهوية. المهم ماذا نربح وماذا نخسر. وقد كنت في السفارة الفرنسية في ١٤تموز/ يوليو، وشاهدني عدد من رجال الأعمال الأردنيين، فسألوني: ماذا سيحدث في لبنان؟ وهل سنتأثر؟ فكان جوابي لهم: لا تخافوا واطمأنوا سنستفيد. فقالوا شكرًا ومشوا.

الأمير الحسن بن طلال

أشكرك أبا السعيد.

أولاً: كلما وقعنا اتفاقية سلام ابتعدنا عن السلام الشامل. اسمح لي أن أُذكِّر في أن ما قصم ظهرنا قبل اتفاقية السلام هو إنهاء العراق، المغامرة. وأذكر أن أحد كبار المسؤولين الأمريكان عندما قلت له: لماذا لا نقيم منطقة منزوعة السلاح النووي لحماية الطاقة في الإقليم، بما في ذلك قزوين إلى هرمز، (وبالمناسبة هرمز هي ملخص لـ "أهورامازدا"، وهو رب الزردشت قبل الشيعة والإسلام)؟ قال ذلك المسؤول الأمريكي: سيكون من الأسهل خلع صدام.

وأعود لموضوع اتفاقية السلام وقضية كف الشر. فقضية كف الشر ودفع البلاء كانت في الحروب العربية، وليست في معاهدات السلام العربية. فكلما ارتفع البارومتر الشعبوي للمطالبة باستعادة الحقوق، دخلنا حربًا أولها ١٩٦٧ في العصر الحديث، حتى لو كنا غير مؤهلين لذلك. والإصرار في اعتقادي لم يكن من قبل الشعوب بقدر ما كان من قبل المسيسين والمؤلفة جيوبهم. وإخراجنا من هذا المأزق بعد مرور ٥٠ عامًا من الاحتلال وتغيير ملامح الأرض المحتلة قد يعتمد مدرسة ما يسمى بالواقعية أو الواقعيين الممثلة في الولايات المتحدة بالجنرال اسكوكروفت الذي يمثل

أقلية في واقع الحال أمام المحافظين الجدد، لكنه يطالب بالعودة إلى فكرة إقامة دولة فلسطينية مؤسسة على حدود ١٩٦٧، مع بعض التغييرات البسيطة المتفق عليها بين فلسطين وإسرائيل. في الوضع الحالي هناك ٦٠ مستعمرة صغيرة بقيت ما بين نهر الأردن والحائط الذي كلف مليارين ونصف المليار دولار. وإذا تحدثنا عن التعويض نستطيع أن نعتمد على العرب فيما لو تم التوجه إليهم في إيجاد صندوق للتعويض لكل أنواع الدمار، بما في ذلك بيروت وصيدا وصور، وما إلى ذلك.

لكنني أقول إن المدرسة الواقعية هذه لا بد لها من إطار. ولذلك أعيدكم بتشديد كبير إلى فكرة ميثاق الاستقرار للمنطقة. يعمل ميثاق الاستقرار على خطين، خط سياسي لمعالجة القضايا الساخنة بوجوب التئام اللقاء السياسي مهما علت درجات الكراهية بين المتحدثين، ولنستذكر لقاء توجمان وميلوسوفتش وعزت بيكو فتش ودرجة الكراهية، والخط الآخر هو الخط الهيكلي أو المؤسسي للحديث عن البعد الإقليمي بالتكامل.

أقول إن وجوب مثل هذا المؤتمر يحول بيننا وبين مأساة أكبر مما نرى اليوم. هنالك من يتصور أن إنقاذ وجه أولمرت أفضل بكثير من مجيء نتنياهو إلى سدة الحكم. وهنالك من يقول، كما قلنا في تقرير اللجنة الثلاثية الأمريكية الأوروبية اليابانية، إن تدمير المنشآت النووية تحت الأرض في إيران لا يتطلب قنابل تخترق الطبقات الجوفية للأرض لأنه كما حصل مع الحرس الجمهوري في مطار بغداد، على سبيل المثال، قنبلة إشعاعية كافية في أن تحرق الأرض وما عليها لفترة طويلة من الزمن. وقد لا تُستخدم هذه القنبلة في الليطاني لأنها ستلوث المياه. وموضوع الحروب المائية أيضا من الأشياء التي توعدنا بها. لكنني أقول: كل ما هزلت صورة إسرائيل في الإعلام العربي، في النصوص العربية، كل ما زادت الحاجة النفسية لضربة صارمة تعيد المكانة لإسرائيل، الأقلية المهيمنة في الفسيفساء من الأقليات.

وددت أن أقول إن الجوانب الإيمانية والتحفيزية والأخلاقية والمعنوية هي جزء من تحدي الماضي والحاضر والمستقبل، جزء من إلغاء صورة الدولة والمجتمع الذي يعتمد النفاق والكذب والرياء والتملق لدولة، ومجتمع يعتمد الكفاءة والجدارة والصدق في التعامل مع الذات ومع الآخر. فهذه قضية أزلية، لكن في الوقت الحاضر إذا تجاوزنا الأزمة في نهاية آب بوقف لإطلاق النار يؤدي إلى شكل من أشكال اللقاء، فلا نفوت هذه الفرصة لأن الحديث ليس عن سلام انفرادي لدولة ما، لكنه يجب أن يكون حديثاً حول استقرار الإقليم كله.

أنا أذكر الإسرائيلي في لقاء لجنة أسلحة الدمار الشامل في القاهرة عندما قال: لا تكفي اتفاقية سلام مباشرة بين الدول العربية وإسرائيل لتبرير إقامة منطقة منزوعة السلاح، ماذا عن إيران؟ . . . وأنا أردنياً أعيش في بؤبؤ الخطر، وإذا خرجنا إلى الشارع الآن وقلنا قنبلة قد تلغي وجود إسرائيل من الخريطة، قد يقول لك المواطن: نعم ومرحبا حتى لو كنت أنا جزء من دائرة التأثر المدمرة. فلم نعد نتصور العبث المدمر "عليَّ وعلى أعدائي يا رب" صيغة مرفوضة، وهكذا عند قطاع كبير من الناس.

أقول إن تقرير ICG لا أتفق معه بالضرورة من حيث عدم الربط بين لبنان وفلسطين لأن هذه الجزئية تعيدنا إلى فردية التعامل. لبنان له مقاييس خاصة لأنه دولة متعددة الثقافات لها تاريخياً من يرعى جزء من هذه الثقافات أوروبيًا، ولا بد من الاعتراف الأمريكي بالدور الفرنسي، وما إلى ذلك.

أما قضية مقايضة وقف إطلاق النار بفتح الطريق أمام حماس، فمن قال لهم أن لا يفتحوا الطريق أمام حماس. جيمي كارتر قال بالحرف الواحد إنها كانت انتخابات نزيهة وموضوعية، لكن المشكلة الأكبر أنهم على قائمة الإرهاب. فهل كان من الضرورة أن يمر الشعب الفلسطيني في كل هذه المآسي لتخرج حماس من دائرة الإرهاب، أم القصد، كما قلت، أن "حماس" عكس "سامح"، ولا ننسى أن "فتح" أصولها إسلامية وليست قومية ووطنية.

هذا ما وددت أن أقول، وما التصدي لجذور المشكلة اللبنانية والفلسطينية؟ أقول إن التصدي لجذور ضيق المساحة الجغرافية أمر في غاية الأهمية. قيل عن كندا إنها مساحة واسعة قوية جغرافيًا ضعيفة تاريخيًا. أما نحن فإننا أقوياء تاريخيًا ضعفاء جغرافيًا. فلنستذكر مرة أخرى أننا بحاجة لدراسة فوق قطرية للتسوية بين الموارد الطبيعية والبشرية، الأرض وما عليها وما تحتها.

أقول مع شديد الأسف مثلا، مشيرًا إلى البحر الميت: إن أهم ما في البحر الميت كما فهمنا من الإسرائيليين خلال مفاوضات السلام هو مزيج المغنيسيوم (Magnesium alloy)، وهي المادة الخفيفة لصنع الطائرات والمركبات وسيارات المستقبل. فهل وضعت الجهة التي فاوضت الشريك المضارب الكندي شرطاً في أن تستكشف جميع موارد البحر الميت؟ لا أعلم ما هو الجواب. مثل قضية شبح النفط، يوجد نفط في الأردن، لكنه لم يستكشف بعد. فقضية اليوم التالي (The day after) هي قضية مهمة جداً. وأنا شخصياً أؤمن لا بالتنبؤ، لكن بتجنب الأزمات والتعامل معها. ننام بين القبور، ونشاهد المنامات المزعجة ونتعامل معها. لكن مع شديد الأسف: كيف نصل إلى مثل هذه الحقائق؟

المتحدث الرابع:

الدكتور كامل أبو جابر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سيدي سمو الأمير: قمت بإعداد بعض الملاحظات التي سأقرأها عليكم، وإن كنت أرجو أن أشير إلى أمرين قبل قراءتي لملاحظاتي. الأمر الأول أن نظرتي في الحقيقة فيها كثير من الشمولية. والأمر الآخر يشير في الحقيقة إلى فراغ القوة (Power vacuum) الموجود الآن في العالم العربي. وأحد قوانين الفيزياء يقضي بأن الفراغ يسحب ما حوله من قوة، ولا يمكن أن يكون هنالك فراغ في الطبيعة. والنقطة الثالثة أشير فيها إلى الأسطورة التي تحكم العقل الإسرائيلي، ومن ثم العقل الأمريكي، ومن ثم تحكم مجرى العلاقات الدولية في الفترة التي نحياها الآن. وهنا أشير إلى سفر يشوع، حيث يقول: وعندما نفخ الكهنة في الأبواق في المرة السابعة، قال ياشوع للشعب: اهتفوا لأن الرب قد وهبكم المدينة، واجعلوا المدينة وكل ما فيها مَحْرَمًا للرب باستثناء راحاب الزانية وكل من لاذ ببيتها، فاستحيوهم لأنها خبأت الجاسوسين المرسلين لاستطلاع أحوال المدينة.

ومن ثم أمرهم أن يقتلوا جميع الرجال والنساء والأطفال والشيوخ وحتى البقر والغنم، وربما أيضا الدجاج والحمام.

نحن نتهكم على هذه الأسطورة أحيانا، ونعتقد أن لا وجود لها. لكن إذا تذكرنا المتطرفين الجدد، أو ما يسمى بالمحافظين الجدد، الذين يتحدثون الآن من منطلقات توراتية، ويهللون ويصفقون ويكبرون لما تقوم به إسرائيل من اعتداء في فلسطين واعتداء آخر على لبنان لأن في هذا تمهيداً لما يسمى بمعركة مجيدو، أو أرمجيدون. هذه الأسطورة بالفعل لا بد لنا أن ننتبه إليها.

أعود الآن إلى ما كتبته، فحقيقة الأمر تظهر أن حرب إسرائيل الأخيرة على لبنان وحزب الله نجم عنها، وسينجم عنها، عدد كبير من المترتبات التي لا بد لنا من التفاخر حولها، ومن هذه المترتبات:

أولاً: أنها أعادت الحياة للكراهية الكامنة في الذات العربية والتي كانت نائمة لفترة. كما أنها أحيت الرعب الإسرائيلي من العرب. فهنالك رعب الآن، وهذا له أبعاد لا ندري مداها في المستقبل.

ثانياً: وضعت الكيان الإسرائيلي مرة أخرى موضع تساؤل: هل هناك بالفعل مكان لهذا الجسد الغريب في منطقة الشرق الأوسط على المدى البعيد؟

ثالثاً: حطمت أسطورة الجيش الذي لا يقهر بالرغم من القنابل الغبية التي تم تزويده بها.

رابعاً: أظهرت هذه المعركة أنه لا أصدقاء للعرب في الغرب؛ حتى لبنان، الذي ظهر في حالته أن الأم الحنون [فرنسا] ليست حنونة بالدرجة المطلوبة للخروج عن التبعية لأمريكا.

خامساً: أثارت جدلاً واسعًا على عدة صعد في العالم الغربي، أحدها على الصعيد الشعبي، والآخر داخل الحلف الأطلنطي بين أمريكا وحلفائها، وإن كان هذا الجدل على المستوى التكتيكي فقط وليس على المستوى الإستراتيجي، حيث بدا واضحًا اصطفاف الغرب لدعم إسرائيل دون حدود. كما أثارت الأزمة جدلاً داخل الإدارة الأمريكية، حيث يبدو أنه تم تنحية كونداليزا رايز، كما تم سابقاً تنحية كولن باول، عن عملية صنع القرار الذي يصنع اليوم في وزارة الدفاع وليس في وزارة الخارجية، وبقيادة رامسفيلد وتشيني وأعوانهم. وجميع هؤلاء من المحافظين الجدد المسيحيين المهووسين الذين يتحدثون من منطلقات توراتية، والذين يدفعون باتجاه توسيع رقعة الحرب لضرب سورية وإيران، حيث يرون في ذلك مناسبة لتسريع معركة أرمجيدون والتي يليها، حسب اعتقادهم، عودة السيد المسيح إلى الأرض.

سادسًا: أظهرت الأزمة أن للقوة حدودًا، وأن قوة إسرائيل النظامية، بالرغم من الدعم الغربي لها، يمكن تحديها وتحجيمها. ومثل هذا الفشل العسكري الإسرائيلي لا بدّ أن يثير تساؤل العواصم الغربية عن جدوى دعمها لاسرائيل واعتمادها عليها بصفتها الضامن والحامي لمصالحها في المنطقة.

سابعًا: أقول إن هذه الأزمة أثبتت، على الصعيدين السياسي والعسكري، أن إسرائيل غير قادرة على الحياة في المنطقة إلا محاطة بالجدران، حتى داخل

فلسطين، أو بقوات خارجية تقوم على حراسة حدودها، كقوات هيئة الأمم المتحدة في سيناء والجولان، والآن قوات متعددة الجنسيات التي يتم الحديث عنها لحماية حدودها الشمالية.

ثامناً: فجرت الأزمة في مخيلتي، أنا على الأقل، فكرة أن الصراع فعلاً هو صراع حضارات، وأنه يأتي في سياق تاريخي معين على روح المنطقة وهويتها وتبعيتها، وليس مجرد صراع على رقعة من الأرض أو صراع نفوذ. فهو صراع قديم حديث على عدة مستويات، على مستوى دولي غربي شرقي سبق ظهور الإسلام ويعود إلى أيام صراع قورش مع اليونان في القرن السادس قبل الميلاد، تجدد مرة أخرى أيام الإسكندر والفرس في القرن الثالث قبل الميلاد، واستمر بين فارس وبيزنطة قبل ولادة الإسلام، واستمر بين الإسلام والغرب منذ ذلك التاريخ وبأشكال متعددة وعلى صعد مختلفة.

لا بدّ كذلك من الإشارة أن للأزمة، إضافة إلى جذورها التاريخية، أبعاداً أخرى إقليمية على صعيد جمهورية إيران الإسلامية التي ترغب اليوم في إطالة أمد العنف وفي مزيد من توريط إسرائيل والغرب، وبالذات أن برنامج تخصيبها النووي بين يدي مجلس الأمن، كما أشار سيدي سمو الأمير الحسن. كما أن للأزمة بعداً عربياً يتعلق بسورية التي بدأت تتحدث اليوم عن مزارع شبعا، وتعترف وتقول إن قراري هيئة الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٨٨ ينطبقان عليها، بمعنى أنها أراض سورية. إذاً، فسورية أيضاً تعتقد أن إطالة أمد العنف يخدم مصالحها كذلك.

كما يجب أن لا نغفل البعد اللبناني للأزمة، حيث يدور الجدل بين طوائفه الرسمية، ١٨ طائفة معترفاً بها، وكيف يمكن تطبيق القرار ١٥٥٩؟

أما على الصعيد العربي، فلا بدّ من الإشارة إلى أن غياب النظرة الاستراتيجية التاريخية وغيرها يجعلنا ننظر إلى كل حدث بشكل منفرد وكأنه هبط علينا من السماء فجأة. ومثل هذا الوضع يساعد القوى الخارجية على تحريكنا والتلاعب بنا، الأمر الذي يضاف إليه هشاشة الأنظمة وخوفها من شعوبها، ما يجعلها فاقدة القدرة على التفكير أو التخطيط، حتى تم تهميشنا إلى ما نحن فيه ليس على الصعيد الدولي وحسب، بل والإقليمي كذلك. فأمريكا تفاوض إيران وتركيا إسرائيل على العراق، واليوم يتفاوض العالم كله على ما يجري في لبنان، وكأن لا وجود حقيقي لنا على أرض الواقع.

ولعل من أهم نتائج هذه الأزمة على صعيد الأنظمة والشعوب العربية أنها، أولا، وضعت الأنظمة، وبالذات المعتدلة أو ما يسمى بالمعتدلة، داخل قفص الاتهام. ثانياً، أعادت ترسيم المنطقة وخريطتها على الصعيد العقائدي بحيث حتى لو تم احتواء حزب الله، فإن أصداء ما قام به ستثير وجدان الإنسان العربي والمسلم لآماد طويلة، ولا يعلم إلا الله كيف ستترجم هذه الأصداء مستقبلاً. وكذلك أظهرت العجز السياسي العربي، إضافة إلى العجز العسكري، فأصبح رجل الشارع يتساءل عن جدوى جيوش عربية غير موجودة ساعة الصراع، ولا يشار إليها حتى بأي إشارة.

في ضوء هذا الوصف والتحليل المحزن، أجد لزاماً أن أطرح السؤال الآتي على الأنظمة العربية التي

عليها أن تبدأ التفكير – إذا أمكن ذلك – بما يتوجب عليها أن تفعله لضمان مستقبلها: فهل لديها القدرة والمخيلة أن تستغل هذه الفرصة التي وفرها حزب الله وتستثمرها لتجيير نجاحه لصالحها؟ وكيف؟ أما وقد استثني سلاح النفط وأوقف لغايات التنمية فقط، فهل لدينا من أسلحة أخرى نلوح بها سوى التهديد أمام العالم بأن استمرار الوضع الراهن يهدد الدول المعتدلة، ويعد بتفريخ أحزاب أخرى لله؟ وهل لمصر، مثلاً، أن توعز خفية لنقابات عمالها في قناة السويس، التي يمر منها ما يزيد على ثلثي بضائع التجارة العالمية، بالإضراب أو الإيحاء بذلك، أو بالإيحاء لنقابة وعمال النفط والغاز بالتهديد بالإضراب على الأقل؟

وأخيراً، وليس آخراً، هل بإمكاننا أن نتقدم نحن بمبادرة أو تصور عن شرق أوسط جديد نحدد نحن مفرداته وأبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بدلاً من الاستمرار في التلقي من الخارج؟ فمثل هذه المبادرة ربما تفلح في إخراج المنطقة والعالم الغربي بالذات، كما قد تخرجنا نحن، من ورطته الحالية في اعتماده اللامحدود على إسرائيل، وعلى الأسطورة الإسرائيلية التي تحكمه وتحكمنا كذلك، وتحكم العالم أجمع. وشكراً سيدي.

الأمير الحسن بن طلال

أشكر الدكتور كامل على هذا الإيجاز المفيد. وأقول، بخصوص الفكرة الأخيرة في أن تخرج من المنطقة رؤية لشرق أوسط من أبناء المنطقة، إن من المحزن من بين ما رأينا عبر هذه الأسابيع القليلة الماضية من مأساة لبنان أن تكون مكاتب مقر اللجنة الإقتصادية الاجتماعية لغرب آسيا (الإسكوا) هدفاً من أهداف التعبير عن الغضب، فهي ليست منظمة سياسية. وأقترح على إخوتي في المنتدى أن يتصلوا مستفسرين على الأقل عن الزميلة الدكتورة مرفت التلاوي ومتعاطفين معها لأنه إذا كانت هناك منظمة قامت ببناء البنية التحتية للمشروعات فوق القطرية، فهي تلك المنظمة. ولربما تكون تسمية مشروعنا "مشروع الإنماء لمنطقة غرب آسيا" أسلم وأبرك من استخدام عبارة الشرق أوسط، أوسطية جديدة غرب آسيا تستثني، بالمناسبة، إسرائيل بحسب تعريف الأمم المتحدة. وأعتقد أن السيدة الفاضلة هي وزملاؤها الذين وقّعنا معهم مذكرة تفاهم يستحقون منا على الأقل إشارة التقدير.

أما فيما يتعلق بالقاعدة والإخوان المسلمين، لاحظوا اليوم التواصل أكان صحيحاً أم غير صحيح؟ مأذوناً أم غير مأذون؟ بين القاعدة وأعضائها المصريين والإخوان المسلمين في مصر. فهل هذا هو جواب على حزب الله من حيث أن حزب الله أصبح الآن متقدماً في الإعلام العالمي على الحركات السنية؟

أذكروا أن من ذهبوا من حماس للتعزية في مزارع شبعا قبل أسابيع من أحداث لبنان الأخيرة بعد قتل بعض مقاتلي حزب الله وضعتهم القاعدة على قائمة الاغتيالات، اعتراضا على أن منظمة سنية تعزي منظمة شيعية.

أما فيما يتعلق بسورية، فأعود للمقولة بأن لا حرب بدون مصر، ولا سلام بلا سورية. وباستثناء الاستفزاز الأول، وهو اجتياح الأجواء السورية

فوق منزل الرئيس السوري الصيفي، يبدو أن هنالك رغبة في الابتعاد عن الحدود السورية. لاحظوا أن التصريح السوري كان مضمونه إذا اقتربت القوات الإسرائيلية لمسافة ٢٠ كم من الحدود السورية. فيتساءل الإنسان: هل من المنتظر أن تقترب إلى مسافة ٢٠ كم لتقوم سورية بالرد؟ في حين كل التصريحات الإسرائيلية كانت: لسنا في هذه المرحلة نبحث عن عداء جديد لسورية. وأذكر بما قلته في مستهل حديثي عن التدخل الروسي الآن في طرطوس، على أهميته العسكرية فيما لو تبلور كخيار.

أتوقف عند هذه النقطة، وأفتح المجال للمشاركة، وأرجو من المشاركين أن يرفعوا أيديهم، وربما يعينني الإخوة وسيادة الشريف في تسجيل الأسماء وإدارة النقاش.

الشريف فواز شرف

شكراً سيدي سمو الأمير. وكما جرت العادة في السابق، فسنأخذ من اليمين ومن اليسار حتى يتمكن الجميع من المشاركة. وأود أولاً، بالنيابة عن سمو الأمير، أن أشكر المشاركين الكرام الذين تجشموا الحضور في هذا اليوم، وساهموا مساهمة ثرية قوية عميقة في هذا الموضوع. وربما سيكون الوقت قصيرًا جدًا للأخذ والرد. لذلك، فإني في البداية أرجو السادة الكرام أن يختصروا في وضع أسئلتهم وفي المناقشة نفسها حتى يتمكن أكبر عدد ممكن من المشاركة. سأبدأ من اليمين أولاً، ثم من اليسار وحسب الترتيب.

الأستاذة لوريس إحلاس

شكرا سمو الأمير على جميع ما تقدمت به من ملاحظات، كما أشكر المحاضرين على محاضراتهم.

أريد فقط أن أطرح سؤالاً واحداً، وهو القرار المطروح الآن في مجلس الأمن، والذي رفضه لبنان على ما أظن. أريد أن أسمع تعليقًا على هذا القرار في هذه المرحلة الصعبة، حيث كان لبنان يتوق إلى وقف إطلاق النار فورًا، ثم لتجري المباحثات بعد ذلك.

المهندس فخري أبو شقرة

الحقيقة عندي تعقيب بسيط وليس سؤالاً. إن من غير الواضح لي في النقاش أنه لم نحدد الحرب القائمة حاليًا: هل هي حرب أمريكية تقوم بها إسرائيل؟ أم هي حرب إسرائيلية تقوم بها أمريكا؟ لأن الاثنتين لهما أبعاد مختلفة، ويبدو أنه لا يوجد تنسيق كامل بالأهداف المطلوبة. لا يوجد شك الآن بأن الأمريكان سيكون عندهم بعد شهرين أو ثلاثة انتخابات للكونجرس، والجمهوريون والمحافظون الجدد بحاجة إلى نصر حاسم حتى يستطيعوا أن يكسبوا الانتخابات. فهذا الشيء يدعوني إلى التفكير بأنه لن يكون هنالك سلام في منطقتنا في الشهرين القادمين أو الثلاثة شهور لأنه لا يوجد غالب أو مغلوب حتى الآن بالمعنى العسكري المفهوم. ومن ثم، فإن أي هدف كان وراء خوض هذه الحرب بالنسبة لأمريكا أو إسرائيل لم يتحقق حتى الآن.

النقطة الثانية: نلاحظ في كل الأوقات منذ خمسين

أو ستين سنة أن الدول الكبرى تتصرف مع دول المنطقة بنوع من الضبابية والسياسات غير الواضحة، لكن تأتي فترة من الفترات تكشف عن وجهها الحقيقي. فالإنجليز والفرنسيون كشفوا عن وجههم الحقيقي في حرب ١٩٥٦. وكانت هذه بداية النهاية للنفوذ الإنجليزي الفرنسي في منطقتنا. الآن أرى أن أمريكا تفعل الشيء نفسه، وتأخذ دور العدو مباشرة وبوضوح وصراحة، وقد تكون هذه بداية لانحسار النفوذ الأمريكي الإسرائيلي من المنطقة في المنظور القريب. وشكراً.

الأستاذ فالح الطويل

شكرا سيادة الرئيس. الواقع أن هنالك أفكاراً كثيرة جداً، فعملية العصف الفكري خلقت فراغاً، والظاهر أننا انجذبنا نحن بالداخل بدون ترتيب لأن أفكاراً كثيرة تدور في الذهن. لكن سؤالي يتعلق فقط بفكرة واحدة وتعليق عليها. قال معالي عدنان أبو عودة، وأيضا قال سمو الأمير، بأنه كلما اهتزت صورة إسرائيل في الذهن العربي، ستلجأ إسرائيل إلى تصحيح الصورة بالضرب. لكن صورة إسرائيل الردعية المخيفة كانت مخيفة بالفعل في ذهن العربي حتى ١٢ تموز وقبله. إن الإذن لها بالضرب والدفاع عن نفسها في غزة كان قبل لبنان. وعندما جاءت لبنان دمرت غزة تدميراً كاملاً، وبدأت بسحق الشعب الفلسطيني في غزة. عندما جاءت للبنان أيضا كان هنالك الدعم الأمريكي بأنه يجب أن يكون لها الحق في الدفاع عن النفس. وارتبط ذلك أيضا بفكرة الشرق الأوسط الجديد، فكيف يمكن أن يكون ذلك؟ عندما بدأت إسرائيل بالضرب، دمرت لبنان ولم تدمر حزب الله، ودمرت لبنان تدميراً كاملاً. كيف يمكن أن نفهم هذا السياق؟ سياق تدمير لبنان والشرق الأوسط الجديد.

هنالك فكرة قديمة موثقة في أن صداقات الولايات المتحدة العربية هي صداقات لكسب الوقت لإسرائيل. تعتقد الولايات المتحدة الآن والمحافظون الجدد أن إسرائيل وصلت إلى القوة التي تستطيع بها أن تعتمد على نفسها. ولذلك فهي تريد أن تخلق شرق أوسط جديداً ليس فيه أصدقاء لأمريكا، وإنما فيه تابعون لأمريكا، وبالنيابة لإسرائيل. فأولاً دُمِّرَ العراق لحساب إسرائيل. ثم دُمرت فلسطين وتم التخلي عن عملية السلام. ثم دُمرت لبنان، وأنا متأكد أن هنالك اتفاقاً، كما هو واضح، بأن ضرب لبنان كان مخططاً له من قبل. فقصة الجنديين حجة صغيرة وزائفة. فقد دمروا العراق، ودمروا فلسطين، ودمروا لبنان، ودمروا عملية السلام، وستستمر القضية حتى تدمير سورية، وخلق شرق أوسط جديد مدمر ليس فيه أصدقاء وإنما فيه تابعون.

القصة التي اعترضت هي عدم قدرة إسرائيل على تنفيذ أغراضها في لبنان، وهذا هو تعريف الهزيمة في السياقات الجديدة. الآن وصلت إسرائيل والولايات المتحدة إلى الحد الذي تعتقدان فيه أن إسرائيل لن تستطيع بعد الآن أن تنفذ أغراضها. وعلى ذلك فسوف تعود الولايات المتحدة إلى سياساتها القديمة بإقامة علاقات في منطقة الشرق الأوسط الجديدة، هذا واحد من الاحتمالات. والاحتمال الثاني، كما سمعتُ من أحد الإخوان،

أن هذه مقدمات لعين جالوت أخرى.

في عام ١٢٥٨ هدمت بغداد بالسياقات نفسها التي احتلت بها وأسقطت عام ٢٠٠٣. وبعد خمس سنوات في عام ١٢٦٣، وقعت عين جالوت وهزم الصليبيون والتتار. والآن سقطت بغداد في عام ٢٠٠٣. وبعضهم يقول بدأت الإشارات لعين جالوت أخرى. وأعتقد أن في ذلك كثير من الصحة إذا آمنا به، وإذا آمنا بأن إسرائيل لم يعد لها هذه الصورة الرادعة القوية التي تخيف. وشكراً.

الشريف فواز شرف

سيقوم الآن الأستاذ حسن أبو نعمة بالإجابة عن السؤال المتعلق بالأمم المتحدة، ثم الأخ معالي السيد عدنان أبو عودة بالإجابة عن جميع التعليقات.

الأستاذ حسن أبو نعمة

سؤال الأخت لوريس إحلاس حول لماذا رفض لبنان مشروع القرار الجديد . الحقيقة أن وزراء الخارجية الأوروبيين في اجتماعهم الأسبوع الماضي اخترعوا شيئًا جديدًا لم نكن نعلم به، وهو أن هنالك مرحلة لوقف إطلاق النار قبل وقف إطلاق النار. ورفضت وزيرة خارجية أمريكا أن يكون هنالك وقف لإطلاق النار بين إسرائيل ولبنان قبل أن تتمكن إسرائيل من أن تحقق ما تريد على الأرض، وتساوم بناءً على مكاسب حقيقية على الأرض. ولما طال المطاف بإسرائيل ولم تتمكن، رفضت الولايات المتحدة رفضاً قاطعاً أن يكون هنالك شيء اسمه وقف لإطلاق النار. بعد مجزرة قانا لم يتمكنوا من معرفة قواعد إطلاق الصواريخ، ولا القواعد التي تستخدم للدفاع عن القرى اللبنانية في الجنوب، ولا مخابئ الأسلحة، فأصبح المستهدف هو المدني. بعد الإحراج الكبير نتيجة مجزرة قانا قبل المجزرة الأخيرة التي وقعت أمس، شعرت بعض الجهات مما يسمى بالمجتمع الدولي أن من المحرج الصمت المستمر على هذه المجازر، فأرادت أن تقول شيئًا عن وقف إطلاق النار دون أن يكون هنالك إغضاب لأمريكا بالحديث مباشرة عن وقف لإطلاق النار، فرأينا تعبيرًا جديدًا يظهر، وهو وقف الأعمال العدوانية، تليه مرحلة لاحقة تسمى وقف إطلاق النار. هذا شيء جديد وأخي الأستاذ عدنان أبو عودة معي.

يبدو أن مشروع قرار مجلس الأمن الجديد يهدف إلى أن يحقق لإسرائيل دبلوماسياً وسياسياً ما عجزت عن تحقيقه على الأرض. فهو قد تجاهل إلى حد كبير النقاط التي اتفق عليها لبنان، لبنان بمجمله، وليس الحكومة اللبنانية. وكان اليوم مؤتمر صحفي للرئيس نبيه برّي، رئيس مجلس النواب اللبناني، قال فيه بصراحة: إن هذا القرار الذي تجاهل الموقف اللبناني هو أيضاً وصفة جديدة لحرب جديدة، بمعنى أنه لم يذكر عودة المهجرين، ولم يشر إلى مزارع شبعا، حتى ولا إلى تسليمها مؤقتاً للأمم المتحدة. ثم لم يطلب من إسرائيل أن تغادر أية مواقع تستولي عليها الآن، أو ستستولي عليها عندما يصدر القرار بوقف الأعمال العدوانية وليس وقف إطلاق النار.

ويقول السيد بري إن حزب الله يعلن، والآن أصبحنا كلنا نعرف تماماً أن ما يقوله حزب الله

يعنيه، أنه لن يوقف القتال ما دام هناك جندي إسرائيلي واحد على الأرض اللبنانية. إذًا، إذا كان هناك جنود إسرائيليون في أي منطقة مهما كانت صغيرة في الجنوب، فسيحاربها حزب الله، وسترد إسرائيل بقصف جديد، وستشتعل الأمور من جديد. فالقرار فعلاً هو وصفة جديدة لحرب جديدة.

إن القرار نوع من المساومة التوفيقية بين المشروع الفرنسي والمشروع الأمريكي، لكنه أميل إلى المشروع الأمريكي. والمشروع الأمريكي، يجب أن نعترف، وأحب من أخي عدنان أبو عودة أن يسمعني، يعني أن إسرائيل هي الآن عضو دائم في مجلس الأمن. فجون بولتون، مندوب أمريكا في المجلس، هو أقوى من سفير إسرائيل في المجلس، وأقوى من كوندوليزا رايس، وهو يتصرف بكل حرية. فإسرائيل موجودة وتملك حق الفيتو في مجلس الأمن، وهذه هي المعادلة الجديدة التي تجعل من الصعب على الأمم المتحدة، بعد أن انهارت إلى هذا المستوى، أن يصدر عنها أي قرار.

والملاحظة الأخيرة هي أنه حتى لو صدر أي قرار، فحزب الله تحدى إسرائيل وأمريكا ويبدو أنه نجح في هذا التحدي. كيف سيصمد أي قرار إذا لم يكن باتفاق لبنان واتفاق حزب الله كجزء من التشكيلة اللبنانية؟ وشكراً للسيد الرئيس.

الشريف فواز شرف

أحب أن أقول كلمتين في السياق نفسه. إن نص مسودة القرار شاهدته ودرسته واستمعت إليه، وهوغير عادل وليس موضوعيًا، ولا يعبر عن وجهة نظر الأمم المتحدة كما هو المفروض أن تكون. فهو متحيز بالألفاظ والكلمات، وبالجمل والترتيب. ففي قليل من الأوقات يقال "جنديان"، ولا يشار إلى المعتقلين إلا عَرضًا بشكل من الأشكال. وأتحدث عن الصياغة التي توضح تماماً ما ذكره الأخ حسن من حيث أن فيها نوعًا من الاستعلاء والاستكبار. فأي شخص يطلع على القرار، سيجد أن الصياغة التي صيغ بها هي ليست فقط نوعًا من عدم المبالاة بالمشاعر و بالنقاط اللبنانية السبعة، بل هي تتجاوز ذلك إلى نوع من الغطرسة الحقيقية، وهي خالية من الروح القانونية الدستورية المتعلقة بالميثاق. بالنسبة لفرنسا وموقفها، إن العرب ما زالوا يعيشون في ظل ديغول. ومن حسن حظي أن جزء من حياتي، وآخر عمل عملته بالعمل الدبلوماسي كان سفير الأردن في باريس. فأنا أتكلم من معرفة دقيقة بموضوع لبنان ودور فرنسا في لبنان. فلم يكن دورًا مشرفًا. والعلاقة الشخصية التي كانت تربط شيراك مع الحريري علاقة كانت أكثر من اللزوم كرئيس دولة، لدرجة أنه من المستغرب أن يأتي رئيس الدولة الفرنسية، خليفة ديغول كما يعتقد العرب، وينزل إلى آخر الدرج حتى يسلم على الحريري بصفته صديق أبيه.

إن الدور الفرنسي فسره أحد الأشخاص اليوم، وهو شعور فرنسا بأنها أصبحت ذات قيمة عالية في مجلس الأمن عن طريق لبنان، وأصبحت مساوية للأمريكان (المشروع الفرنسي الأمريكي). وهذا يعني أنهم وكأنهم لم يصدقوا أنفسهم بأنهم أصبحوا مهمين، ولو على حساب لبنان. إن الكبرياء الوطني في فرنسا يبقى مستمراً حتى لو على حساب

أصدقائهم. وأعتقد أن هنالك وهمًا كبيرًا في الاعتقاد أن الموقف الفرنسي موقف سليم وجيد، سواء في غزة، أو في الدولة الفلسطينية قبل ظهور الموضوع اللبناني.

أحد الحضور

يا سيادة الشريف: الموقف الفرنسي! هل يستطيعون عمل أكثر من ذلك.

يتابع الشريف

الحقيقة أنا أتحدث من الزاوية الدبلوماسية الصرفة. فالعمل الدبلوماسي ليس بقدر ما يوجد عندك من عسكر وجنود يوجد لك عمل دبلوماسي في مجلس الأمن. ومن متابعتنا للسفير الفرنسي وقدومه إلى لبنان والدور الذي يلعبه في لبنان هو دور غريب وعجيب. وقد كان رئيس دائرة الشرق الأوسط في باريس. وأنا أعرفه شخصيًا قبل أن يصبح سفيرًا في الأردن. وهو رجل ذكي. لكن من الغريب جدًا أن اتصالاته الشخصية لا تتناسب مع الدور الدبلوماسي الحقيقي. وسؤالك في محله، لكن معنى سؤالك ينفي وجود أي شيء اسمه دبلوماسية في العالم.

الأستاذ عدنان أبو عودة

مشروع القرار واضح. إنه يقصد بأن يأتي بقوات دولية مفوضة للقيام بأعمال عسكرية حسب الفصل السابع ليكمل ما عجزت إسرائيل عن عمله، أو أن يستسلم حزب الله. ومشروع القرار هذا وضع بشكل معروف سلفاً أن حزب الله لن يقبله.

المسألة الثانية حول موضوع الأماكن. فقد قالت إسرائيل إنها ستنسحب من المواقع التي تحتلها الآن حينما تأتي القوات، التي لا يعرفون الآن ماذا ستسمى.

مسألة أخرى، أجيب على التساؤل الذي تفضل به أخي الأستاذ فالح الطويل، وهو أنه كيف ضربت إسرائيل لبنان ولم تضرب حزب الله؟ فبالعودة إلى أساسيات الحرب والسلم، فإن الحرب هي كسر إرادة الآخر، وهي تقوم بين فريقين ليكسر أحدهما إرادة الآخر. كان من الواضح من اليوم الثاني أن الخطة الإسرائيلية لها حلفاء كامنون في لبنان. وكان هؤلاء الحلفاء الكامنون ينتظرون إشارة البدء في أول ثلاثة أيام. لكن ميشيل عون أجهض تحرك القوى الكامنة، فكيف فعل ذلك؟ في اليوم التالي لبدء الحرب، أنزل ميشيل عون جماعته وهم الأكثرية المارونية في لبنان، إلى الشوارع يرتدون اللباس البرتقالي، وقاموا بدور الذي سيتلقى النازحين ويقوم بأعمال إغاثة، فقطعوا الطريق أمام أي شخص سيحول المسألة إلى مسألة: "عليهم، لقد دمروا لنا الموسم السياحي."

والعمل الثاني الذي عمله عون كان في ثالث يوم حين ضربت إسرائيل الرادار على الساحل اللبناني، فقال عون – وهو قائد عسكري كبير يفهم الأمور، ويبدو لي أنه بعد قضائه ١٥ سنة في باريس عاد إنساناً غير عادي، وأنا أحترمه كثيراً ولا أعرفه، لكن أتابع كلامه، وأكن له كل احترام بذهنه ووطنيته، فهو وطني كبير – هذه الجملة فقط: "ضَربُ الرادار هو استباق لإرسال أسلحة لأناس ينتظرونها". ولم يذكر أحدًا، فلم يذكر جعجع ولا أمين الجميل ولا الكتائب، بل قال فقط

"لأناس ينتظرونها".

وفي اليوم الثاني لبس الطاقية أمين الجميل؛ فنزل يصيح: "ما هذا الكلام، وكيف هذا يُخَوِّنُ الناس؟" فقالوا له لم يذكر أحد اسمك. فكانت هذه الجماعة تنتظر قدوم السلاح في اليوم الثاني من الحرب لضرب هؤلاء الذين تسببوا في خراب لبنان. وهكذا قطع عون الطريق عليهم ووضعهم في دائرة التواطؤ مع إسرائيل، وقطع عليهم استلام الأسلحة من الزوارق التي ضُرب الرادار من أجل أن لا يكشفها، وذلك كما فعلوا في ١٩٨٢ - ١٩٨٣.

إن لبنان ليس أمرًا سهلاً. فإذا كانت عبقرية في رأيي للسيد نصر الله، فهي في توصله مع ميشيل عون إلى ذلك التفاهم لأن ميشيل عون يتصرف كرجل وطني بمعنى الكلمة، وهو ضمانة للبنان، وهو يمثل قاعدة صورة لبنان.

فبخصوص سؤال الأستاذ الطويل، فإن إسرائيل ضربت اللبنانيين من أجل تأليبهم على حزب الله.

الدكتور طاهر كنعان

لقد عزز وزير الدفاع وقائد الجيش اللبناني هذا الموقف، حيث قال الوزير إن مهمة الجيش هي حماية المقاومة.

الأستاذ إبراهيم العجلوني

في الكلام عن السنة والشيعة، أحب أن أذكّر الإخوة هنا بأن هناك كتاباً للأمير الصنعاني اسمه "مناهج النظر في علم الأثر". وهذا الكتاب صدر في القرن الثالث عشر الهجري، وفيه يوافق الأمير الصنعاني الحافظ الذهبي، وهو من أئمة أهل السنة، على أن التشيع ثلاث درجات: ثمة تشيع مطلق، وهذا ينبغي على كل مسلم أن ينخرط فيه، بمعنى موالاة المؤمنين ومحبة آل البيت؛ ثم تشيع الفئة الذي فيه مغالاة، وهي أيضاً مغالاة المحبة ولا بأس بها، شريطة أن لا تصل إلى الغلو الذي يصبح فيه الإنسان رافضياً ويسب الشيخين. وأهل السنة يتفقون مع الشيعة عند هاتين الدرجتين، ثم حين يصبح السني ناصرياً يناصر سيدنا علي العداء، هنا يكون المحظور. فالحقيقة إن كل المسلمين في الأرض هم شيعة، بمعنى أو بآخر، لآل البيت. وهذه أرضية واسعة لإعادة التواؤم ما بين جناحي الأمة من سنة وشيعة. وشكراً.

السيد مهدي الصيفي

ملاحظة صغيرة. أعتقد أن الأنظمة العربية والمؤسسات العربية أخطأت خطأً كبيرًا منذ فترة طويلة بقبولها أن جماعة، مثل جماعة حزب الله، وجماعة، مثل حماس، هم جماعات إرهابية. فلم تستطع هذه الأنظمة والمؤسسات أن تشرح للعالم أن هؤلاء جماعات مقاومة لاحتلال. ومن هنا كان التقصير كبيراً.

الملاحظة الثانية التي أقولها لأخي عدنان أبو عودة، وقد قال إن المواطن العربي يخاف من إسرائيل، فقسماً بالله إن المواطن العربي يخاف من الأنظمة العربية أكثر مما يخاف من إسرائيل، والأخ أبو عودة هو أكثر الناس علماً بهذا الكلام.

الشريف فواز شرف

أشكركم جميعًا، وأتمنى أن نلتقي في محاضرة قادمة أو ندوة. وشكرا جزيلاً لكم باسم المنتدى. ■

العراق وتحدّيات المستقبل*

عمّان: الأحد ٢٨ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦

المحاضر: الدكتور عبد الحسين شعبان، المفكر والباحث والمستشار القانوني العراقي وعضو المنتدى

أدار اللقاء: الدكتور عدنان بدران، نائب رئيس مجلس الأمناء ورئيس لجنة الإدارة في المنتدى



د. عدنان بدران



د. عبد الحسين شعبان

أيتها السيدات، أيها السادة الأكارم

أحييكم وأشكركم على حضوركم لمناقشة التحديات التي تواجه العراق، خصوصاً في مستقبله باللحظة الراهنة، وعلى المدى المنظور على أقل تقدير.

لعلها مفارقة أن نلتقي هذا اليوم، حيث تشن السلطات الإسرائيلية منذ الصباح حملة تدميرية تصفوية إرهابية ضد الشعب العربي الفلسطيني في قطاع غزة، ويتعرض ثلاثة أرباع مليون من الفلسطينيين إلى قطع الكهرباء والماء والانقطاع تماماً عن العلاقة بالعالم الخارجي.

والمفارقة الثانية أننا نلتقي هذا اليوم بعد مرور سنتين على ما سمي تسلم السيادة في العراق، أي يوم ٢٨ حزيران/ يونيو عام ٢٠٠٤، عندما قيل إن السيادة سلمت إلى العراقيين، وشكلت حكومة برئاسة د. إياد

* من سلسلة اللقاءات الشهريّة؛ عقد هذا اللقاء [رقم (٥/ ٢٠٠٦)] في مقر المنتدى بتاريخ ٢٨/٦/٢٠٠٦.

علاوي. واعتبر البعض أن هذا التاريخ يشكل مفصلاً لعملية تحول، ولعملية تأطير للسلطات العراقية باتجاه تطبيع الحياة السياسية، وباتجاه إيجاد مخرج للأزمة العراقية التي استفحلت بعد الاحتلال مباشرة وبعد تشكيل ما سمي بمجلس الحكم الانتقالي والحكومة الانتقالية الأولى. لكن بالرغم من مرور سنتين على ذلك وأكثر من ثلاثة سنوات ونيف على الاحتلال، ما تزال التحديات في الراهن وفي المستقبل تواجه المجتمع العراقي وتواجه العراق دولة وكياناً. ويمكنني أن ألخص هذه التحديات بخمسة تحديات رئيسية:

التحدي الأول: هو تحدي الاحتلال، أي أن الاحتلال إذا ما استمر بما يقوم عليه من ممارسات، سيؤدي إلى المزيد من التدمير للبنية العراقية التحتية والنسيج العراقي، وفضلا عن ذلك سيلحق ضرراً بالوحدة الوطنية العراقية. إن الاحتلال يرفض حتى الآن أن يحدد جدولاً زمنيًا لانسحاب قواته، ويمتنع حتى عن الإعلان عن مجرد تأكيد واضح ورسمي لسحب القوّات المحتلة من الأراضي العراقية.

التحدي الثاني: هو الطائفية. ولعل الطائفية قد تكون أكثر خطراً من الاحتلال لأن الاحتلال سائر إلى الزوال لا محالة، إن آجلاً أم عاجلاً، في الحال أو في المستقبل؛ أما الطائفية فسيبقى خطرها ينخر في جسم المجتمع العراقي، ويمزق النسيج العراقي، ويصدّع الوحدة الوطنية العراقية، وبالتالي سيؤثر على تماسك الدولة العراقية. صحيح أن الطائفية ليست بنت اليوم، وأن المجتمع العراقي عانى من أشكال معينة من التمييز منذ تأسيس الدولة العراقية، خصوصاً بسن قانون للجنسية العراقية يضع درجتين للمواطنة أو الجنسية، درجة ألف ودرجة باء. صدر هذا القانون عام ١٩٢٤، أي أنه صدر قبل سن أول دستور للعراق. وقد سن أول دستور للعراق عام ١٩٢٥ وسمي بالقانون الأساسي، وكان قانونًا أساسيًا أو دستورًا دائمًا ومتقدمًا في وقته على بقية دول المنطقة، واستمر هذا الدستور إلى عام ١٩٥٨، أي أنه عاش ٣٣ عامًا.

فقانون الجنسية سبب نوعًا من الاحتقان والتوتر. ربما كان هنالك في التاريخ نوع من التوترات أو الاحتقانات، لكن عندما جرى وضع هذا القانون، قانون الجنسية، فقد قنن عملية التمييز في بعض مفاصل الدولة العراقية، وترك تأثيراته السلبية على عموم تطور الدولة العراقية. وعلى أساس هذا القانون، سن قانون آخر للجنسية العراقية عام ١٩٦٣ كان أكثر تشدداً. وخلال أعوام الستينيات والسبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، صدر الكثير من قرارات مجلس قيادة الثورة التي كانت تضيق من مواطنية بعض المواطنين العراقيين، وأقدمت على إجراءات تعسفية في عام ١٩٨٠ بصدور القانون رقم ٦٦٦، الذي أدى إلى طرد نحو نصف مليون مواطن عراقي بحجة التبعية الإيرانية المزعومة، علماً بأن هؤلاء في غالبيتهم الساحقة كانوا قد ولدوا في العراق، هم وآباؤهم وأجدادهم، وعاشوا في العراق ولم يعرفوا وطنًا سواه.

عندما جاء الاحتلال الأمريكي البريطاني إلى العراق، حاول أن يكرس الطائفية بصيغة (سحرية) في مجلس الحكم الانتقالي وضعها بول بريمر. وضع بريمر محددات للطوائف، واعتبر أن هنالك صورة نمطية للعراق، تلك الصورة النمطية رسمها الإعلام الغربي منذ حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١، واعتبر أن العراق مكون من شيعة وسنة وأكراد. أما عرب العراق الذين يشكلون نحو ٨٠٪ من سكان العراق، ويشكلون هويته وخاصّته التي رسمت عبر القرون، فقد أريد لهويتهم هذه أن تتغيب أو تُغَيَّب، على نحو تعسفي، وعلى نحو قصدي واضح المعالم. كان هذا قد حصل قبل احتلال العراق بنحو عقد ونصف من الزمن. وتدريجياً، بدأ الإعلام في العالم أجمع يتحدث عن شيعة وعن سنة وعن أكراد. أما العراق، عراق المواطن العراقي، وهويته العراقية فقد غابت وغيبت تماماً من الإعلام الذي أراد أن يقدم صورة نمطية للعراق وللعراقيين.

عزف بول بريمر على هذه النغمة عندما اعتبر أن الشيعة يشكلون أغلبية المجتمع العراقي، وعليهم أن يأخذوا ما يزيد على نصف المقاعد في مجلس الحكم الانتقالي. فحدد ثلاثة عشر مقعداً للشيعة، وخمسة للسنة، وخمسة للأكراد، وواحداً للكلدو أشوريين، وواحداً للتركمان. واعتبر أن هذه الصيغة هي صيغة مفتاح الحل السحري لهوية العراق الجديدة، أو للعراق الجديد الذي أرادوا له أن يكون عراقاً مجهرياً، بمعنى تشجيع الكيانات المجهرية، الكيانات الكانتونية، الطوائفية، المناطقية، العشائرية، الإقليمية، وتغيب عند ذلك السلطة العراقية المركزية عبر هذه الكيانات المجهرية التي تم وضعها بعناية ودقة عبر مراكز أبحاث اشتغلت طويلاً على العراق.

أقول إن الطائفية أكثر خطراً ربما من الاحتلال لأن الاحتلال سائر إلى زوال. والآن تجري في العراق عملية تطهير طائفي وعرقي على نحو لم يشهد العراق مثيلاً له. بعد أحداث سامراء وتفجير مرقد الإمامين حسن العسكري وعلي الهادي، تم تهجير نحو ١٥٠ ألف مواطن عراقي منذ ذلك التاريخ حتى الآن، أي أقل من ثلاثة أشهر، وذلك تحت خانة التطهير الطائفي أو التطهير المذهبي. وهنالك تطهيرات من نوع آخر شملت الأديان الأخرى. فمن البصرة لوحدها تم تهجير ٣٥٠٠ عائلة مسيحية، ومن الموصل هجّر عدد أكبر من العائلات المسيحية، واتجه الجميع نحو الحدود، أو إلى مناطق آمنة مؤقتاً لكي يجري ترحيلهم إلى الحدود، وبالتالي إلى المنافي البعيدة التي يعشعش فيها الزمهرير.

كان عالم الاجتماع العراقي الكبير علي الوردي قد نبه إلى خطر الطائفية منذ وقت مبكر في كتاباته المتقدمة منذ الخمسينيات عندما قال: إن الطائفية والطائفيين هؤلاء طائفيون بلا دين لأن المؤمن الصحيح والمتدين الحقيقي والمسلم المؤمن الحقيقي لا يمكنه أن يكون طائفياً. وبالتالي فإن هذه الطائفية جرى استثمارها، ويجري استثمارها حالياً، من قبل أمراء الطوائف للتعكز عليها لادعاء تمثيل الطائفة للحصول على مكاسب سياسية. بعد جريمة

سامراء تم تفجير ٩٦ مسجداً تابعاً للسنة في بغداد لوحدها، وثمانية مساجد في الجنوب واثنين في أربيل، واثنين في ديالى، وتم اغتيال عشرين إمام مسجد في عملية تطهير مذهبية. ومن المفارقة أن الحديث اليوم في الإذاعات وفي وكالات الأنباء يفيد بأن الذي فجّر قبة الإمام علي الهادي والإمام الحسن العسكري كان تونسيًا من جماعة الزرقاوي، في حين أن الطرف الآخر اتُّهم، وجرت ردود أفعال وعمليات تصفيات له تحت باب الشبهة فقط. هكذا يجري الآن في العراق، إذ ترسل الرؤوس المقطوعة في صناديق الموز، والجثث المقطوعة الرؤوس والمجهولة الهوية، إضافة إلى السيارات المفخخة، وعمليات الخطف اليومية التي تقوم بها ميليشيات تابعة لكل الفرقاء، لكل المجاميع السياسية، خصوصًا القريبة من الحكم والمتنفذة في الحكومة العراقية.

هذا هو **التحدي الثالث** الذي يهدد العراقيين، تحدي الإرهاب واستمرار الظاهرة الإرهابية. وسأتحدث عن الظاهرة الزرقاوية لأن لها علاقة ليس فقط بالعراق، فقد أصبحت ظاهرة عابرة للحدود، عابرة للقارات، ظاهرة أممية، ظاهرة مستمرة، وستستمر تأثيراتها ربما لفترة غير قصيرة.

التحدي أو الخطر الرابع هو الفساد (Corruption). كل شيء يسير الآن على نحو موزع بين الفرقاء، ولا يوجد هناك عراق واحد، ولا توجد هناك سلطة مركزية واحدة: هناك عراقات؛ هناك كانتونات؛ هناك طائفيات؛ هناك مناطق مجهرية كما أسميتها. والفساد يستمر في كل المفاصل، خصوصًا أن هنالك نوعًا من التقاسم الوظيفي المذهبي قد حصل في الدولة العراقية، لم يكن له شبيه في كل تاريخ الدولة العراقية، مع كل النواقص والثغرات والمفاسد التي عرفناها في تاريخ الدولة العراقية. هنالك التقاسم المذهبي الوظيفي من الوزير إلى الغفير، وعملية الفساد والرشوة تستمر على هذا النحو. بريمر وحده بدد ٨ مليارات و٨٠٠ مليون دولار بدون وصولات؛ مجلس الحكم الانتقالي والحكومات الانتقالية والمؤقتة التي تبعته بددت ٢٠ مليار دولار؛ وزارة الدفاع لوحدها اتهمت بتبديد مليار دولار خلال بضعة أشهر. والنفط -وخبير النفط المهندس عصام الجلبي معنا الآن- يباع منذ ثلاثة أعوام بدون عدادات؛ أي لا أحد يعرف كم يباع من النفط، وكأن هذه القضية مستعصية. يقول المفتش العام في وزارة النفط: إن ما يبدد من النفط شهرياً **بحدود (٤٠٠- ٨٠٠) مليون دولار داخليا، و(٤٠٠ - ٨٠٠) مليون دولار خارجيًا**. وهناك عصابات منظمة تقوم بعمليات التهريب بالتعاون مع ميليشيات تابعة للحكومة وبالتعاون مع جهات إقليمية، وبالتحديد مع جهات إيرانية، كما أشير إلى ذلك في أكثر من مرة.

لا يكفي أن يقال نحن في مرحلة انتقالية. وإلى متى ستستمر هذه الفترة الانتقالية؟ فقد مر علينا أكثر من ثلاثة أعوام ونيف.

لا أريد أن أعود إلى المقدمات المعروفة لدينا جميعًا بأن هنالك أخطاء استراتيجية قصدية حصلت منذ احتلال العراق، بحل الدولة العراقية، وإلغاء

مؤسساتها العسكرية والأمنية، بما فيها حرس الحدود وشرطة النجدة وشرطة مكافحة الجريمة وشرطة المرور وغيرها من المؤسسات العسكرية والأمنية.

هذا كله انعكاس وتأثير لما حصل من هذه المقدمات، وتأتي الخدمات، وهي **التحدي الخامس** بعد تحدي الفساد والرشوة. هنالك نقص في الخدمات: فهنالك أزمة طاحنة في البنزين في بلد كل وارداته من النفط؛ وهنالك أزمة في الكهرباء فتأتي ساعة وتقطع ٦ ساعات حتى هذه اللحظة، ويعيش العراق في ظلام دامس؛ وهنالك أزمة كبيرة في موضوع العمل. فالبطالة أصبحت متفشية ومستشرية. صحيح أن البطالة كانت موجودة بسبب الحصار الاقتصادي الجائر الذي دام ١٣ عاماً؛ لكن الوضع الاقتصادي لم يتحسن على نحو ملموس، كما جرت الوعود المعسولة في السابق.

قالت كوندوليزا رايس إن بلادها أخطأت آلاف الأخطاء؛ لكنها اعتبرتها أخطاء تكتيكية. ولا أدري -ولدينا خبراء في علم الاستراتيجية- إذا كانت هذه الآلاف من الأخطاء التكتيكية لا تشكل خطأ استراتيجيًا كبيرًا، وهو الخطأ الذي وقعت فيه الولايات المتحدة الأمريكية عندما غرقت في غزوها واحتلالها للعراق، وفي توغلها في هذا المستنقع.

أعتقد من جهة أخرى أن الولايات المتحدة لم تكن لتستطيع أن تقدر حجم المانعة والاحتجاج والمقاومة التي تبلورت فيما بعد لسياستها واحتلالها للعراق. وكتاب بول بريمر **سنتي في العراق** *My Year in Iraq* يفصح على نحو شديد الوضوح عن مثل هذا الحرج في التقدير الخاطئ للولايات المتحدة إزاء ترحيب العراقيين بالاحتلال. يقول بريمر: إن العراقيين في غالبيتهم كانوا قد رحبوا بزوال حكم صدام حسين؛ لكن غالبيتهم الساحقة لم تكن لترحب بوجود جيش أجنبي غير مسلم على أراضي بلادها. وهذا الكلام قاله بريمر بعد شهرين من احتلال العراق؛ فما بالك ونحن نتحدث بعد مرور ثلاثة أعوام ونيف على هذا الاحتلال!

لم يقدر الأمريكان، وهذا أيضًا خطأ غير معلن، حجم الدور الإيراني في العراق. وأعتقد أن الدور الإيراني قد قُصَّ، ولا بدّ من الحديث عنه مطولاً إذا كان الوقت يسمح بذلك. الدور الإيراني في العراق يمتد عبر أربعة أو خمسة أضلاع؛ وهنالك دور استخباري، وأمني، ولوجستي في العراق. الحدود فتحت، وكان الإيرانيون يعبرون ويدخلون ٣٠ كم بين مدينة العمارة وبين الحدود الإيرانية؛ وبمجرد العبور من شط العرب يكونون في البصرة. وهناك مراكز نفوذ أصبحت كبيرة في هاتين المحافظتين على نحو لا يمكن تصوره. فضلاً عن ذلك، هنالك خلايا سرية نائمة أرسلتها إيران منذ لحظة احتلال العراق في عدد من المدن العراقية. ومن بين هذه الخلايا، حسب المعلومات المتوافرة لدي، هنالك نحو ألف من طلاب الحوزة العلمية من أصول إيرانية أو إيرانيين أرسلوا للدراسة في جامعة النجف، أي في الحوزة العلمية، وهم يتبعون لعدد من المراجع في النجف لا يتدخلون في السياسة وليس لهم علاقة بالشأن العام، حسب

المحللين والخبراء الاستراتيجيين الذين يعتبرونهم خلايا نائمة ستظهر تأثيراتها لاحقًا بعد حين.

هنالك دور سياسي للنفوذ الإيراني عبر الجماعات السياسية القريبة من مركز القرار العراقي، أي في الحكومة العراقية وخارج الحكومة العراقية أيضًا. إيران ليس لديها علاقات مع الحكومة العراقية وأطراف الحكومة العراقية فحسب، وإنما أيضًا مع الجماعات العراقية المعارضة، بما فيها جيش المهدي ومجموعة مقتدى الصدر. وهنا ندخل في عملية الدعم الإيراني لهذه المجاميع، أي لحزب الدعوة والمجلس الإسلامي الأعلى ولمنظمة العمل الإسلامي، ولحزب الفضيلة لاحقاً، ولجيش المهدي، ولمجموعة الصدر، ولا تستبعدوا أن يكون هنالك علاقة قوية ما بين الحكومة الإيرانية، أو الأجهزة الإيرانية، لأكن دقيقاً، وبين مجموعة القاعدة، ومجموعة الزرقاوي بالتحديد في العراق.

وهنالك أيضًا وجود شبه عسكري لإيران في العراق، ويتم هذا عبر لواء بدر. ولواء بدر هو منظمة تأسست في إيران بعد تشكيل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وضمت عددًا من العراقيين الهاربين إلى إيران، أو من أسرى الحرب العراقيين في إيران. وكان يشترط عليهم لكي يطلق سراحهم أن ينضموا إلى لواء بدر فيحصلوا على امتيازات ورواتب ٦٥٠٠ تومان، إضافة إلى مخصصات وامتيازات أخرى. وهكذا ربما سجل عشرات الآلاف في البداية في لواء بدر، ودربوا تدريبًا عسكريًا، إضافة إلى عملية غسل دماغ سياسية في إيران لفترة غير قصيرة. وأرسل قسم منهم لمحاربة الجيش العراقي خلال الحرب العراقية الإيرانية، أو للقيام بعمليات داخل العراق. ويمر تمويل كل هؤلاء وتجهيزهم حاليًا عبر الأجهزة الإيرانية.

وهنالك اختراق إيراني آخر عبر المجتمع المدني. فهناك عشرات، بل مئات، من منظمات المجتمع المدني التي تدعمها إيران، ابتداءاً من مؤسسة جيش المحراب، وهي مؤسسة طويلة عريضة أخطبوطية لديها قسم لتعليم الخياطة، وقسم لتعليم حفظ القرآن، وقسم لعائلات الشهداء، وقسم للأرامل، وقسم للأطفال اليتامى، وقسم للدراسة الريفية، وقسم للدراسة المنزلية، وعشرات الأقسام الأخرى ومكتبات. هذه المساعدات الإيرانية المالية عبر عنها أحد المسؤولين العراقيين في حكومة العلاوي قائلاً: إن ٦٠ مليون دولار تصرفها إيران شهريًا في العراق.

لهذا، فالحوار الأمريكي الإيراني يمكن النظر إليه من زوايا مختلفة في الوقت الحالي وفي المستقبل. والبعض يندد بهذا الحوار، والبعض يرحب به بحماسة على اعتبار أنه سيحل كل شيء، والبعض الآخر ينظر إليه من منظار واقعي بأن هنالك نفوذًا إيرانيًا في العراق. كيف نقلل من هذا النفوذ الإيراني؟ وكيف نضع عليه التزامات محددة لكي لا يتجاوز مثل هذه الالتزامات؟ إيران تريد الاتفاق بحزمة كاملة: من الملف النووي، إلى العراق، إلى نفوذها في دول الخليج من البحرين إلى الإحساء والقطيف والمملكة العربية السعودية، إلى النفوذ

المتعاظم في الكويت حالياً، إلى موضوع سورية، إلى حزب الله وصولاً حتى إلى حماس؛ في الوقت الذي تريد الولايات المتحدة الحوار حول الموضوع العراقي وتقليل موجة العنف في العراق.

لهذا، يمكن القول إن العراق كله والتحديات التي وضعتها أمامكم، ليس فقط للحاضر وإنما للمستقبل، أمام امتحان كبير، خصوصًا أن العملية السياسية وصلت إلى طريق مسدود.

ثمة من يقولون ويؤشرون إلى أن هنالك متوالية من النجاحات السياسية. فهناك مجلس حكم انتقالي تم تأسيسه، وهنالك حكومة مؤقتة أعقبته، وهنالك دستور مؤقت، وقانون إدارة الدولة العراقية، الذي صدر في ٨ آذار/مارس ٢٠٠٤. وكذلك فقد جرى تسلم السيادة العراقية أو السلطة العراقية، وإن كان بعض بقاياها لا تزال بيد القوات المتعددة الجنسيات كما يقولون. وقد أجريت انتخابات في كانون الثاني/ يناير عام ٢٠٠٥، وسن دستور دائم للبلاد بعد الانتخابات في ٢٠٠٥/٨/١٥، وجرى الاستفتاء على الدستور في ٢٠٠٥/١٠/١٥، وجرت انتخابات برلمانية جديدة في ٢٠٠٥/١٢/١٥، كل هذه حسب الرأي الأمريكي نجاحات؛ ونجاحات باهرة.

من جهة أخرى، يجري الحديث عن حكومة دائمة. لكن أية حكومة دائمة هذه التي لم تستكمل قوامها النهائي حتى هذه اللحظة، على الرغم من انتهاء العملية الانتخابية منذ ٢٠٠٥/١٢/١٥، وفرز الأصوات منذ ٢٠٠٦/١/٢٠؟ ثم حتى لو كانت هذه الحكومة شرعية أو غير شرعية، دائمة أو غير دائمة، كيف لها أن تتخذ قرارًا؟ فحتى تتخذ هذه الحكومة قرارًا، فإن آلية صنع القرار فيها وفي النظام العراقي الحالي تتم عبر الآليات الآتية:

أولاً: لا بدّ من موافقة كتلة الائتلاف الشيعية، وهي مختلفة: فيها جماعة الصدر، وجماعة حزب الفضيلة، والمجلس الإسلامي الأعلى، وحزب الدعوة. فلا يستطيع المالكي أن يتخذ القرار لوحده؛ فإذا وافقت كتلة الائتلاف، فلا بدّ من موافقة كتلة التوافق؛ وإذا وافقت كتلة التوافق، فلا بدّ من موافقة الكتلة الكردية والتحالف الكردستاني؛ وإذا وافقت كتلة التحالف الكردستاني، فلا بدّ من موافقة كتلة علاوي ثم كتلة الحوار؛ وحتى لو وافق هؤلاء جميعًا، فهناك شيء أكبر من الدولة العراقية اسمه مرجعية السيد السيستاني، ولا بدّ من موافقتها.

وسأقول لكم ما يقول بريمر، وهذا منقول على لسانه، عن السيد السيستاني: حتى لو وافق السيد السيستاني، فهناك مرجعية أخرى، لا بدّ أن توافق إيران؛ وإذا وافقت إيران، فلا بدّ أن توافق الولايات المتحدة وبريطانيا حتى يكون هنالك قرار سالك للحكومة العراقية. يقول بريمر إنه كان على علاقة وطيدة مع السيد السيستاني، وإن هنالك نحو ٣٠ رسالة قد وصلته منه، وهو معجب بشخص بريمر، ومن المعجبين أيضًا بالديمقراطية؛ لكنه لا يريد اللقاء مع بريمر ومع قيادات التحالف الدولي لأن ذلك سيؤثر على صدقيته، أي أنه يفضل العلاقة السّرية على العلاقة العلنية. كما يقول بريمر إن السيد السيستاني كان قد طلب منه

التخلص من مقتدى الصدر، وأن موفق الربيعي، مستشار الأمن القومي، كان قد بحث مع السيد السيستاني موضوع العملية السياسية والدستورية وغير ذلك، فما كان من السيد السيستاني إلا أن يؤشر بيده أن خلصونا من هذا. ويفسر بريمر ذلك بأنه يعني قتل الشاب، قتل السيد الصدر. هنالك ثلاث قنوات سرية بين السيد السيستاني وبريمر. القناة السرية الأولى هي موفق الربيعي الذي كان ينقل عن السيد السيستاني ما يقول إلى بريمر، وينقل عن بريمر ما يقول إلى السيد السيستاني. وغالباً ما كان يعرض بريمر بعض الآراء على موفق الربيعي لكي يعرضها في مجلس الحكم الانتقالي. وقد حصل هذا مع الدكتور الباجه جي، وحصل مع آخرين غيره.

والقناة السرية الثانية هي السيد حسين إسماعيل الصدر، وهو أحد آيات الله وكان محسوبًا على ملاك النظام السابق، أو قريبًا منه، بالرغم من أنه اعتقل في فترات سابقة. لكنه في السنوات الأخيرة اقترب إلى حدّ معين من النظام السابق، وكان يلتقي السيد السيستاني، كما يقول بريمر، أسبوعياً، وينقل مباشرة ما يقول له السيد السيستاني. وعندما جاء كولن باول إلى العراق بالطائرة، انتقل مباشرة إلى بيت السيد حسين اسماعيل الصدر الذي يقول إنه زاهد بالسلطة، وبعيد عنها، ويجلس في غرفة صغيرة بلا شباك، دليل الزهد، ويجلس على الأرض وعلى فراش ربما لم يغسل لمدة ستة أشهر. وكنت قد زرته وجلست على هذا الفراش؛ لكنني فوجئت بالصور التي ينشرها عنه بريمر في قاعة كبيرة، وهنالك ليس منسف واحد، وإنما مناسف على طول الطاولة.

أما القناة السّرية الثالثة، فتمثلت بأحد العراقيين الأمريكان اسمه عماد ضياء الخرسان، وقد جاء مع الجيش الأمريكي، وكان معتمداً ومسؤولا أول عن كل عمليات الإعمار. وهو الذي وقع عقوداً بالتعاون مع البنتاغون مع نحو ١٢٠ مثقفاً عراقياً. فهل يمكن الآن التفاؤل بعد كل هذا؟ يقولون إن بمقتل الزرقاوي يمكننا أن نتفاءل قليلاً؛ فلماذا نحن متشائمون إلى هذا الحد؟ إن الزرقاوي قد قتل، واليوم قد قبض على من فجر قبة الإمام علي الهادي.

الأمريكان أنفسهم يردون على ذلك. فالسناتور الجمهوري **جون مكَن** يبدد مثل هذا التفاؤل الذي جاء على لسان الرئيس بوش، وذلك عندما يدعو إلى الحاجة لمزيدٍ من القوات الأمريكية في العراق حسب صحيفة **الفاينانشل تايمز**، ويقول إن الموقف لا يزال طويلاً جدًا وصعبًا وعصيبًا للغاية. والأكثر مما قال **جون مكَن**، وهو مرشح محتمل للرئاسة الأمريكية عام ٢٠٠٨، أن مثل هذا الشعور بالقلق والتعارض مع الإدارة الأمريكية في واشنطن يذهب إليه زلماي خليل زاد، السفير الأمريكي في العراق، وقد أرسل رسالة إلى كوندوليزا رايس، وزيرة الخارجية الأمريكية، ونشرتها صحيفة **الإندبندنت** البريطانية، ويتعرض فيها إلى المعاناة الشديدة للعراقيين في ظل تدهور الأوضاع، ويشير إلى سيطرة المليشيات الإسلامية المسلحة وانعدام

سلطة الحكومة العراقية. كما يقول: إن الموظفين الذين يعملون في السفارة الأمريكية في العراق بدأوا يخافون ويطلبون تزويدهم بوثائق جديدة تبين أنهم ليسوا موظفين في السفارة الأمريكية. ويقول كذلك: بدأنا بالتخلص من وثائق مطبوعة توضح أسماء عائلات الموظفين المحليين. وبذلك، فهذه الصورة القاتمة التي يعرضها زلماي خليل زاد تعاكس الصورة الوردية المتفائلة التي يقدمها الرئيس الأمريكي جورج بوش. وإذا أردنا أن نقول إن الظاهرة الزرقاوية لم تنتهي في العراق بعد، وإنها مستمرة بالرغم مما حصل من تصدع بمقتل الزرقاوي، إلا أن وتيرة الإرهاب ونشاط الزرقاويين في العراق قد توسعا خلال الأسابيع الأربعة أو الخمسة الماضية.

أريد أن أقول: إن الزرقاوي انتهى في العراق لأنه حاول أن يتمدد خارج الحدود. فما حصل في الأردن من أعمال إجرامية ومن ارتكاب للتفجيرات التي حصلت في الفنادق، وما نسب للزرقاوي من تفجيرات في شرم الشيخ، وما قيل من تهديدات من جانب الزرقاوي لحزب الله ربما كانت هي وراء مقتل الزرقاوي. كان عدد من الفرقاء يريدون للزرقاوي أن يبقى عراقيا؛ أي أن يكون الزرقاوي في العراق. أما وقد أصبح الزرقاوي خارج الحدود، فلا بدّ أن ينتهي الزرقاوي المعني، أي الزرقاوي الزرقاوي، وليس الزرقاوي الأمريكي، أو الزرقاوي الإسرائيلي، أو الزرقاوي الإيراني؛ ولكل زرقاويه.

كُشفت خلال الفترة الماضية مجزرة حديثة بمقتل ٢٤ مواطنًا عراقيًا من جنود المارينز في تشرين ٢٠٠٥ وسببت فضيحة. ولحقتها فضيحة الإسحاقي بمقتل ١١ مواطنًا عراقيًا من المدنيين، ومقتل اثنتين من النساء العراقيات عند حاجز في سامراء قيل إن ذلك كان عن طريق الخطأ. ولا تزال عملية حصار الرمادي مستمرة حتى هذه اللحظة. وهنالك أيضا عدد من عمليات العنف المتصاعدة ضد أوساط عراقية، وضد عدد من الأقليات، وضد المسيحيين على نحو شديد خلال الفترة الأخيرة، وضد الفلسطينيين في العراق. ولقد عاش الفلسطينيون في العراق معززين مكرمين خلال جميع سنوات الحكومات العراقية السابقة، من العهد الملكي إلى العهود الجمهورية وإلى العهد السابق. فلم يتعرض لهم أحد؛ بل كان هنالك تعاطف شعبي مع اللاجئين من جهة، ومع القضية الفلسطينية من جهة أخرى. ويبلغ عدد الفلسطينيين في العراق نحو ٣٤ ألف فلسطيني، اضطر المئات منهم إلى الهجرة، ومئات منهم موجودون على الحدود، وقد تعرضوا لعمليات اغتيال منظم وعمليات تهديد وطرد من بيوتهم على نحو منهجي ومنظم، على الرغم من كل الاستغاثات والاحتجاجات التي لم يسمع لها أحد على الإطلاق.

أريد أن أفرق أيضا بين الظاهرة الزرقاوية من جهة، وبين المقاومة الوطنية من جهة ثانية. الزرقاوي والزرقاويون تستند كل طروحاتهم إلى موضوع الإرهاب الذي يؤدي إلى تحقيق الصحوة، والصحوة ستمر عبر جسر حشد الأمة

ضد أعداء حقيقيين وضد أعداء وهميين أحياناً. وهو يفترض أن لديه أعداء لا عدّ لهم ولا حصر. ويعتبر جميع الشيعة من الروافض، وكل السنة القريبين من الحكومة أو الذين يتعاطون مع العملية السياسية، أو غير ذلك، من المرتدين. ويطلق أغلظ الأحكام على الأكراد: ليس القيادات الكردية؛ وإنما المواطنين الأكراد، الشعب الكردي. وهكذا فالزرقاوي له أعداء حقيقيون من جهة، وأعداء مفترضون من جهة أخرى. لذلك، فقد يكون استطاع أن يوظف الرفض الشعبي للاحتلال عبر بعض العمليات الإرهابية بالحديث عن عمليات من شأنها أن تمس الأمريكان؛ لكن في الكثير من الأحيان تمس العراقيين، وقد مست مواطنين أبرياء عزّل لا علاقة لهم بما يجري في العراق.

من السيناريوهات الأخيرة التي أود أن أذكرها قبل أن أختتم هذا المدخل، أقول: إن المقاومة لا تزال حتى هذه اللحظة بعد مرور ثلاث سنوات لم تبلور بشكل نهائي برنامجًا واضحًا؛ برنامجًا وطنيًا تستطيع أن تقدمه ليكون نقيضًا للاحتلال. وهذه قضية مهمة، ونتحدث هنا من باب النقد والنقد الذاتي أيضًا؛ إذ لابدّ من توضيح ماذا نريد ما بعد انتهاء الاحتلال: أي نظام نريد؟ هل نريد نظامًا سلفيًا أم أصوليًا؟ هل نريد عودة الماضي؟ هل نريد العودة إلى نظام شمولي؟ هل نريد نظاماً ديمقراطيًا؟ هذه الأسئلة بتقديري -وأنا أتحدث هنا في جمع من الوجوه الخيرة والخبراء والباحثين على كل المستويات والممارسين وأصحاب الرأي والمسؤولين- تقتضي توضيح هذه القضية بالذات.

وكنت قد تطرقت لذلك في أكثر من مناسبة على نحو يدعو للتفكير في سيناريوهات على أقل تقدير، لأن العملية السياسية ما زالت متعثرة. أقدم عددًا من الفرضيات، وأختم بالقول: إن الحكومة العراقية الحالية، على افتراض أنها حكومة دائمة، عليها إن أرادت النجاح أن تصدر ٥٥ قانونًا بموجب الدستور. فهنالك ٥٥ مادة في الدستور تنص كل منها على إصدار قانون؛ أي أن البرلمان عليه أن يعمل على إصدار ٥٥ قانونًا خلال هذه الفترة. وبناء على ذلك، فلا بدّ لهذه الحكومة أن تشكل خلال ١٢٠ يومًا، كما جاء في الاتفاق الذي حصل عشية الانتخابات، لجنة لإعادة النظر في الدستور. وهنالك ألغام، وهنالك عقد لا يمكن لأربع سنوات، حسب قناعتي، أن يجري تخطيها في الدستور الحالي، وهنالك إصرار، وهنالك تعارضات. أريد أن أسلم وأفترض جدلاً أنه سيتم الاتفاق على هذه القضية في البرلمان. فبإمكان أغلبية ثلاث محافظات أن ترفض الدستور، أو أن ترفض هذه التعديلات؛ ومن ثمّ سنعود إلى المربع الأول، أي إلى المربع صفر، ونبدأ من البداية. وهنالك الكثير من المواد التي تشكل حساسية كبيرة: موضوع عروبة العراق، وموضوع الفدرالية الجنوبية بشكل خاص، وموضوع صلاحيات الفدرالية الكردية، وموضوع صلاحيات الدولة المركزية. وأريد أن أقول لكم: إنه لا توجد دولة فدرالية واحدة في العالم مثل الدولة العراقية الحالية. فالسلطة المركزية لديها دستورها، وإذا ما تعارض هذا الدستور مع دستور سلطة الإقليم، فيخضع الدستور المركزي لدستور السلطة المحلية،

أي السلطة الإقليمية. للسلطات الإقليمية الحق في أن يكون لها فروع في الممثليات والهيئات الدبلوماسية العراقية لمتابعة الشؤون الثقافية والإنمائية والاجتماعية، ولا أحد يعرف ماذا يعني ذلك، إن لم يكن وزارة خارجية في بطن وزارة خارجية أخرى. وأقول لكم إنه تم تشكيل وزارة للشؤون الخارجية في الإقليم الكردي حاليًا؛ أي أنه أصبح هناك وزارات خاصة. ولا يحق للجيش العراقي أن ينتقل في كل الأراضي العراقية، خصوصًا في المنطقة الكردية. ولا يحق لهذا الجيش أن يؤثر على التشكيلات العسكرية المحلية، أي البشماركة، وربما الأقاليم الجنوبية... إلى غير ذلك من الإشكالات التي ستواجه الدولة العراقية. إن استمرار مشكلة الأمن هو قضية رئيسية. فهل يمكن التفكير، إذا ما وصلنا إلى طريق مسدود، في انسحاب القوات الأمريكية؟ هل ستنهزم؟ هل هذا هو السيناريو المطروح؟ لا بدّ من التفكير في هذه القضية.

قلنا فشل العملية السياسية، وقلنا إن هنالك ضحايا بشرية، وحوالي ٢٥١٠ من الجنود الأمريكيين قتلوا في العراق، وحوالي ١٨٤٠٠ من الجرحى الرسميين، وغير رسميين من المرتزقة، ومن طالبي (الغرين كارد)، ومن متقدمين للجنسية، إلى آخره. وهنالك أيضا القوات الأخرى، وحالات هروب كبيرة من الجيش الأمريكي، وطلبات للجوء السياسي في بريطانيا وفي كندا وغيرها. والكثير من عمليات الانتحار، والأمراض التي انتشرت، وانسحاب لبعض قوات التحالف، وبالمقابل فلم تنجح الولايات المتحدة حتى هذه اللحظة في إعادة بناء الجيش العراقي. ويقول بريمر بعد مرور سنة: عندما أردنا أن نهاجم الفلوجة اعتذر ثلث المجموعة المهاجمة وانسحب، والثلث الآخر تمارض ولم يذهب، والقسم المتبقي امتنع. هنالك تكلفة اقتصادية تتحملها الولايات المتحدة لا أريد أن أدخل في تفاصيلها. ويبقى السؤال الكبير: هل تستطيع المقاومة بوضعها الراهن أن تحرز نصراً على قوات الاحتلال؟ هذا سؤال كبير بحاجة إلى أن نفكر فيه جميعًا، خصوصًا مع ما هو مطروح من سياسات. ربما هنالك سيناريوهات أخرى، ومنها أن تقدم الولايات المتحدة على انقلاب عسكري في العراق وتطيح بحكومة المالكي، وتحل البرلمان، وتأتي بحكومة شبه عسكرية قوية قادرة على اتخاذ قرار لمدة عام أو عامين. عند ذلك، سترسم استراتيجيات أخرى للولايات المتحدة، ولا بدّ للحركة المعارضة المحتجة الممتنعة المقاومة سلميًا أو عسكريًا، وأن تفكر في مثل تلك السيناريوهات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ■

وثيقة مكة حول الشأن العراقيّ

مكّة المكرّمة؛ الجمعة ٢٠/١٠/٢٠٠٦

* ضمت وثيقة مكة المكرمة في الشأن العراقي، والتي وُقِّعت مساء يوم الجمعة (٢٠/١٠/٢٠٠٦) على مشارف البيت الحرام بمكة المكرمة، عشرة بنود شملت عناصر الفتنة في العراق.

وجاء في الوثيقة «أنه بناء على ما آلت إليه الأوضاع في العراق من إهدار للدماء، وعدوان تحت دعاوى تتلبس بالإسلام والإسلام بريء منها، نعلن، نحن علماء العراق من السنة والشيعة، بأننا اجتمعنا في مكة المكرمة، وأصدرنا هذه الوثيقة الآتي نصها:

البند الأول: المسلم من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول اللّه، وبهذه الشهادة يعصم دمه وماله. ويدخل في ذلك الشيعة والسنة جميعا، وأن القواسم المشتركة بين المذهبين أضعاف مواضع الخلاف وأسبابه. والاختلاف بين مذهبين هو اختلاف نظر وتأويل، وليس اختلافا في أصول الإيمان ولا أركان الإسلام. ولا يجوز لأحد من المذهبين أن يكفر الآخر، ولا يجوز شرعا إدانة مذهب بسبب جرائم بعض أتباعه.

البند الثاني: دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم حرام. فلا يجوز التعرض لمسلم شيعي أو سني بالقتل، أو الإيذاء، أو الترويع، أو العدوان على ماله، أو التحريض على شيء من ذلك، وإجباره على ترك بلده أو محل إقامته، أو اختطافه، أو أخذ رهائن من أهله بسبب عقيدته أو مذهبه.

البند الثالث: لدور العبادة حرمة، وتشمل المساجد والحسينيات وأماكن عبادة غير المسلمين. فلا يجوز الاعتداء عليها، أو مصادرتها، أو اتخاذها ملاذا للأعمال المخالفة للشرع.

البند الرابع: إن الجرائم المرتكبة على الهوية المذهبية، ما يحدث في العراق، هي من الفساد في الأرض الذي نهى الله عنه وحرمه. وليس اعتناق مذهب، أيًّا كان، مسوغا للقتل أو العدوان، ولو ارتكب بعض أتباعه ما يوجب عقابه.

البند الخامس: يجب الابتعاد عن إثارة الحساسيات والفوارق المذهبية والعرقية والجغرافية واللغوية. كما يجب الامتناع عن التنابز بالألقاب وإطلاق الصفات المسيئة لكل طرف على غيره.

البند السادس: ما يجب التمسك به الوحدة والتلاحم، والتعاون على البر. ويقتضي ذلك مواجهة كل محاولة للتمزيق، والاحتراز من محاولات الإفساد.

البند السابع: المسلمون من السنة والشيعة عون للمظلوم، ويد على الظالم. ومن أجل ذلك، يجب

إنهاء المظالم، وإطلاق سراح المختطفين والأبرياء والرهائن من المسلمين وغير المسلمين، وإرجاع المهجرين إلى أماكنهم الأصلية.

البند الثامن: يُذكِّرُ العلماء الحكومةَ العراقية بواجبها في بسط الأمن، وحماية الشعب العراقي بجميع فئاته وطوائفه، وإقامة العدل بين أبنائه. ومن أهم وسائل ذلك إطلاق سراح المعتقلين الأبرياء، وتقديم من تقوم عليه أدلة جنائية إلى محاكمة عاجلة عادلة، وتنفيذ الحكم عليه.

البند التاسع: يؤيد العلماء من السنة والشيعة جميع الجهود والمبادرات الرامية إلى تحقيق المصالحة الوطنية الشاملة في العراق.

البند العاشر: المسلمون السنة والشيعة يقفون بهذا صفا واحدا للمحافظة على استقلال العراق، ووحدته، وسلامة أراضيه، وتحقيق الإرادة الحرة لشعبه؛ ويساهمون في بناء قدراته العسكرية والاقتصادية والسياسية؛ ويعملون من أجل إنهاء الاحتلال، واستعادة الدور الثقافي والحضاري العربي والإسلامي والإنساني للعراق.

إن العلماء الموقعين على هذه الوثيقة يدعون علماء الإسلام في العراق وخارجه إلى تأييد ما تضمنه البيان والالتزام به، وحث مسلمي العراق على ذلك.

ويسألون اللّه، وهم في بلده الحرام، أن يحفظ على المسلمين كافَّةً دينَهم، وأن يؤمِّن أوطانهم، وأن يُخرج العراق من محنته، ويُنهي أيام ابتلاء أهله بالفتن.

من جانبه أكد البروفيسور أكمل الدين إحسان أوغلي، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، في كلمة ألقاها أمس أمام المجتمعين «أن هذا يوم مشهود من أيام الله، تبارت للوصول إليه ثلة من المسلمين الخيرين للتوافق على ما يحقن الدماء المراقة، ووقف إزهاق الأرواح البريئة، والقضاء على الفتن، وصد تيار المحن التي ابتلي بها العراق».

وأضاف أوغلي، الذي تلا وثيقة مكة، قائلا: «إننا رأينا في منظمة المؤتمر الإسلامي، ونحن نستشعر مسؤولياتنا أمام الله والأمة، أن ننهض بجهد خالص في سبيل مجابهة تيار الفتن في العراق». وبيَّن أوغلي «لما كان أحد أسباب الفتنة في العراق مرده ترويج أفكار دينية مغلوطة ومدسوسة على الدين الإسلامي الحنيف بتكفير المسلمين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، كان من الواضح أن رجال الدين هم أولى الناس بالتصدي لهذه الافتراءات وتكذيبها، وتنبيه من وقعوا في شباكها إلى مغبة أعمالهم.» وشدد على أن الوثيقة حظيت بقبول كبار رجال الدين والسياسة في العراق وغيره «لإيقاف نزف الدماء، وإزهاق الأرواح، والإفساد في الأرض، وملء العراق بعشرات الآلاف من اليتامى والثكالى والأرامل».

ودعا أمين عام منظمة المؤتمر الإسلامي المرجعيات والعلماء للقيام بمساهمة كبيرة في نشر هذه الوثيقة من خلال المساجد والحسينيات ووسائل الإعلام. ■

خاطـــرتان

أ. كمـال القيـسي*

-١-

جاؤونا بليل

جاؤونا بليل مدلهم أضاءه حقدهم وأطماعهم السافرة. وفي تلك اللحظةَ أيضا أضاء سماء بغداد بعض من شهدائنا العاشقين لوطنهم وأمتهم. صوَّر لهم "**أدلاَّؤهم**" سهولة المسعى وقرب الطريق... مكنوهم من حريتنا... وحرمة بيوتنا... واستباحة وطننا ورهن سيادته... ضربوا وسجنوا وعذبوا وقتلوا من "شبِّه لهم" ** ... حرقوا "أسفارنا" ... وهدموا ما بنته سواعد الحالمين الطيبين عبر الزمن. وقع "الغزو" تحت أنظار الناس أجمعين، وبمباركة بعض الأهل من "الضالين" الذين ساعدوا الغزاة، كل حسب "مروءته" ودرجة عبوديته. فعلوا ذلك من دون حياء ولا استحياء. منهم المجاهرون بحقدهم، ومنهم الصامتون بفرحهم. هاجرت عقولهم ومروءتهم منذ زمان بعيد إلى مدن غربية تدعو إلى استعباد الضعفاء وقهرهم، وسيادة الأقوياء، والالتصاق بالأرض، وحب الحياة، وكراهية الموت. ولم يجد الصامتون الضالون الغزو غريبا. فالغزو من صنع تراث ظالم مظلم، والغازي قبل كل شيء "صديق" و"حليف"، وإن تقاطعت أهدافه وبعدت نواياه.

كان الغزو "همجيا" في أساليبه، و"تتريًا" في سلوكه، و"صهيونيا" في أهدافه. وعمل منذ يومه الأول على بعث الغرائز البشرية النائمة. تمكنت دناءة وسائله من إيقاظ الطائفية والعرقية والعشائرية والدينية، وتوظيفها في تقطيع أوصال الوطن، وتعميق "الغربة" و"الاغتراب" بين أبناء البلد الواحد.

بلغ الأمر بسيد القرن "الحادي والعشرين" أن يَسُنَّ القوانين التي غيبت سيادة الوطن، وضمنت استغلال موارده، وحجز أمواله وتبذيرها، وإطلاق الفساد والإفساد في مؤسساته وبين أفراده. ولاستكمال عملية الإذلال، طلب من "سجنائه" التصويت على ما صنعه لنفسه من دستور يعكس نواياه في تقسيم العراق إلى أقاليم هامشية مقزمة ضعيفة تسهل عليه عملية استغلال الثروة النفطية للعراق. لذا فهو غطاء أُعدَّ لعمليات سلبهم ونهبهم المستقبلية. إن ما حدث ويحدث تحاول الإدارة الأمريكية أن تسوقه لمواطنيها وللعالم الخارجي على أنه انتصارات في مجال الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان. إلا أن ممارسات قياداتها السياسية والعسكرية اليومية على أرض العراق تعكس "زيف كذبها وانتصاراتها". إلى جانب هذا الكم الهائل من الكذب والتلاعب، والتدمير للإنسان والممتلكات والقيم والتراث، ومحاولة طمس هوية الوطن الحقيقية،

---

* مستشار وخبير في الطاقة والنفط؛ عضو المنتدى.

** ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم...﴾ (صدق الله العظيم).

حدث في اليوم الثاني من دخول المحتل بغداد اتصالات وعهود وفعل بين الذين آمنوا بأن حرية الوطن أثمن من الحياة نفسها، وأن إخراج المحتل واجب أقرته شرائع الله وشرائع الإنسان. وبالرغم من الجبروت الكوني والتطور التكنولوجي للمحتل، فقد نمت وترعرعت قوة الفعل الوطني الحقيقي بشكل جعل حلفاء الغزو يبحثون عن "استراتيجيات خروج" تحفظ لهم ما تبقى من سمعتهم الدولية ومكانتهم الإقليمية. إن العملية السياسية الدائرة الآن ما هي إلا محاولة بائسة لإضفاء الشرعية على أدلاّء المحتل، وما قاموا به من تخريب وتدمير في الأنفس قبل أي شيء آخر. يرى الكثيرون أن ذلك باطل في باطل لكونه يهدف إلى الالتفاف على حق المطالبة بالتحرير التام وكسر القيود. كما يرى البعض من الحكماء أن خروج المحتل سلميا وبأسرع وقت قد يساعد في تهدئة الخواطر، ومد الجسور لبناء مصالح مستقبلية متوازنة مشتركة. إن تأخر عملية الجلاء والمماطلة فيها يزيد من حجم الكوارث الإنسانية، ويجعل حقوق الوطن في عهدة حملة رايات المقاومة. ■

-٢-

صرخة جيل يحتضر

أنبياء عصرهم . دعاة الحرية والسيادة الوطنية. الحالمون بتوفير الكرامة للضعفاء والمساكين. الرافضون لفساد العقل والحكم. الكارهون للكسل وأثرياء الاستغلال. الناظرون للشمس دوما بعيون مفتوحة وقلب واحد يرتعش. لكل ذلك كتبوا وجاعوا وتشردوا وسجنوا ومات الكثيرون منهم وهم يصرخون، يحيا الشعب. . . يحيا الوطن. فشلوا في إقناع "رؤساء قبائلهم" بالأخذ بالشورى وديمقراطية الشعب. وأصرّ الشيوخ أن يحتكموا إلى أصنام الصحراء وأصنام المال. طالبت مشاعل الأمة بتوحيد الإرادات وتفعيل الإنسان وثروة السماء. فأشار الغرباء على المعتكفين في الظلام بأن تلك دعوة باطلة تستهدف قتل الحاكم وموت الدين وانزواء دهاقنة المال. ولاستغفال الحالمين وتضليلهم، أنشئت صروح ومؤسسات، وأعلن عن مشروعات كثيرة مشتركة قتلت على طاولة لجان اجتمعت في دهاليز مظلمة من الشك والفرقة. غارت مشروعات التكامل السياسي والاقتصادي والاجتماعي ليقوم بدلا منها مشروعات قُطريّة عظيمة ترتكز على إدارة الغير واقتصاده. أقيمت جدران عالية ملساء في وجه المساكين من قبائل هذه الأمة، وأزيلت عن آخرين لتفضلهم في توجيه النهب وترحيل المال العربي. حوصرت الثروة الفائضة وتم تهريبها إلى بنوك الغرب لكي تكون في منأى عن الطامعين، وبعيدا عن الاستفادة منها داخل الأمة للخروج من مأزق دائرة الفقر. لهذا وذاك صودرت عقول، وسجنت أفكار الناس وأرزاقهم وآمالهم وأنفسهم، وأجبر النخبة منهم على أن يكونوا

وعاظ سلاطين. لا رأي يُسمع، ولا أحد يُنصف. وترك الناس هائمين داخل أنفسهم بلا هدف، يرهبهم الخوف والجوع في ظل عصر المكرمات. تاهت عقولهم وانهارت أرواحهم على أعتاب المتاجرة بمقدساتهم وذبحها قربانا رخيصا في هياكل باطنية بعيدة عن ضمائر الناس. وفي طريق الآلام، قتل أكثر من مسيح وحلاّج، ومات من كمد الصراخ في وجه الطاغوت رجال أبي ذر وعلي والحسين. قتل الكثيرون منهم بمباركة صناديد قريش وأصنام الكعبة. وبعد سنين عجاف متعاقبة، ظهر علينا من حيث لا ندري رجال بعمائم لم نرها من قبل، تدعو إلى الواقعية والقبول بالضعف والانحناء أمام الهيمنة، بطمس حقائق التاريخ ونسيان الجروح والتعايش بسلام مع أنفسنا وأنفسهم، وأن نقبل تجديد جلودنا ومعتقداتنا، وأن نبارك لأبطال سلام الشجعان الخائبين وعولمة المردة من الجن والشياطين. وقف أمام تلك الدعوة الباطنية بقايا أنفس حرة تحتضر. فنصبت لها فخاخ حروب سياسية واقتصادية وعسكرية شارك في الإعداد لها والتمويه حولها بعض ممن ادعى حب الأمة والسلام. توّج مسلسلُ الحروب بغزو بغداد، مدينة الحالمين، لإطفاء قناديل أحلام اليقظة وإشعال الحرائق في لوائح أنبيائهم، وتدمير مناسك إنسانيتهم وتشويهها. وقُتل أطفالهم لكي لا يكونوا شهودا على جريمة العصر والدهور. حوصر الناس وطوردوا وقتلوا وشوّهوا بعد أن صنّفوهم تصنيفا همجيا لم يقره الله الأزلي بنواميسه، ولا الأديان المادية الأرضية في شرائعها. قتلوا النخبة وشردوها لكي لا يسمع للعقل صوت. شردوا وانتشروا على أرض عربية طالبتهم بمستلزمات الإقامة المشروعة على أراضيها. تفجرت في القلوب دموع أحزان الغربة والاغتراب، فأوجدت ألما حادا موجعا لا يعرف النوم. تائهون في الأرض من غير هدف أو أمل يرتجى. قلوبهم فراغ وعيونهم ترنو إلى الأهل والعشير الذين تسحقهم صباح مساء رموزُ العصر الرديء للديمقراطية وحقوق الإنسان، الدّاعون إلى مزيد من التقسيم للأوطان وتفكيك للتاريخ والتراث. كل ذلك حدث ويحدث والناس نيام، وما هم بنيام. وقبل أن نقرع قاع القهر واليأس، استيقظنا على بؤس تفجير لبنان وأهله بقنابل حقد قديم أعمى يؤكد إصرارهم على مطاردة أنبيائنا وحوارييهم وصَلبهم أينما وجدوا من أجل أن يقيموا هيكلهم على خراب شرق أوسطنا القديم.

إنّني خجل مما نحن فيه من ضعف وهوان. خجل من دموعي التي لا يصاحبها صراخ. خجل من بعض قومي، أثرياء الكوارث الوطنية. خجل من الذين يقايضون كراسي الحكم بأشلاء الأطفال والشيوخ والأرامل وركام أحلام التائهين. خجل من سماسرة الدم والأعراض الوطنية. خجل من احتضاري على جيف هذا العصر. وأمنيتي الأخيرة أن تقتلني صرخة حق مسموعة تلحقني بأرواح البؤساء من عصر ولّى وانتحر. ■

مقـــالات

منهج البحث في التراث الفلسفي العربي

د. عبد الأمير الأعسم*

إن (مناهج البحث في التراث العربي الإسلامي) تنطلق في محاورها دائمًا من جابر بن حيان، والكندي، والرازي، والفارابي، وابن سينا، وابن الهيثم. وأُضيفَ إلى هذه القائمة ابن رشد.

جميع هؤلاء الفلاسفة مشرقيون ماعدا ابن رشد، ممثل فلاسفة المغرب. وهنا نقف قليلاً أمام هذا التقسيم الذي رأيناه مشرقيًا ومغربيًا.

فالمناهج التي سار عليها المشرقيون سابقة لمناهج المغربيين. ولا أحدَ من مؤرخي الفلسفة العربية في الإسلام يستطيع أن يذهب إلى أن الفلسفة المشرقية متأثرة بالفلسفة المغربية؛ لكن العكس صحيح.

وإن القول بدراسة (مناهج البحث) مسألة هي الأخرى تحتاج إلى إيضاح. فالمناهج البحثية على هذا النوع من الدرس المعاصر لا تتفق مع طبيعة أعمال الفلاسفة العرب لأن علم المنهج (Methodology) هو من معطيات القرن التاسع عشر. وهو علم يدرس المناهج المختلفة للمعارف والعلوم لكي يضع لها قوانين وقواعد شاملة، على الرغم من تنوع المعارف والعلوم في عصرنا. لذلك، فليس من الصحيح، في رأينا، الذهاب إلى القول: إنّ مناهج البحث في التراث العربي الإسلامي كانت مختلفة، منظورًا إليها من مفهوم المنهج المعاصر. لكن اللجوء إلى التبرير الفلسفي لتنوع المناهج في البحث هنا يرجع إلى المشكلة الأساسية للمنطق الذي اعتبرته الفلسفة القديمة والإسلامية، وحتى اللاتينية، منهج البحث الفلسفي في العلوم والمعارف لذلك العصر الذي نهتم بدرسه، قديمًا أو وسيطًا، إسلاميًا أو لاتينيًا.

وخلاصة القول: إن مناهج البحث في درس الفلاسفة العرب لا تخرج عن كونها نظرية وعملية. فالمنهج النظري، ميتافيزيقيًا أو رياضيًا أو هندسيًا، هو اتجاه تحليليّ في الدرس الفلسفيّ. أما المنهج العملي، فهو إخضاع المعارف لفحص الحواس وتراكم الخبرات الفعلية للتقدم العلمي: لا التقدّم العقلاني فحسب، لأن العلم هو الذي يتقدّم من خلال الاستكشاف والاختراع، وليس العقل الذي يتقدم على هذا المعنى؛ بل تتأكد معانيه

* أستاذ تاريخ الفلسفة والمنطق / جامعة عدن.

الاستشراقية في التحليل والتركيب، وعليه تقوم التجريبية العقلية.

فالفلاسفة العرب لم تكن لهم مناهج مخالفة في البحث عمن سبقهم من حيث التوسّع في الوعي العصري للمشكلات الفلسفية التي ظهرت في ذلك الحين. لكن هذا لا يمنع من القول إن الفلاسفة المشرقيين اعتمدوا، كما أرى، على أربعة مناهج:

١- المنهج الاستنباطي: وممثلهم في هذا الكندي والفارابي وابن سينا.

٢- المنهج الاستقرائي: وممثلهم في هذا ابن الهيثم.

٣- المنهج التاريخي: وممثلهم في هذا الاتجاه جابر بن حيان وإخوان الصفا.

٤- المنهج الجدلي: وممثلهم في هذا الإمام الغزالي.

وعوْدًا على بدء: إن أول ما يتبادر إلى الذهن، ونحن نطالع عنوانا كبيرا كهذا (مناهج البحث في التراث العربي الإسلامي)، أن الموضوع هنا ليس بالضرورة فلسفيًا، بل إنه لا يبدو علميا (Scientific)؛ لكن حدود الشخصيات المقترح البحث فيها ودرسها هي فلسفية علمية بلا أدنى ريب. لهذا، لو قدر لنا أن نُسأل عن هذا العنوان لاقترحنا بدلاً منه: (مناهج البحث الفلسفي والعلمي في التراث العربي الإسلامي).

من الواضح أن جابر بن حيان، والكندي، والرازي، والفارابي، وابن سينا، وابن الهيثم، لا يمثلون كل الفلسفة العربية في المشرق. فهنالك بلا شك مكانة مهمة لإخوان الصفا بعد الفارابي، وللغزالي بعد ابن سينا. وليس بين ابن سينا وابن الهيثم فراغ؛ بل، على العكس، ثمّة امتداد متصل للفلسفة المشرقية التي امتزجت بالعلم صراحة، كما نعلم ذلك الآن من قراءتنا لتاريخ الفلسفة المغربية التي يمثلها ابن رشد.

إننا نلاحظ التقريرية الوثوقية لدى مصطفى عبد الرازق في كتابه **تمهيد في تاريخ الفلسفة الإسلامية** الذي ظهر قبل أكثر من نصف قرن. ومن جهة ثانية، جاء دور التبعية التفسيرية لآراء المستشرقين في مناهج هؤلاء الفلاسفة والعلماء العرب. فنتج عنها سيل من الآراء التي اتسمت بالفوضى المنهجية أولاً وبالذات. وتبعًا لذلك، ظهرت الاجتهادات وفق هذه الصيغ مجتمعة عند كل مؤرخي الفكر الفلسفي والعلمي بلا استثناء. أمّا بالنظر إلى مشكلة مناهج الفلسفة بمعايير أملتها عليهم نتائج الفلسفة الحديثة والمعاصرة، فكانوا يجحدون بحقوق هؤلاء العرب من الفلاسفة والعلماء. وهذا ما كان يهدف إليه الاستشراق الكلاسيكي في استلاب استقلاليتنا العقلية في معالجة تراثنا الفلسفي والعلمي في الإسلام. وبالنظر إلى المشكلة بحسبانها مشكلة منهجية فعلاً، وهي ليست كذلك، فنظروا، كمؤرخين، إلى الفلاسفة والعلماء وفق تصنيفات فلسفية علمية قديمة (يونانية ولاتينية متقدمة)، ولاهوتية فلسفية عملية لاتينية وسيطة، وما عاصر تأسيس العلم في عصر النهضة الأوروبية الحديثة.

إذاً، نحن إزاء مشكلات كثيرة لايمكن حصرها. لكن من الممكن عرض نماذج منها لكي نستطيع أن نلم بالطريقة التي تهدف إلى إعادة قراءة مناهج الفلاسفة والعلماء العرب في التراث العربي

الإسلامي في الشرق أولاً، وإلى المساهمة في إيجاد مناهج حقيقية لدرس هؤلاء الفلاسفة والعلماء المشرقيين من ناحية منهجية فعلاً، وليس تأويلاً أو استخدامًا للمواد والنصوص وفق متطلبات غير دقيقة للباحثين. فلو أخذنا، على سبيل المثال، كيف ينظر إلى الفلاسفة العرب وعلمائهم من المشرقيين فيما بين أيدينا من كتب المحدثين والمعاصرين، عربًا وإسلاميين ومستشرقين، لوجدنا التقسيم التقليدي للاتجاهات الفلسفية في التراث إلى مناهج أفلاطونية وأرسطوطاليسية وأفلاطونية محدثة؛ أو حتى إلى فيثاغورية ورواقية أحيانًا. وواضح أن هذا خلط بين المذاهب والمناهج.

ومثال آخر: إن مؤرخي الفلسفة بحاجة فعلية لقراءة منهجية. فالفلاسفة العرب، والمشرقيون منهم خاصة، يُدرسون على أساس مناهج مثالية وواقعية وغنوصية -وهذه كلها اتجاهات، وليست مناهج كما ندرك اليوم.

ومثال ثالث: يدرس بعض مؤرخي الفلسفة العربية الفلاسفة المشرقيين على أنهّم عقليون أو ماديون، أو إشراقيون، مثلا -وهذه كلها خصائص لأعمال الفلاسفة، وليست مناهج فلسفية عملية.

ومثال رابع: وجدنا الكثير من مؤرخي الفلسفة يقرأون الفلاسفة العرب، والمشرقيين منهم خاصة، منظوراً إليهم من النصوص المنسوبة إليهم بلا تمحيص دقيق بين الصحيح والمنحول منها - وهذا ما تعرض له جابر بن حيان، والكندي، والفارابي، والرازي، والغزالي، وابن سينا، وحتى ابن رشد، أستاذ فلاسفة المغرب. إن المسؤول في رأينا عن أغلاط الباحثين، وفق مناهج تلفيقية مرة أو توفيقية مرة أخرى، هو في الحقيقة ليست المناهج، بل هي إما أن تكون فلسفة صحيحة، أو فلسفة منحولة.

والعجب العجاب أن نجد كل ما ينسب إلى الفلاسفة في البحث عن مناهج هي ليست مناهج، بل اجتهادات وتفسيرات، أو إدراكات تقع ضمن خصائص عصر كل فيلسوف. ومن ثم، نجد ادعاءات كثيرة عند بعض مؤرخي الفلسفة بالقول بالمنهج الأفلاطوني عند الفارابي، أو المنهج الأرسطوطاليسي في منطق الفارابي، أو المنهج الفيثاغوري عند الرازي، أو المنهج الأفلوطيني (الغنوصي) عند إخوان الصفا؛ بل إننا وجدنا مَن تعثّر في قراءة نصوص ابن سينا فحسبه من خلال فلسفته المشرقية غيره في فلسفته قبل المشرقية. وتبعًا لذلك، يظهر لنا الغزّالي مشكلة تحتاج إلى حل لأنه يحمل صفات هؤلاء الفلاسفة في مناهجهم المتعددة، على الرغم من عدائه الصريح للفلسفة.

لكن، بعد كل هذه التساؤلات والشكوك وعدم الثقة التي نوجهها نحو مؤرخي الفلسفة العربية في الإسلام، نتساءل مرة أخرى: هل نستطيع أن نستقر على صياغة سليمة وصحيحة للمناهج عند هؤلاء الفلاسفة المشرقيين أولاً؟ وكذلك المناهج التي يجب أن يتبعها الباحثون المعاصرون في دراسة الفلاسفة المغربيين من جهة أخرى؟

إن هذا البحث هنا يجيب عن كل هذه التساؤلات والشكوك، وإعادة الثقة إلى قراءة فلسفية عربية مشرقية، آخذين بنظر الاعتبار أننا نرفض رفضًا

قاطعًا مايراه محمد عابد الجابري في انفصام العقل المشرقي عن العقل المغربي. فهذه خرافة ابتدعها خيال المستشرقين، وحوّر فيها الجابري، تبعا لموقف فوكو (Foucault) من القطيعة المعرفية مع الماضي، باعتبارها منهجيا مشكلة تفسر العقل العربي باتجاهين: اتجاه المشرقيين، واتجاه المغربيين.

ولنرجع الآن مرة آخرى إلى تحديد المنهج فلسفيا بأنه "الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة" [بدوي، مناهج، ص٥]. ومعنى هذا، بلا أدنى ريب، أننا في إطار المنطق عند الفلاسفة، باستعمالاته العقلية والصورية منها بوجه خاص، كأقيسة برهانية وجدلية وخطابية وشعرية. ولا يمكن للفيلسوف العربي الإسلامي، من جابر بن حيان وصولا إلى ابن الهيثم من الفلاسفة المشرقيين، إلا ويكون قد خضع لها كغيره من الفلاسفة في العصور السابقة، صعودا إلى أرسطوطاليس العقلاني، وأفلاطون الرياضي، وسقراط الجدلي. إذًا، نحن هنا لسنا أمام مناهج متعددة للفلاسفة المشرقيين إلا من هذه الحدود المنظمة للعملية الفلسفية والعلمية:

١- المنهج الجدلي.

٢- المنهج الرياضي (البرهاني).

٣- المنهج العقلي.

ولا أحسب أحدا يجرؤ اليوم على القول إن الفلاسفة العرب المشرقيين لم يكونوا فلاسفة من الناحية المنهجية التي ذكرناها إلا ويكون من ضحايا المستشرق إرنست رينان (E. Renan) في كتابه المشهور "**ابن رشد والرشدية**" [ظهر ١٨٥٢ أول مرة في باريس].

ولكي نعطي الموضوع حقّه من الإدراك الحقيقي لموضوع (المنهج)، أقول إن مجمل الموروث المنطقي لأرسطوطاليس كان منهجًا للمشائية حتى زمان الفلسفة الأوروبية الحديثة، حتى في حالات الالتباس بين حساب المنطق خارج الفلسفة (فهو طريقة ومدخل وآلة لها)، كما فعل أرسطوطاليس. لكن رجال عصر النهضة الأوروبية أدركوا هذا المعنى، فاعتبروا المنهج منطقًا، كما اعتبروا المنطق منهجًا. وخلاصة القول: إن هنالك (التحليل)، وهو يمثّل المنهج التحليلي للأفكار الموضوعة في شكلها المادي للاختراع، ويشمل ما يمكن أن نكتشفه ونعلمه للناس الآخرين؛ أو إن هنالك (التركيب)، وهو يمثل إعادة توليف الجزئيات المعرفية والعلمية لتكوّن المنهج التركيبي للأفكار الموجودة أصلاً وأدركنا قوانينها ومنطق العلاقة مابينها.

نحن هنا إذًا إزاء منهجين:

١- المنهج التحليلي.

٢- المنهج التركيبي.

إن هذين المنهجين اتبعهما الفلاسفة العرب المشرقيون كافة لأن القياس الفلسفي هنا أن ندرك أن الأول هو منهج استدلالي، والثاني هو منهج تجريبي. ومعنى هذا أن جابر بن حيان، والكندي، والفارابي، والرازي، وإخوان

الصفا، والغزالي، وابن سينا، وصولاً إلى ابن الهيثم، كانوا مناطقة، واستعملوا هذه المناهج الفرعية للمنطق في التحليل والتركيب أينما وجدوا أنفسهم يعالجون مسائل الفلسفة والعلم بين أن يكون:

١- المنهج الاستدلالي.

أو ٢- المنهج التجريبي.

ولكي نقف على حقيقة هذه المسألة الشائكة في ما نحن بصدده من الوعي بالمنهج أو معرفة علم المنهج، فإننا نحتاج دائما إلى معرفة أنه كان مراد جميع الباحثين في الفلسفة العربية الإسلامية أن يعالجوا مسائل فلسفية لواحد من الفلاسفة، أو لجزء من فلسفته، أو حتى لمذهب فلسفي محدد، لكنهم وقعوا أسرى في ما ندركه اليوم من علم المنهج (Methodology) أولا، وليس الطريقة التي تفيد الوعي بالمنهج (Method)، أولا وبالذات. ومن ذلك الزعم بأن الفلسفة المشرقية منهجيا هي غير الفلسفة المغربية التي سنتناولها في مباحث أخرى عن ابن رشد. ومن الضروري أن نفطن إلى أنه ليس لدينا "القوانين" التي تحد الباحثين في مناهج الفلاسفة العرب المشرقيين، فلقد نزعت هذه القوانين إلى التعددية والانشطار حتى صار من المستحيل أن ندرك كيف درس الباحث (س) الفيلسوف العربي المشرقي على نحو مخالف لفيلسوف عربي مغربي، مهما كان، إلاّ من منظور معاصر، مثلاً:

١- منهج أيديولوجي.

٢- منهج بنيوي.

٣- منهج تفكيكي.

وأضاف بعض الدارسين العرب المعاصرين إلى هذه المشكلات إشكالية أخرى من خلال قراءات النصوص وتفسيرها وتأويلها على نحو يخالف واقعها، فزعموا أنها تقع ضمن قراءة علم المنهج عند الغرب، وليس مستفاداً من الفلسفة العربية نفسها:

١- منهج جدلي تاريخي.

٢- منهج نقدي موضوعي.

٣- منهج تأويلي ذاتي.

لكن الفلاسفة العرب المشرقيين كافة، وتبعا لهم كل الفلاسفة المغربيين، لم يعرفوا كل هذه المناهج لأنها لم تكن في تصوراتهم المنطقية حتى وهم يختلفون في إدراك المسائل الفلسفية والوصول إلى نتائج تخالف التيارات المعروفة قبلهم أو بعدهم.

من هنا نرى بسهولة لماذا يقع الباحثون في دراسة الفلاسفة العرب المشرقيين في مشكلات ما كان لهم أن يقعوا فيها لولا أن ازدواجية الفلسفة والعلم عند الفلاسفة العرب كانت أظهر مما هي عليه الآن في الفلسفة الأوروبية الحديثة. فالفلسفة والعلم (بعد انحسار العلاقة بين الفلسفة والدين) لايمكن أن يؤديا إلا إلى منهجين:

١- المنهج النظري.

٢- المنهج العلمي.

وكان الفلاسفة العرب المشرقيون مخلصين لهذا الاتجاه في التقسيم على الصعيدين الاستدلالي

والتجريبي. ولم يكن هذا الاتجاه هو ما يقع ضمن (الاقتباس والتحوير) وفق مفاهيم المستشرقين عندما درسوا الفلسفة العربية الشرقية، فألبسوها ثوب التقليد، وثوب الغنوص، وثوب العقيدة الوثوقية (Dogmatism).

فهذا الحكم كله يسري على الفلاسفة القدماء جميعا، كما نرى، وعلى الفلاسفة المغربيين واللاتين فيما بعد العصر الوسيط.

ومن هذا ندرك أن هنالك إشكاليات مختلفة يقع فيها الباحثون في قراءة منهج كل فيلسوف من فلاسفة المشرق العربي إذا فصلوه عن نظيره عند الفلاسفة المغربيين. وهي إشكاليات بين أن تكون منهجية أو إبستمولوجية معرفية [أنظر: موسى، **مناهج البحث العلمي عند العرب**، ص ٣٢ - ٣٣]. فالتفريق بين مناهج البحث (Methodology) ونظرية المعرفة (Epistemology) هو في أن ندرك أن المراد بمناهج البحث العلمي، تبعا لموي، هو "الدراسة الفكرية الواعية للمناهج المختلفة التي تطبقها مختلف العلوم تبعا لاختلاف موضوعاتها" [موي، **المنطق وفلسفة العلوم**، ترجمة فؤاد وزكريا، جـ ١، ص٥٧]. كما يجب أن ندرك أن المراد بالإبستمولوجيا هو النقد العلمي للمعرفة التي تدرس "العمليات العامة التي يستخدمها العقل البشري في مجال العلم". والاختلاف بين المفهومين واضح.

من هنا نفهم لماذا نحن بحاجة دائما إلى دراسة استنباطية لنصوص الفلاسفة العرب المشرقيين، على الرغم من استعمالاتهم للقياس المنطقي بأنواعه ليكون استدلالا، وعلى سياقه استنتاجا، وعلى منواله حدسا. هذا كله استعمله الفلاسفة العرب المغربيون على نحو يربطهم بالجانب الآخر من الفكر الفلسفي المشرقي الذي ندرك أصالته وأولويته بجلاء، وهو اعتماد الفلاسفة على الاستقراء بدرس الوقائع بأجزائها وتفصيلاتها في الطبيعة والأفراد. واستكمالا لهذا الاتجاه في تفسيرنا، نجد الفلاسفة العرب المشرقيين والمغربيين:

١- استعملوا مناهج استنباطية في كل ما اعتمد على العقل في الإدراك.

٢- استعملوا مناهج استقرائية في كل ما اعتمد على الحواس في الإدراك.

٣- استعملوا مناهج الحدس في كل ما لايعتمد على العقل والحواس.

وواضح أن الاتجاه الأول فلسفي بحت، والثاني علمي بحت، والثالث ديني بحت. ولايمكن لواحد منا نحن المعنيين اليوم بتاريخ الفلسفة العربية في الإسلام إلا النظر بإكبار إلى الفلاسفة المشرقيين الذين استطاعوا أن ينهجوا بين هذه الاتجاهات الثلاثة على نحو أثار الحماس عند الفلاسفة المغربيين، كما أثاروا في المشرق والمغرب التيارات الثقافية المضادة للفلسفة في عصر ازدهار الفكر الفلسفي والعلمي عند العرب.

والسؤال الكبير الآن: هل يجوز لنا اليوم أن ندرس النصوص الفلسفية للفلاسفة العرب، مشرقيين مرة ومغربيين مرة أخرى، دون النظر إلى جدلية العلاقة بين المشرق والمغرب، وهذا المنحى يدفعنا إلى منهج بحث يكون دائما بمعزل عن إنجازاتهم

في العلوم الأخرى؟

وإذا كان السؤال كأنه غير موضوعي لأسباب تكمن في عقول الباحثين اليوم من مواقف أيديولوجية ومذهبية وطائفية وعنصرية وقومية وقطرية، بل إننا أحيانا نجدها متعالية على المدروس من الفلاسفة، فيظن الباحث وهو يدرس الفارابي مثلا:

١- أن الفارابي كان توفيقيا.
٢- أن الفارابي كان مثاليا.
٣- أن الفارابي كان فيلسوفا وليس عالما.
٤- أن الفارابي كان منطقيا أكثر منه فيلسوفا.
٥- أن الفارابي هو المعلم الثاني بعد أرسطوطاليس.
٦- أن الفارابي هو أستاذ ابن رشد.
٧- أن الفارابي كان من إخوان الصفا (سرا !!).
٨- أن الفارابي يعتبر النموذج الذي احتذاه الفلاسفة المشرقيون والمغربيون.
٩- أن الفارابي هو الذي أوحى للصوفية بالنزعة الحدسية.
١٠- أن الفارابي هو الذي فهم أفلاطون حق الفهم بلا مدافع.

وهكذا، بعد عرض هذه المسائل التي نستخلصها من الباحثين عربا وإسلاميين ومستشرقين، ندرك لماذا وقع الباحثون العرب في المشرق العربي ومغربه أسرى النزعات المختلفة بلا حلول. فنحن يمكننا أن نسوق على هذا المنوال نسيجا هائلا من التفسيرات التي قلنا في البداية إنها صدرت بلا منهج من الباحثين العرب.

ومن هذا نستنتج أن الفلاسفة العرب المشرقيين والمغربيين لم يدرسوا من مناهجهم ذاتها، بل من مناهج عقول الباحثين الذين تعرضوا لهذه الفلسفة أو تلك.

ولنكن هنا على حافة الاستطرادات، ولننصب الهدف الذي من أجله عقدنا هذا البحث؛ فماذا نجد؟

إن الفلاسفة العرب، المشرقيين والمغربيين، هم ليسوا كل هؤلاء الذين تعرض لهم مؤرخو الفلسفة العربية في الإسلام. فهنالك غيرهم العشرات الذين لا يقلون شأنا عن المدروسين، لكن بعضهم ضاعت نصوصه، وبعضهم مازالت نصوصه مخطوطة غير معرفة. والمشكلة التي تظهر هنا هي كيف نفرق بين الأصل والفرع. فالمدرسة المشرقية بلا شك هي مدرسة فلسفية علمية معقدة وشائكة، وهي أصل المدرسة المغربية عند فلاسفة الأندلس والمغرب العربي. لكن من ناحية الأصول، هي بحد ذاتها تقع في تيارين من الناحية التكوينية:

١- مدرسة بغداد في العراق.
٢- مدرسة ما يقع شرق العراق.

ومن هذين التقسيمين الجغرافيين سنعرف أن الفلاسفة العرب المشرقيين هم أنفسهم كانوا نوعين من الفلاسفة:

١- فلاسفة مغربيون، وهم من ساروا على منهج الفارابي، في مدرسة بغداد المنطقية.
٢- فلاسفة مشرقيون، وهم من ساروا على منهج ابن سينا، في مدرسة المشرق الإسلامي.

فالأولى مغربية، جغرافيا، قد اعتمدت "المنطق" منهجا حقيقيا لها في تصنيف الكتب الفلسفية والعلمية معا، وتبويبها وتأليفها.

والثانية مشرقية، جغرافيا، وهي التي تجاوزت في مرحلة تالية لها "المنطق" كمنهج، فذهبت إلى الإشراق تفسيرا منهجيا في الفلسفة، لكنها استوحت الثقافات المغايرة لأرسطوطاليس في العلوم والمناحي التجريبية المختلفة.

هنا، نحن لسنا أمام ألغاز، بل حقائق هي أن منهج البحث في الفلاسفة العرب في المشرق والمغرب، معا، يقوم على أساس درس ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول، وهو الاتجاه المنطقي الذي هيمن على كل الفلاسفة الذين تابعوا الفارابي أينما كانوا حتى في تخوم المغرب العربي، وسيدهم ابن رشد؛ وهذه هي الفارابية.

الاتجاه الثاني، وهو الاتجاه الإشراقي الذي هيمن على كل الفلاسفة الذين تابعوا ابن سينا أينما كانوا حتى في أقصى المغرب؛ وهذه هي السنيوية.

الاتجاه الثالث، وهو الاتجاه الجدلي الذي هيمن على كل الفلاسفة الذين تابعوا الغزالي أينما كانوا حتى في ردودهم في المشرق والمغرب؛ وهذه هي الغزالية.

لن نجد لهؤلاء الثلاثة الكبار رابعا إلا صاحب الاتجاه العقلاني الكبير ابن رشد في المغرب، الذي لم يأت تأثيره على المشرق العربي للأسف، بل تجاوز حدوده في المغرب إلى اللاتين.

ونتيجة حاسمة لكل هذه الحفريات العقلية في منهج البحث في الفلاسفة العرب المشرقيين والمغربيين، أو مراجعة هؤلاء الفلاسفة كما تبدو من نصوصهم، نجد أن الوقت قد حان فعلا لأن يعاد النظر في ما كتب عن هؤلاء الفلاسفة في المشرق والمغرب، وفق ما رأيناه بخصوص الدرس المنهجي في البحث في التراث الفلسفي والعلمي في الإسلام. ■

إشكاليات إعادة هندسة الاقتصاد العربي في منظومة اقتصاد القرن الحادي والعشرين

د. حميد الجميلي*

يواجه المحتوى الاقتصادي العربي (الأساس القومي للاقتصاد)، وهو على أعتاب نهاية النصف الأول من العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، تحديات بالغة التعقيد جعلته مكبلاً بأثقال الماضي وأعبائه وتبعاته، وآلام الحاضر وانعكاساته، وضغوط المستقبل ومخاطره ومتاهاته.

فالاقتصاد العربي يواجه اليوم حاضرًا تكتنفه الضغوط من كل الاتجاهات، والسحب الداكنة والرؤية الضبابية في كل الأوقات، فتحجب عنه رؤية المستقبل القريب، ناهيك عن المستقبل البعيد.

وفي مرحلة الانتقال هذه تتسارع التطورات الاقتصادية المعاصرة وتأخذ شكل التغيرات الجذرية. ومع تزايد هذه التطورات الاقتصادية المعاصرة، تتعمق آثارها الاقتصادية السياسية، تاركة بصماتها على مختلف جوانب الاقتصاد العربي بحركته الشمولية والإقليمية.

ومع تعميق هذه التحديات واتساعها وشموليتها، بدأت خريطة الاقتصاد العربي تتغير في إطار عملية إعادة هندسة هذا الاقتصاد.

وضمن عملية إعادة الهندسة هذه، يعاد ترتيب المسرح الاقتصادي العربي بحيث يستوعب كل الأدوار الجديدة لاقتصاد القرن الجديد. فتجري الآن عملية التركيب والتفكيك وإعادة التركيب بعد التفكيك. وتجري عملية الضم والفرز والضم بعد الفرز. كما تجري عملية إعادة هيكلة الاقتصادات العربية في إطار اللبرلة المعولمة المؤدلجة (أدلجة التحررية الاقتصادية)، وكذلك عملية تعميق العولمة؛ أي تكثيف اندماج المجتمعات الطرفية في السوق العالمية اندماجًا تبعيًا من موقع متخلف. ويُعَدُّ المسرح الاقتصادي العالمي للانتقال من الاقتصاد الدولي، الذي تتكون خلاياه القاعدية من اقتصادات متنافسة ومتمحورة على الذات، إلى الاقتصاد الذي أصبح عالميًا. وضمن هذا الإعداد، تأخذ إدارة الاقتصاد

* أستاذ الاقتصاد والعلاقات الاقتصادية الدولية/ أكاديمية الدراسات العليا-طرابلس-ليبيا؛ عضو المنتدى.

العالمي شكل الإدارة الاقتصادية شديدة المركزية، القريبة الشبه بالحكومة الاقتصادية العالمية؛ حيث تستلب سلطة القرار الاقتصادي القومي لتحل محلها سلطة القرار الاقتصادي الإقليمي (الاقتصاد الإقليمي ضمن موجة الأقلمة)، وسلطة القرار الاقتصادي العالمي (اقتصاد العولمة).

إن الهندسة الجديدة للاقتصاد العربي تتيح لدول الشمال إحكام هيمنتها وسيطرتها على موارد الكوكب بصورة عامة، وموارد إدارة الجنوب، ومنه عالمنا العربي، بصورة خاصة، وإدارة هذه الموارد إدارة اقتصادية شديدة المركزية. وضمن عملية إعادة الهندسة هذه، تعرقل الجهود العربية لتحقيق التنمية المستقلة، وتدفع الاقتصادات العربية للبحث عن بيئة خارجية لهذه التنمية "تغريب التنمية" لكي لا يحتل الاقتصاد العربي مكانة مرموقة في حركة العلم والتكنولوجيا ويدخل في حضارة العصر، فاعلاً فيها ومنتجًا لا مستهلكًا.

إن المنظومة الرأسمالية، وهي تخطط لإعادة هندسة الاقتصاد العربي، تخفي وراءها أهدافًا تتمثل في الهيمنة على الاقتصادات العربية من خلال إعادة هيكلتها، ومن خلا ل إلزام الدول العربية بتحرير اقتصاداتها طبقًا لتوجهات السوق الداروينية ومرجعياتها وآلياتها واقتصادياتها، في محاولة لاستنزاف خيرات العرب، والتحكم في مصيرهم ومستقبلهم الاقتصادي، والسيطرة على أنماط تنميهم وتفكيرهم الاقتصادي، وربطهم بالسوق العالمية ربطًا تبعيًا من موقع متخلف.

إن عالم الجنوب، وفيه عالمنا العربي، يمر الآن بمأزق تنموي بالغ الخطورة. وهذا المأزق ليس مجرد أرقام ضخمة ومخيفة، وإنما هو حالات أساسية تعبر عن بؤس الجنوب ومعاناة شعوبه بسبب الاختلالات الواسعة النطاق في هيكل العلاقات الاقتصادية الدولية، وبسبب محاباة منظومة العلاقات الاقتصادية الدولية القائمة لدول الشمال، التي أوجدت تلك المنظومة وأسستها في وقت لم يكن الكثير من بلدان الجنوب قد حصل على استقلاله السياسي بعد. وإضافة إلى المأزق التنموي الذي يمر به عالم الجنوب، فإن الشمال يمضي قدمًا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي لجعل الجنوب العدو المختلق. ولا شك أن محاولة اكتشاف عدو جديد في العالم الثالث يضاهي في خطورته الاتحاد السوفييتي السابق هي محاولة مفتعلة ومتعسفة لتحقيق أهداف الهيمنة على الجنوب، ولخلق بؤر توتر فيه لتبرير عملية التسلح وإدانة عملية الصناعات العسكرية في دول الشمال، وبالتالي إعادة تدوير عجلة الإنتاج الصناعي المرتبط بعجلة الإنتاج العسكري.

أولاً: تحولات شمولية

إن المخاطر التي تحدق بالمحتوى الاقتصادي العربي باتت تتزايد مع ضغوط اقتصاد العولمة. ولا شك أن الأساس القومي للاقتصاد العربي بات مستهدفًا من قبل مراكز الرأسمالية العالمية في محاولة لتعطيل جهود العمل الاقتصادي العربي ككل، والتكامل الاقتصادي العربي بصورة خاصة. وفي إطار توجه الغرب الرأسمالي هذا، نجد قضية الدمج الاستراتيجي لإسرائيل بالمنطقة العربية، وقضية إلحاق المشرق العربي والمغرب العربي بالفضاءات الاقتصادية الإقليمية، وقضية

عولمة الاقتصادات العربية ودمجها بالسوق العالمية دمجاً تبعياً، وقضية تكريس اقتصاد التنافر فيما بين الاقتصادات القطرية واقتصاد التكامل في الإطار العالمي، وقضية تصفية مؤسسات العمل الاقتصادي العربي وضرب مرتكزات التضامن العربي، وقضية إدارة الاقتصاد العربي إدارة مركزية من الخارج بواسطة مؤسسات برتن وودز ومنظمة التجارة العالمية والشركات المتعددة الجنسيات، وقضية الدعوة المحمومة لتصفية القطاع العام وتفكيكه، وقضية تصفية الفكر الاقتصادي للتنمية المستقلة وإخراج التبعية من اللغة الاقتصادية الدارجة، وقضايا لبرلة الاقتصادات العربية وأدلجتها وفقًا لآلية السوق الرأسمالية، وقضايا كثيرة أخرى يطول البحث في تعدادها؛ كلها تأتي ضمن توجهات إعادة هندسة الاقتصاد العالمي لاستقبال اقتصاد القرن المقبل بما تتطلبه إعادة الهندسة هذه من اقتصاد عالمي وإقليمي جديد في مؤسساته وآلياته ومفاهيمه، وكلها على النقيض من مؤسسات الأساس القومي العربي، أو المحتوى الاقتصادي العربي وآلياته ومفاهيمه.

وفي ظل هذه القضية وتلك، ظهر تيار من أولئك المبشرين باللبرلة الاقتصادية يدعو إلى ما يسمى المرونة الواقعية. وتحت هذا الشعار المزيف راح هؤلاء المبشرون يدعون إلى الاستسلام للواقع المزيف، ويؤكدون أنه من العبث التصدي لعربة التطورات المعاصرة وجبروتها وقوتها، في محاولة منهم لفرض الواقع المزور على الأمة العربية، وترويج مفاهيم اقتصاد القرن المقبل، كما هندستها مراكز الرأسمالية المتقدمة. ولا شك أن مدرسة الوقوعية، أو (الواقعية الجديدة)، هي مدرسة تروج لأفكارها وتبثها من أجل الاستسلام لهذا الواقع، والإعلان عن العجز الكامل عن ممارسة تقرير المصير العربي بصورة عامة، والمصير الاقتصادي بصورة خاصة.

ولا شك أن ما تدعو إليه مدرسة الوقوعية هو الانبطاح على الأرض لكي تدوسنا عربة التطورات المعاصرة.

وَفات من يدعو إلى أفكار هذه المدرسة أن تشكيل صورة المستقبل وقواه الفاعلة وتوازناته الجديدة هو عملية ديناميّة مستمرة، وليس لها صورة نهائية حاسمة يتم الارتكان إليها لفهم تطورات المستقبل على الصعيدين العالمي والإقليمي[1]؛ كما فاتهم التمييز بين الراهنية والطرفية من جهة، وبين ما هو آت وما هو مستقبلي من جهة أخرى.

ونحن نبحث في موضوع يتعلق بحاضر الأساس القومي للاقتصاد العربي المؤلم الذي تحيط به السحب الداكنة من كل مكان، ومستقبله الذي تكتنفه الضغوط من كل الاتجاهات. نقول: إن للأمة العربية من الإمكانات والمقومات ما يمكنها من صيانة أمنها القومي، وبناء تنميتها العربية، وفك اشتباكها الاستراتيجي التبعي الخارجي. وهي قادرة على إعادة بناء اقتصادها منطلقة من الثوابت القومية التي لا يجوز التنازل عنها في كل الاحوال وفي كل الظروف، خاصة التمسك بمتطلبات الحد الأدنى من الوجود والنهوض العربي المشترك[2].

لذلك نقول إن مصير العالم لم يحسم بعد، وإن فكرة حسم مصير العالم على ضجيج تفكك الاتحاد السوفييتي السابق واقتصاد الرأسمالية الغربية تخفي

وراءها الكثير من حقائق التاريخ الاقتصادي، وفي مقدمتها الحقيقة الكبرى المتمثلة بأزمة النظام الرأسمالي بصورة عامة، وأزمة الاقتصاد الأمريكي بصورة خاصة.

فالغرب، بمختبراته ودوائره، منشغل في إعادة هندسة الاقتصاد العالمي على أمل تأجيل أزمة النظام الرأسمالي ونقل أعباء هذه الأزمة إلى الأطراف الأضعف في العالم (مجتمعات الطرفية). وقد راح يخطط لإدارة الأزمة بدلاً من تأجيلها، وفي إدارة الأزمة تأتي مسألة العولمة بحيث يكون الاقتصاد العالمي بأسره جزءاً منها[٣].

ونحن نتحدث عن مستقبل الأساس القومي للاقتصاد وحاضره المؤلم، إنما نتكلم عن ذلك الحاضر في أزمنة الألفية الثانية، وذلك المستقبل في أزمنة الألفية الثالثة، ولا شك أن هنالك عوامل حاكمة في التطور الاقتصادي في أزمنة الألفية الثانية لا يمكن تكرارها في أزمنة الألفية الثالثة. وأقصد هنا أن ما يحكم مسار الأساس القومي للاقتصاد في أزمنة المستقبل سيخضع دون أدنى شك لتطورات ومتغيرات الاقتصاد العالمي ولموجة طوفان هذه التطورات. فما هي المعدات الاقتصادية التي أعدها العرب لصيانة الأساس القومي للاقتصاد من ذلك الطوفان؟ خاصة أن البعض يرى في التطورات المعاصرة ظهور مقولات جديدة، مثل مقولة إن تطور التقنية قد أسقط الجغرافيا، وإن العالمية قد أضعفت الدولة القومية. يا ترى هل ينسحب ذلك على سقوط الأساس القومي للاقتصاد؟ أي هل يسقط الأساس القومي للاقتصاد؟ أي هل يسقط الأساس القومي للاقتصاد أمام الأساس الإقليمي والأساس العالمي؟ وتسقط المصالح الاقتصادية القومية أمام المصالح الاقتصادية القطرية؟

لاشك أن هذه الطروحات تكشف عن الكثير من التسطيح لقضية الأيديولوجيا، وتجني على الأمم التي تريد صياغة رؤاها ومواقفها ضمن صياغات ووسائل ملائمة لطموحاتها. والأمة العربية، كواحدة من هذه الأمم، مطالبة بالحفاظ على الأساس القومي للاقتصاد وصياغة رؤاها ووسائل تحقيق تلك الرؤى بما يحقق طموحاتها[٤]. إن صورة المحتوى الاقتصادي العربي في حاضره المؤلم يحتاج إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- كيف النجاة من طوفان هذه التطورات؟ وهل إن هذا الطوفان قد أغرق كل شيء؟

٢- ما هو شكل التضاريس الاقتصادية العربية التي سيتركها ذلك الطوفان بعد انحساره؟

٣- كيف ستتعامل الاقتصادات العربية مع هذه التضاريس؟

وهل ستبني مشاريع اقتصادية قومية كفيلة باستيعاب الواقع الجديد بتضاريسه؟ أم ستبني مشاريع اقتصادية جديدة تتجاوز الواقع إلى الطموح المثالي؟

الإجابة عن هذه التساؤلات تشكل محور الاقتصاد العربي في مستقبله وحاضره.

وإذا كان طرح هذه الأسئلة يثير انزعاج البعض رغبة منهم في عدم مواجهة الحقائق ليظلوا متعلقين بآمال كاذبة، فإننا نقول إن صنع القرار

الاقتصادي العربي الصحيح يحتاج إلى الإجابة عن تلك الأسئلة، خاصة أن هنالك خريطة سياسية واقتصادية ترسم من جديد للمنطقة ستكون أخطر من خريطة سايكس بيكو القديمة. فتلك الخريطة كانت موكلة بتوزيع إرث الإمبراطورية العثمانية. أما الخريطة الجديدة فهي شهادة ميلاد لما يسمى المشروع الشرق أوسطي والمشروع المتوسطي في إطار تقسيم العرب إلى عرب مشرقيين مرتبطين بالمشروع الشرق أوسطي، وعرب مغربيين مرتبطين بالمشروع المتوسطي؛ بمعنى ظهور نظام إقليمي جديد على رفات النظام العربي الحالي.

وهكذا يتم تقسيم النظام العربي إلى أنظمة فرعية مرتبطة بأنظمة إقليمية. ومما يزيد من أهمية الإجابة عن تلك التساؤلات هو وجود اختراق خارجي للاقتصادات العربية لم يسبق له مثيل في حجمه، وهو اختراق من كل الاتجاهات من داخل كل دولة، عبر اللبرلة والتخصيصية والاستثمار الأجنبي، ومن الخارج عبر الأقلمة والعولمة والإدارة الاقتصادية المركزية.

إن الصورة التي نرسمها لمسار الاقتصاد العربي في حاضره ومستقبله هي الطريق السليم لتشخيص مشكلات الأساس القومي للاقتصاد بما يُمكِّن من التوصل إلى علاج يرتقي إلى مستوى التحديات.

وإذا كنا في تحليلاتنا الاقتصادية مولعين بالمثاليات والينبغيات والوجوبيات، وإذا كنا مولعين ببحث ما يفرقنا أكثر مما يجمعنا، فقد أصبح هذا الاتجاه مكلفاً في أعبائه النفسية والمادية. فالمنجزات التي تحققت خلال مسيرة العمل الاقتصادي العربي المشترك منذ نشأة الجامعة العربية ١٩٤٤، وهو البدء الرسمي لهذا العمل، وحتى الوقت الحاضر ظلت منجزات محدودة الوزن والأثر ولا تشكل نقلة نوعية تجسد الارتباط العضوي بين الاقتصادات العربية، سيما الإنتاجي من هذا الارتباط. كما ظلت تلك المنجزات هامشية لا تتلاءم والطموحات القومية، ولا تتناسب والإمكانات المادية والبشرية للأمة العربية. كذلك لم تتمكن من تصحيح موقع الاقتصاد العربي عالميًا.

وفي هذا الإطار نقول: إذا كنا نعيش حالة تعتيم معلوماتي يصعب قبولها في عصر السماء المعلوماتية، فلا بد من أن تتناسب المعلومات التي نستقبلها عن العالم الخارجي مع تلك المعلومات الخاصة بحركة اقتصادنا العربي لأن مثل هذا التعتيم على ما يجري في اقتصادنا العربي لا يساعد إلا في استكمال إعادة هندسة الخريطة الجديدة للمنطقة، ولكي ندع غيرنا يصنع مستقبلنا بوعي أوبغير وعي. وهنا أقصد أن ما يجري في إطار الشرق أوسطية والمتوسطية لا يزال من قبيل التعتيم المعلوماتي الذي يمس بشكل مباشر الأساس القومي للاقتصاد، ويؤثر على عملية صنع القرار الاقتصادي القومي.

وإذا كان البعض ينظر إلى هذه المشروعات بمنظار "الشراكة العالمية"، فلا بد من توضيح انعكاس تلك الشراكة على حركة الاقتصاد العربي. ويمكننا القول دون تردد إن المشروعات التي يجري التعتيم المعلوماتي عليها تهدف في نهاية المطاف إلى محاصرة المشروع الاقتصادي القومي، وضرب مرتكزات التضامن الاقتصادي العربي، وتعطيل الأساس القومي للاقتصاد.

علينا أن نفك الأسر من الشراك التي نصبها لنا الآخرون ووقعنا فيها بوعي أو بدون وعي. والشراك التي نقصدها هي شراك المشروعات الإقليمية المتوسطية والشرق أوسطية التي ترمي إلى إلحاق بعض الاقتصادات العربية بهذه المشروعات من موقع التبعية، تلك الاقتصادات العربية التي باتت تهرول للارتباط بمشروعات الشرق أوسطية أو المتوسطية بوعي أو بدون وعي.

وحين نحلل واقع الأساس القومي للاقتصاد ومستقبله، فإننا ننطلق من الاعتبارات الآتية:

١- عدم تجاوز الثوابت القومية، والمحافظة على الخيط العربي المتصل الذي يقوم على تلك الثوابت.

٢- إن الأمة العربية تمتلك القدرة والإرادة لإزالة الآثار الناجمة عن تدهور منجزات العمل العربي المشترك في هذه الأزمنة، وتعظيم تلك المنجزات لو توفرت الإرادة السياسية الحقيقية.

٣- إن تحليل مكامن الضعف في مسيرة الأساس القومي للاقتصاد بصراحة وبموضوعية يجب ألا يشكل نظرة تشاؤمية، بل على العكس من ذلك، فإن مثل هذا التحليل يشكل ركيزة من ركائز بناء المشروع النهضوي العربي الشامل على أسس من العقلانية والموضوعية والعلمية.

٤- لا بد من تجاوز مرحلة الطموح الطوبائي والقفز فوق تضاريس الواقع ونحن نستشرف مستقبل الاقتصاد العربي.

٥- يجب أن لا ندع غيرنا يصنع مستقبلنا، وأن لا ننساق وراء مشروعات التهافت وفرض الواقع المزور.

٦- إن العقل الاقتصادي العربي مطالب اليوم بعدم الانسياق وراء ضغوط العقل السياسي العربي المنفذ لما يجري في مختبرات الشمال من مشروعات وترتيبات اقتصادية.

٧- إننا نرفض النهاية المحزنة لمؤسسات الأساس القومي للاقتصاد بتحويلها إلى منتديات ثقافية ودبلوماسية مسلوبة أو فاقدة الإرادة السياسية. وإن الترتيبات والمؤسسات الإقليمية الجديدة التي تقوم على أنقاض مؤسسات النظام الاقتصادي العربي إنما تأتي ضمن التوجهات الرامية لإعادة هندسة الخريطة الاقتصادية للمنطقة في إطار منظومة جديدة من المشروعات والمؤسسات والترتيبات والمفاهيم.

٨- إن طوفان التطورات المعاصرة لم ولن يغرق كل شيء، وإن مقومات البقاء في الأمة العربية قادرة على صد هذا الطوفان.

٩- إن المخاطر التي تحدق بالأساس القومي للاقتصاد لا يمكن التصدي لها من خلال ردود الفعل الآنية والإجراءات العشوائية وتحقيق المصالح الضيقة، أو من خلال البحث عن حلول خارجية والتوجه نحو البيئة الإقليمية. ولابد من معالجة هذه المخاطر في إطار قدرة الاقتصاد العربي على استئناف حيويته وقدرته على النمو والتكيف الإيجابي مع الصدمات الخارجية[٥].

١٠- إن عدم التصدي للمخاطر التي تحدق بالأساس القومي للاقتصاد العربي سيدفع به كاملاً إلى حافة الانهيار والاضمحلال والتلاشي وتوقف وظيفته وتعطيل آلياته

ومؤسساته، في مقابل تشكيل إطار إقليمي مؤسس جديد بديلاً للإطار الذي يرتكز عليه النظام العربي.

ثانيًا: تعطيل الأساس القومي للاقتصاد

ظل نشاط العمل الاقتصادي العربي المشترك، الذي يمثل جوهر الأساس القومي للاقتصاد، يعاني من أزمة حادة منذ النصف الأول من عقد الثمانينيات بعد أن عطل فقدان الإرادة السياسية الصادقة تنفيذ قرارات قمة عمّان، وعلى رأسها قرار استراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك وميثاق العمل الاقتصادي القومي(٦).

وجراء تلك الأزمة أصيب هذا النشاط بقدر كبير من الشلل والجمود والتراجع والانكماش. ولم تتمكن منجزات هذا العمل الذي كرس له الكثير من المال والجهد والوقت العربي من بناء القاعدة الاقتصادية العربية الصلبة التي تشكل السياج الواقي للأمن الاقتصادي العربي. والمفارقة الكبرى أن هذا العمل، الذي كان يهدف إلى تجسيد الارتباط العضوي بين الاقتصادات العربية، أدى في نهاية المطاف إلى تفكيك هذا الارتباط العضوي العربي الخارجي، فتكامل الاقتصاد العربي دوليًا وتنافرت وحداته الاقتصادية القطرية عربيًا. ويمكن القول إن منجزات العمل الاقتصادي العربي المشترك لم تحقق الحد الأدنى من الاعتماد الجماعي على الذات.

وإزاء إخفاق هذه المنجزات جرت محاولات عدة لتنشيط فاعلية هذا العمل التكاملي. وظلت هذه المحاولات وكأنّها صيحات في ليل عربي شديد السواد. وساعد هذا الفشل والتباطؤ في مسيرة العمل الاقتصادي العربي المشترك في تهيئة الأجواء لأعداء القومية لشن هجوم واسع النطاق على تلك المؤسسات، مطالبين بإيجاد بديل لها ضمن المشروعات الشرق أوسطية والأوسطية.

ولهذا بدا المحتوى الاقتصادي يتعرض لمخاطر واسعة النطاق، من أبرزها تعطيل مؤسساته وظهور مؤسسات إقليمية(٧) بديلة؛ وبذلك تصبح هذه المؤسسات مجرد واجهات ثقافية.

ومع استمرار الشلل في المحتوى الاقتصادي للنظام العربي، أصيب الأساس القومي للاقتصاد بتشوهات واختلالات جديدة عززت من موجة تدويل الاقتصادات العربية، وربطها بفضاءات اقتصادية إقليمية تمهيدًا لعولمتها. وذلك سيعني دخول العمل الاقتصادي العربي المشترك النفق المظلم. وفي هذا النفق المظلم سيجري:

١- تفكيك بنيان التضامن العربي، وتفكيك النظام العربي.

٢- تعطيل مفهوم الأمن القومي في مقابل الأمن الإقليمي.

٣- خلق سلسلة التناقضات القطرية في المصالح الاقتصادية.

٤- تذويب مؤسسات العمل الاقتصادي العربي المشترك في مؤسسات وترتيبات إقليمية جديدة.

٥- تفكيك الأساس القومي للاقتصاد، وجعل الصورة المقبلة للوطن العربي في هيئة مجموعة دوائر متعددة ومستقلة ومرتبطة بأطر إقليمية

يمكن أن تتقاطع مصالحها الاقتصادية والسياسية على المستوى القومي، لكنها تتكامل على المستوى الإقليمي.

٦- اختراق الاقتصادات العربية، والقضاء على الخيط العربي المتصل، وإعادة هيكلة هذه الاقتصادات بعد اختراقها (ربطها بالمشروعات الإقليمية) في إطار نمط جديد من تقسيم العمل يعمق قانون النمو غير المتكافىء، ويزيد من عمليات الأقلمة، فالتدويل، فالعولمة، من موقع متخلف في حالة غياب رؤية عربية استراتيجية لهذه المخاطر[٨].

وهكذا تظهر إلى السطح في الوقت الحاضر ترتيبات اقتصادية لتحل محل مؤسسات العمل الاقتصادي العربي المشترك. وهذه الترتيبات والمؤسسات تساعد على قولبة الاقتصادات العربية في الإطار الجديد لتقسيم العمل الإقليمي والعالمي. والمؤسسات والترتيبات الاقتصادية التي ستقام على رفات مؤسسات العمل الاقتصادي العربي المشترك هي منظومة متكاملة تهدف إلى السيطرة على مجريات الأمور الاقتصادية والتكنولوجية في إقليم الشرق الأوسط وإقليم البحر الموسط، أي في الفضاء الإقتصادي الشرق أوسطي والفضاء الاقتصادي المتوسطي.

وصفوة القول أن هذه المنظومة الجديدة بآلياتها ومؤسساتها تهدف إلى محاصرة النظام العربي ومؤسساته، كرابطة سياسية جامعة، وبنية اقتصادية متكاملة، وكاستراتيجية للأمن الاقتصادي العربي. وبذلك تتحول مؤسسات العمل الاقتصادي العربي المشترك من طبيعتها المبنية على الأساس القومي العربي المشترك، من طبيعتها المبنية على الأساس القومي للاقتصاد، إلى جماعة ثقافية أو منتدى ثقافي يتَّسِمان بالتنافر والتناقض[٩]. ومن شأن هذا التحول في طبيعة مؤسسات العمل الاقتصادي العربي المشترك أن يؤدي إلى:

١- التشتت والتدهور في مرتكزات الأساس القومي للاقتصاد.

٢- إنهاء المحتوى الاقتصادي للنظام العربي في شكله الحالي، وتفككه إلى أنظمة فرعية مندمجة في أنظمة اقتصادية إقليمية تضم دولاً في المحيط العربي والمحيط غير العربي.

٣- تحول شكل التنمية العربية من تنمية قائمة على الأساس القومي للاقتصاد إلى تنمية إقليمية قائمة على أساس المصالح والروابط التنموية الإقليمية.

٤- تبعثر الجسم العربي إلى شظايا غير متآخية بعد تطويق النظام العربي وتمزيقه واختراقه.

٥- تعريض الثروات العربية لأخطر تحدياتها المتمثلة برهن الإرادة العربية تجاه استقلالها من جهة، وتسخيرها لخدمة مصالح مراكز المنظومة الرأسمالية من جهة أخرى.

٦- استخدام الثروات العربية، ومنها المال العربي والنفط العربي، للإمساك برقاب الاقتصادات العربية بدلاً من استخدامها أداة للتحرر وتطوير الإنتاج وتعريب التنمية.

٧- عولمة وحدات الإنتاج العربية بعد ربطها بالفضاءات الاقتصادية الإقليمية، ثم إدارتها إدارة اقتصادية مركزية، ودفع الاقتصادات العربية لتبني منهج تنموي يقوم على أدلجة

التنمية، أي اتباع إجراءات اللبرلة الاقتصادية وأيديولوجية صندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية.

٨- تعريض الاقتصاد العربي لمجموعة من المقايضات المستقبلية التي تفرضها طبيعة التطورات المعاصرة، ومنها:

أ- المقايضة بين المؤسسات العربية والمؤسسات الإقليمية.

ب- المقايضة بين المياه والنفط.

ج- مقايضة أمن الحدود بأمن الأعماق، والأمن القومي بالأمن الإقليمي.

د- المقايضة بين المال والتكنولوجيا.

هـ- المقايضة بين التراكم الإنتاجي والتكاثر المالي.

و- المقايضة بين السوق العربية والسوق الإقليمية.

ز- المقايضة بين التكامل الداخلي والتكامل الخارجي.

ح- المقايضة بين الأساس القومي للاقتصاد والأساس الإقليمي للاقتصاد.

ولا شك أن عدم التصدي لهذه المخاطر بشكل عربي جماعي سيؤدي إلى أن تتحول إلى نسيج يُجر في نهاية الأمر إلى تقويض الأساس القومي للاقتصاد، وسيظهر اقتصاد إقليمي جديد ذو محتوى اقتصادي إقليمي غير المحتوى الاقتصادي القومي.

وعلينا أن ندرك بأن تنامي هذه المخاطر والمقايضات سيعطل الأساس القومي للاقتصاد، وسيؤدي إلى عملية استقطاب إقليمي واسع النطاق يدخل فيها العرب فرادى في ترتيبات إقليمية بديلة لترتيبات النظام العربي.

إن تواضع منجزات العمل الاقتصادي العربي المشترك لم يكن وليد حالة طارئة، وإنما يعود لأسباب كثيرة يأتي في مقدمتها سيادة الأنماط التنموية القطرية التي هي نتاج ضعف الإرادة السياسية للتوجه القومي للاقتصاد، والتي أدت بدورها إلى اندماج الاقتصادات العربية في النظام الرأسمالي العالمي، وما نتج عنه من تكامل تبعي وتراجع في التكامل الداخلي العربي. والسبب الثاني في تراجع المسيرة السابقة للعمل الاقتصادي العربي المشترك يكمن في عدم حسم التناقض بين مهمات التنمية القطرية ومهمات التنمية القومية، وعدم حسم التناقض بين مهمات التكامل العربي المستقل ومهمات التكامل التبعي غير المستقل، والفشل في فك الارتباط التبعي للاقتصاد العربي بروابط التبعية العالمية.

إن هاجس الفشل على جهة النشاط التكاملي يؤشر لنا حدود الإمكانات العربية وحيز الحركة ومدى فاعلية المداخل التي روجنا لها كثيراً. كما إن هاجس الفشل على جهة التكامل العربي يؤشر لنا نقاط الضعف الأساسية في هذه المسيرة بشكل علمي وموضوعي بعيداً عن الحماس والطموح المثالي[١٠].

يمكن القول إن التيار الصحيح للأساس القومي للاقتصاد وتعميق المحتوى الاقتصادي للنظام العربي يستوجب تأشير أسباب الفشل ونتائجه. وإن غياب البحث العلمي الموضوعي في هذا الموضوع سيؤدي إلى مزيد من مخاطر الهيمنة على

مقدرات الاقتصاد العربي، ويسهل عملية الاختراق والافتراق والانشقاق والانسحاق[١١]. لذلك فإن البوح بما يعتري النظام العربي من مثالب، وتسليط الأضواء على ما ينتاب المحتوى الاقتصادي للنظام من مخاطر يشكل نقطة الانطلاق الأولى[١٢].

فالمخاطر المحدقة بالأساس القومي للاقتصاد هي من الضخامة بحيث تحتاج إلى مشروع حضاري تنموي يرتقي إلى مستوى التحديات، ولعل أبرز مقومات هذا المشروع هي:

١- رفض الإعلان عن العجز الكامل عن ممارسة تغيير الواقع.

٢- رفض الانصياع والتخلي عن سلطة القرار الاقتصادي القومي لصالح القرار الاقتصادي العالمي أو الإقليمي.

٣- رفض فكرة أن النظام العربي بات ممزقاً ويجب تبديله أو احتواؤه بنظام إقليمي أوسع يقوم على العصرنة والحداثة.

٤- عدم الانحناء لعاصفة التطورات الاقتصادية المعاصرة والانبطاح على الأرض لكي تدوسنا عربة تلك التطورات[١٣].

٥- تجاوز أزمة الطموح الطوبائي ووضع سقوف متحركة لطموحاتنا المشروعة، والالتزام بالحد الأدنى من المرونة الواقعية التي تؤكد الثوابت القومية[١٤].

٦- الانطلاق من مبدأ "دعنا نصنع مستقبلنا ولا ندع غيرنا يصنع لنا مستقبلنا".

٧- الابتعاد عن الترتيبات الاقتصادية الخاصة بالفك والتركيب وإعادة التركيب وتشكيل الأحزمة الأمنية، حيث أن هذه الترتيبات هي جزء من الخريطة الاقتصادية السياسية الجديدة للمنطقة[١٥].

٨- رفض التيار الداعي إلى أدلجة التنمية وفق أيديولوجية أحادية هي أيديولوجية مؤسسات برتن وودز ومنظمة التجارة العالمية، أي رفض اللبرلة المؤدلجة والتيار الداعي إلى تفكيك القطاع العام وإبعاد سلطة الدولة عن قيادة الأنشطة الاقتصادية. وهنا ندعو إلى رفض الدعوة المحمومة للتخصصية بلا قيود وشروط، كما تريدها تلك المؤسسات ومراكز الرأسمالية العالمية خدمة لشروط الأقلمة والعولمة.

يرى بعض المحللين بحق أن عمليات التخصصية إنما تشكل التمهيد والمدخل الضروري لإقامة السوق الشرق أوسطية[١٦].

فالدعوة والتحركات المحمومة لدفع عمليات الخصخصة إلى أبعد مدى في الاقتصادات العربية، على وفق منهج مؤسسات برتن وودز في هذا التوقيت بالذات، هي بمثابة التحضير للإطار المؤسسي اللازم لعولمة الوحدات الإنتاجية والخدمية في الاقتصاد العربي وتدويلها وأقلمتها، وتسهيل عملية الإلحاق بالفضاءات الإقتصادية الإقليمية[١٧].

٩- رفض فكرة تصفية التراث الأيديولوجي والسياسي القائم على رفض الصهيونية، على أساس أن النظام الإقليمي الجديد، بوحداته وتفاعله وتشكيلاته ومؤسساته، يقوم على

أساس تعدد الثقافات والأيديولوجيات والقوميات والتوجهات السياسية والاقتصادية.

١٠- التمسك بالفكر التنموي القائم على التنمية المستقلة، ونبذ الدعوات الرامية إلى إخراج التبعية من اللغة الدارجة كجزء من اقتصاد العولمة، بما فيه إعطاء دور متزايد للشركات متعددة الجنسية والاستثمار الأجنبي.

ثالثًا: النرجسية الغربية: التوجه المتزايد نحو تغريب التنمية ولبرلتها لبرلة مؤدلجة

تعرضت التنمية العربية لتيار أيديولوجي كاسح يطالب بتغريب دماء التنمية وإيجاد حلول خارجية لشكلاتها. وكان من جراء هذا التيار الارتهان لحالة التبعية التي امتصت الحيوية الاقتصادية للاقتصادات العربية وللأساس القومي للتنمية. ولم تتمكن التنمية العربية -إلا في أقطار معينة كالعراق- من التخلص من مقولات النموذج الغربي للاقتصاد القائم على الأحادية والاختزالية، والذي يمثل نموذجًا واحدًا للتنمية هو النموذج الغربي، حيث ظلت التنمية العربية حبيسة قيود ذلك النموذج، بما فيها قيود التبعية ومخاطرها وامتدادها. وإزاء ذلك فشل الكثير من هذه الاقتصادات في بلورة تصور ذاتي لمعنى التنمية ودلالاتها وأهدافها وسبل العمل لتحقيقها. وقد أدى ذلك إلى عدم إمكانية تصحيح الاختلالات الهيكلية، وعدم إمكانية رفع القدرة الاقتصادية والتكنولوجية الذاتية، وعدم إمكانية الإفلات من سيطرة النرجسية الغربية.

ولعل من المفيد الإيضاح أن البعض من مروجي النرجسية الغربية ومن المبشرين بتغريب التنمية يرون أن الدعوة للتنمية المستقلة هي سباحة حرة ضد التيار. لذلك علينا أن نتبنى النموذج الغربي للتنمية من أجل اللحاق بركب التنمية الرأسمالية.

وبصرف النظر عن دعوى هؤلاء الذين لا يعرفون عما يتحدثون، فإن هنالك توجهًا متزايدًا نحو تبني النموذج الغربي للتنمية. والمحصلة النهائية لهذا التوجه هو مزيد من البعثرة والتفكك للعناصر الداخلية والخارجية الاقتصادية والمؤسسية. وفي إطار منهج تغريب التنمية، تصبح الأخيرة ناتج مجمل مشروعات سلعية وخدمية تتم في الإطار التكنولوجي والنمط التصنيعي والسياسات الاقتصادية المرتبطة بالخارج. وبفعل تزايد هذه الموجة، يصبح من غير الممكن تصنيع القطاع الاقتصادي أو تعريبه، أو تصنيع الصناعة أو تعريبها. وقد انعكس التوجه المتزايد نحو تغريب التنمية في النتائج الآتية:

١- عدم إمكانية إنشاء القواعد العلمية والتكنولوجية ذات المنشأ الداخلي.

٢- الاعتماد على استيراد المفردات النهائية والوسطية، والاستناد إلى القواعد العلمية والتكنولوجية الأجنبية.

٣- فسح المجال للشركات متعددة الجنسية وللاستثمار الأجنبي للتغلغل في مفاصل الاقتصادات العربية.

٤- تداعي سلم الأولويات التنموية، حيث أصبحت الجهود التنموية، حصيلة توجيه الجهات الأجنبية، لا تشكل منهجية وطنية متماسكة

للتنمية الاقتصادية.

٥- تزايد اعوجاج هياكل الإنتاج، والانكشاف الاقتصادي، وتصدع القاعدة الاقتصادية، واختراق الأمن الاقتصادي.

٦- فتح الباب واسعًا أمام تعميم مفهوم تحقيق التنمية عبر التكامل الدولي التبعي، وتراجع مفاهيم التنمية المستقلة والفكر الاقتصادي الداعي لها.

٧- تضييق قاعدة اتخاذ القرار الاقتصادي، بل ومحاصرة هذا القرار وخضوعه لقيود خارجية، ما يعني اختراق كبير لشرايين الحياة في الاقتصادات العربية.

٨- تنمية شبكة واسعة ومتنامية في التشابكات الاقتصادية بين الاقتصادات العربية والعالم الخارجي تؤدي في نهاية المطاف إلى فقدان شروط التنمية المستقلة والمتوازنة.

٩- تعميق قانون النمو غير المتكافىء، وزيادة عمليات التدويل لوحدات الاقتصاد العربي، وإلحاقه بالاقتصاد العالمي من موقع متخلف.

١٠- فك الارتباط بين المشروع والاستثمار والأموال الأجنبية من جهة، وبين التركيب الاقتصادي للمجتمع من جهة أخرى.

١١- جعل السلعة المنتجة معتمدة كليًا - في السعر والكلفة، وفي الخامات، وفي المواصفات والخصائص والتطور المستقبلي، وفي العلاقات التشابكية - على القواعد والسياسات الإنتاجية الأجنبية، وليس المحلية.

وهكذا، فإن سياسة تغريب التنمية، التي انزلق إليها كثير من السياسات الاقتصادية العربية التي تبني أنماطًا تنموية خارجية المنشأ، جعلت أقطار تلك السياسات تبحث عن حلول خارجية لتنميتها بعيدًا عن الحلول العربية. وقد أدى هذا إلى تعميق الأساس الأجنبي للاقتصاد بدلاً من الأساس القومي.

وما تعانيه اليوم معظم الاقتصادات العربية من اختلالات في هياكل إنتاجها، وفي تجارتها، ونمط تصنيعها وزراعتها وخدماتها ما هو إلا نتيجة مباشرة لأنماط تغريب التنمية (التكامل الدولي).

إننا بحاجة إلى صحوة اقتصادية لتعريب التنمية بدلاً من تغريبها.

خاتمة

إذا كان البعض يرى أن هنالك مبالغة في الأخطار المحدقة بالأساس القومي للاقتصاد، فإننا نقول إن التحليل الذي ينظر إلى الواقع كما هو دون تزييف هو تحليل واجب وضروري لأنه التحليل الوحيد الذي يرتقي إلى مستوى التحديات. وإن غياب البعد التحليلي الاستراتيجي المعمق يؤدي إلى أخطاء فادحة في النتائج؛ بل في التحليل ذاته. وإذا كان البعض ينظر إلى هذه التحديات بمنظار يقلل من أخطارها، فإننا على يقين من أن هؤلاء لا يعرفون عما يتحدثون.

لقد آن الوقت لعودة الوعي للفعل الاقتصادي العربي لكي يعي خطورة هذه التحديات، ويعطي صورة للمستقبل في ضوء معطيات الحاضر بما لا يتجاوز الثوابت القومية في كل الأحوال.

المراجـــع

١- محمود عبد الفضيل: "السياسة والفكر العربي بين الواقعية والوقوعية"، أو "مدرسة الواقعية العربية الجديدة"؛ محاضرة ألقيت في مركز دراسات الوحدة العربية؛ بيروت؛ أيار/ مايو ١٩٩٣؛ ص٤-١٢.

٢- حميد الجميلي: "الاقتصاديات العربية من هاجس التنمية العصبة إلى هاجس الشرق أوسطية"؛ مجلة **أم المعارك**؛ مركز أبحاث أم المعارك؛ بغداد؛ العدد الأول؛ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٥، ص٧٦-٧٧.

٣- محمد حسنين هيكل: "العرب على أعتاب القرن ٢١"؛ مجلة المستقبل العربي؛ مركز دراسات الوحدة العربية؛ العدد ١٩؛ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٤؛ ص١٠-١٤.

٤- المصدر السابق؛ ص٨-٩.

٥- المصدر السابق؛ ص٢٢.

٦- الأمانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية: " المناحي والاتجاهات في جهود العمل الاقتصادي العربي المشترك نحو الوحدة الاقتصادية حاضراً ومستقبلاً "؛ عمان ١٩٨١.

٧- محمود عبد الفضيل: "مشاريع الترتيبات الاقتصادية الشرق أوسطية: التصورات، المحاذير، أشكال المواجهة"؛ دراسة قدمت إلى ندوة الوطن العربي والتحديات الشرق أوسطية الجديدة؛ نظمها مركز دراسات الوحدة العربية؛ بيروت؛ ١٢-١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٣؛ ص١٠٣ -١٠٧.

٨- المصدر السابق؛ ص١٠٥.

٩- المصدر السابق؛ ص١٠٩.

١٠- الأمانة العامة لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية: "دراسة تقويمية لما تم حتى الآن، والوسائل التي يرى أنها تحقق أهداف ثقافة الوحدة الاقتصادية العربية وقرارات مجلس الوحدة على نحو أفضل"؛ عمّان؛ ١٩٨٢؛ ص٣٣-٦٩.

١١- غسان سلامة: "أفكار أولية عن السوق الأوسطية"؛ دراسة قدمت إلى ندوة الوطن العربي والتحديات الشرق أوسطية التي نظمها مركز دراســات الوحدة العربية؛ بيروت ١٢-١٣ تشـرين الثاني/ نوفمبر؛ ١٩٩٣ ؛ ص٦٧ - ٨١.

١٢- حميد الجميلي: "الاقتصادات العربية من هاجس التنمية العصبة إلى هاجس الشرق أوسطية"؛ مصدر سابق؛ ص٥٦-٧٤.

١٣- محمود عبد الفضيل: "مشاريع الترتيبات الاقتصادية الشرق أوسطية "؛ مصدر سابق؛ ص١١١-١١٢.

١٤- محمود عبد الفضيل: "السياسة والفكر العربي بين الواقعية والنوعية"؛ محاضرة ألقيت في مركز دراسات الوحدة العربية؛ بيروت ١٩٩٣؛ ٧ أيار/ مايو؛ ص٧.

١٥- فوزي منصور: "مشروع السوق الشرق أوسطية"؛ المؤتمر القومي الرابع؛ أيار/ مايو ١٩٩٣.

١٦- محمود عبد الفضيل "مشاريع الترتيبات الاقتصادية الشرق أوسطية" مصدر سابق، ص١٠٥.

١٧- المصدر السابق؛ ص١٠٤.

حـــروب لغـــويـــّة!؟

أ. بسّـام الهلســة *

في غمرة الانشغال بالحرب العدوانية الإسرائيلية على لبنان، لفتت إنتباهي رسالة أحالها إليَّ مشكوراً منتدى الفكر العربي في عمّان.

الرسالة تلقاها المنتدى من قسم اللغة العربية بجامعة النجاح الوطنية في نابلس المحتلة، يعلن فيها أنه بصدد تنظيم مؤتمر حول: "**الواقع اللغوي في فلسطين**" في تشرين الثاني/ نوفمبر القادم. ثم يسرد الإعلان محاور المؤتمر، ويدعو الراغبين في المشاركة لمخاطبة الجهة المسؤولة.

أود أن أُحيي المبادرين لتنظيم هذا المؤتمر، وأرجو لهم التوفيق في عقده، لتسليطهم الضوء على موضوع، بل "**ساحة" من أهم ساحات الصراع الدائر في بلادنا وعليها. أعني الصراع اللغوي متعدد الأطراف والوسائل**، الذي باشره الغزاة المستعمرون بشكل منهجي منظم منذ القرن التاسع عشر، بهدف إقصاء **اللغة العربية ودحرها كمُوَحِّد جامع للأمة، حامل لهويتها وتراثها وثقافتها، ومعبِّر عن شخصيتها الحضارية المميزة**، مستغلين حالة التردِّي والإهمال والجهل التي ألّمت باللغة العربية خلال **عهود الانحطاط المتطاولة**، وأدت إلى شيوع "لغات" محكية في كل قطر وإقليم ومدينة وناحية وقرية!

وإن كانت **جهود المستعمرين الأولى ومحاولاتهم لتوطين لغاتهم**، أو لتكريس المحكيات المحلية كلغات قومية بدل العربية، قد رُدَّت بفضل المجابهة التي خاضتها الأجيال العربية المدافعة عن اللغة الأم في الأقطار المختلفة، وتعززت بالاستقلال السياسي، وبنشر التعليم والإعلام والآداب والعلوم المكتوبة بالفصحى (أصيلة أو مترجمة إلى

* كاتب وإعلامي؛ معلق في الشؤون الفكرية والثقافية.

العربية)، **وبفضل كبير موصول للقرآن الكريم ولعلوم الدين وعلمائه .**

إن كانت تلك الجهود الاستعمارية قد رُدَّت زمناً، فإنها قد عادت مجدداً، مثلها مثل عودة الاستعمار، متخذة أشكالاً استيطانية (للغته)، إجلائية (للغتنا) من مواقعها المختلفة، العلمية والتعليمية والإعلامية والتجارية، بل **حلَّت في لغة التخاطب اليومي** لدى الكثير من مؤسساتنا وهيئاتنا وأفراد أمتنا، **ما جعلنا في حالة استلاب واغتراب لغوي تواكب استلاب أوطاننا وثرواتنا وإراداتنا وهويتنا.**

ويجب أن لا يفهم من كلامنا أننا ندعو إلى الابتعاد **عن تعلُّم اللغات الأجنبية، الحيَّة منها والقديمة. فهذا ثقافة مطلوبة، وواجب تستدعيه ضرورات متعددة،** لكننا نؤكد ونلح على **حماية لغتنا العربية، وتكريس حضورها في كل المجالات** أداة للتفكير والتعبير والتخاطب والإنتاج بمختلف أشكاله. وندعو جامعة الدول العربية والحكومات والمؤسسات والأفراد المعنيين إلى القيام بحملة منسقة للدفاع عن لغتنا وتمكينها ونشرها، وتعميم استخدامها بكل السبل والوسائل والنطاقات، الدعوية والقانونية والإعلامية والتعليمية والأدبية والاقتصادية والفنية ...إلخ. وندعو إلى تشكيل لجان وهيئات في كل الأقطار العربية (ولدى العرب المغتربين وسواهم من المهتمين باللغة العربية من غير العرب، ما أمكن) تضم شخصيات متعددة الاختصاصات، وتتولى متابعة هذا الموضوع الحيوي "**حماية العربية وتعميمها**". ويمكن الدعوة لعقد مؤتمر عربي يخصص لبحث هذا الموضوع ووضع المخططات اللازمة لعمله. **فمثل كل الحروب على الجبهات السياسية والأمنية والمسلحة والاقتصادية والإعلامية والثقافية، يجب أخذ الحروب اللغوية على محمل الجد،** والتعامل معها بتصميم وإعداد وعزم كي لا نهزم فيها. ■

القراءة الأخرى للحركات الاجتماعيّة في الإسلام

أ. يوسف عبد الله محمود*

"إن إعادة كتابة التاريخ تنطوي في الواقع على إعادة تشكيل الوعي المعاصر".

د. محمد عابد الجابري

من المستغرب ألا يجرؤ الكثيرون من مؤرّخينا العرب والمسلمين على قراءة تاريخنا القديم قراءة علمية وموضوعية، بعيدة عن التعصب الأعمى والتسليم بكل ما ذكره بعض مؤرخي الأزمنة القديمة حول مفردات هذا التاريخ دون غربلة منهم لمدى صدقيته، سيما أن الرهبة من سيف السلطة آنذاك أجبرت الكثيرين منهم على أن يقسوا في أحكامهم على كل من خالف هذه السلطة أو قاومها، في ظروف اشتد فيها الصراع المذهبي الطبقي. أهي الظروف نفسها التي ما زالت سائدة اليوم؟

من العيب - كما أرى- أن يعيش بعض مؤرّخينا المعاصرين ومفكرينا في جلباب المؤرخين القدامى دون أن يحاكموا محاكمة نقدية واعية ما ذكره هؤلاء أو ساقوه من أحكام بحق الحركات الاجتماعية في الإسلام التي برزت في العصرين الأموي والعباسي. وعليه، فإن من الضروري اليوم أن نبصر قراءة أخرى لهذه الحركات تستند إلى أدبياتها المتاحة، وليس فقط إلى ما ردده بعض المؤرخين المعاصرين لها آنذاك. أليس من الجائز أن يكون هؤلاء قد أسرفوا في تحميل هذه الحركات وزرًا هي براء منه؟ كل شيء ممكن.

حَرِيٌّ بمؤرخينا المعاصرين وحملة الإسلام عندنا أن يقرأوا من جديد أدبيات هذه الحركات في مراجعها المتاحة، وألا يعتمدوا - كما أسلفت - على كل ما كتبه عنها مؤرخو تلك الفترات التاريخية. فذلك أقرب إلى المنهج العلمي الذي ننشده.

إنك تقرأ بعض ما أورده عدد من مؤرخينا القدماء حول هذه الحركات الاجتماعية، وما قيل عن تمادي أصحابها في انتهاك المحرمات وإباحة النهب والقتل. ثم حين ترجع إلى ما كتبوه لنا من أدبيات، تستغرب ما تكتشفه من تناقض ومفارقات. فهل كانوا يقولون شيئًا، ويمارسون شيئًا آخر مختلفًا؟ وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا كان معظم أتباع هذه الحركات الاجتماعية من الفقراء والمهمشين؟ أليس من الضروري أن يثير انضمام أمثال هؤلاء إليها الكثير من التساؤلات المشروعة؟ بالطبع لست أدافع بالمطلق عن هذه الحركات؛ لكنني أدعو إلى قراءة علمية لظروف نشأتها تأخذ في الحسبان البيئة الاقتصادية وما شابها من تناقضات اجتماعية أوجدت فرقًا شاسعًا بين شريحة مترفة وغالبية تعيش في فقر مدقع. إن محاكمة هذه الظروف على نحو علمي بعيدًا عن أية اعتبارات أخرى تتعلق بما رواه هذا المؤرخ عن سلبية هذه الحركة الاجتماعية، أو تلك، هي وحدها الكفيلة بوضعها في الإطار الصحيح. لنأخذ حركة من سُمُّوا العيارين

• كاتب صحافيّ في جريدة الرأي الأردنيّة.

والشطّار. هل كانوا مجرد لصوص محترفين ينهبون أموال الأغنياء ويسطون عليها لإشباع شهواتهم؟ أم أن هدفهم كان أبعد من ذلك؛ إذ إن أشعارهم وأدبياتهم تتحدث عن اقتسامهم الأموال مع المعدمين والفقراء؟

من المسؤول عن انتشار هذه الظاهرة؟ لنعرج على حركتي القرامطة والزنج، اللتين اشتد ساعدهما زمن العباسيين، ولنحاول قراءة بعض ما أورده مؤرخون في ذلك العصر ممن دانوا أنفسهم تصرفات أتباع هاتين الحركتين، أمثال ابن الجوزي وغيره.

ما أورده ابن الجوزي عن القرامطة، مثلاً، يثير لدينا تساؤلات مشروعة. هل كان هؤلاء فعلاً يرتكبون الكبائر والمعاصي كما ذكره مؤرخو عصرهم؟ لنقرأ بعض ما أورده ابن الجوزي نفسه في "**المنتظم**"، ثم ما ذكره نقلاً عنه المستشرق ميكال يان دي خويه في كتابه "**القرامطة**"، ترجمة وتحقيق حسني زينة، الذي عده الناشر المرجع الأول لكل دراسة عن القرامطة.

يشير ابن الجوزي إلى حوار دار بين سعيد القرمطي وبين الخليفة العباسي المقتدر حين تمكن منه. ويقول الحوار بالنص على لسان سعيد القرمطي: "إننا لم نخرج عن الطاعة، ولكننا كنا قوماً مستورين. فنقم علينا فجار من الناس لا دين لهم، فشنعوا علينا وقذفونا بالكبائر. وأما ما ادُّعِيَ علينا من ترك الصلاة وغيرها، فلا يجوز قبول دعوى إلا ببينة. وإذا كان السلطان ينسبنا إلى الكفر بالله تعالى، فكيف يسألنا أن ندخل في طاعته؟"

ابن الجوزي "**المنتظم**" وكتاب "**القرامطة**"
تأليف ميكال يان دي خويه
ترجمة: حسني زينة

وهنا يبرز سؤال مشروع: إذا كان ما قاله هذا القائد القرمطي صحيحاً، فكيف نفهم ما صنعه القرامطة بمكة عام ٩٣٩، وبحجيجها وحجرها الأسود؟ أليست فعلتهم هذه انتهاكاً للمحرمات؟ هذا ما يقوله مؤرخو عصرهم، وما يتبناه العقل.

لكن باحثين آخرين يقولون إن القرامطة ردوا بهذا على الأصوات التي كانت تهاجمهم من منابر مساجد مكة، وتمجد من طرف آخر العباسيين. أما سلبهم للحجر الأسود، فعده هؤلاء شكلاً من أشكال الأصنام، وصدى من أصداء الوثنية التي ناهضها الإسلام.

أنظر في "**الفكر السياسي العربي**"
د. الطيب تيزيني؛ ص ١٧٣

على كل حال، يمكن القول إن هذه الفرقة - وهي إحدى فرق الإسماعيلية - مازالت تعاليمها تثير إشكالية كبيرة ألمح إليها مؤلف كتاب "**القرامطة**" السابق الذكر حين أشار في مقدمته إلى أنه "يستحيل علينا حتى الآن أن نعطي أكثر من صورة تمهيدية لأسباب عدة منها التحفظ المقصود من قبل الأعضاء الراسخين في المذهب، ومنها افتراء أعدائها المنهجي، حتى لتظهر أكاذيبهم وكأنها الحقيقة نتيجة لتكرار الرواية، ولغياب الشهادات الحرية بالثقة".

كتاب **القرامطة** ص ١٣

أما حركة الزنج، فقد جاءت ثورتهم - كما وصفها د. نبيه عاقل - "مظهراً من مظاهر الصراع الطبقي أيام العباسيين تدعو إلى تحقيق العدالة والمساواة؛ لكنها عادت فتنكرت لمبادئها في أواخر أيامها، وإن استطاعت إنهاء نظام العبودية في الدولة العباسية".

انظر مجلة **دراسات تاريخية**
العدد الثالث ١٩٨٠ - جامعة دمشق

بقي أن أقول إننا بحاجة إلى قراءة علمية ناقدة لمثل هذه الحركات الاجتماعية؛ قراءة لا تتأثر بالأهواء وما ساقه بعض المؤرخين من أحكام عليها تفتقر إلى الأدلة والبينات. ما يهمنا هو أن نجلو الحقيقة ليس إلا؛ فنضع هذه الحركات في سياقها التاريخي. ■

سلسلة
اللقاءات الشهرية

[انظر أيضًا ص٢٢ – ٥٩]

العولمة والمجتمع العربيّ

د. مجد الدين خمش

عكس الإرهاب

د. جوزيف مسعد

سلسلة اللقاءات الشهرية

العولمة والمجتمع العربي*

د. مجد الدين خمش**

تمهيـــد

توضح البيانات الحديثة أن ١١ دولة من الدول العربية انضمت إلى تيار العولمة بعد أن وقعت على اتفاقية **الغات**، ومن ثمّ حصلت على عضوية منظمة التجارة العالمية. ويوضح الجدول رقم (١) هذه الدول، وتاريخ انضمام كل منها إلى منظمة التجارة العالمية. وتوضح ندوة حديثة منشورة في مجلة المستقبل العربي أنه يترتب على عضوية الدولة في منظمة التجارة العالمية حقوق والتزامات، توجزها الندوة فيما يأتي[1]:

١- التزام الدول الأعضاء في المنظمة بتطبيق القواعد العامة للسلوك التجاري عند التعامل مع الدولة العضو في جميع المجالات التي تشملها الاتفاقية.

٢- حق النفاذ إلى الأسواق لكل دولة عضو في المنظمة، وفقاً لحدود التثبيت الجمركي الواردة في جدول الدول الأعضاء، وكذلك بالنسبة لجدول الالتزامات في قطاع الخدمات.

٣- الاطلاع على السياسات التجارية للدول الأخرى، وما تقوم به من إجراءات من شأنها التأثير في النفاذ إلى الأسواق، ومدى اتساق ذلك مع الاتفاقات الدولية.

٤- تمكين الأعضاء في المنظمة من استثمار آلية تسوية المنازعات التجارية الدولية التابعة للمنظمة.

٥- المشاركة في المفاوضات المستقبلية بما يكفل الدفاع عن المصالح التجارية التي تهم تلك الدولة، وصياغة الاتفاقات الجديدة التي تقرها الاجتماعات الوزارية.

• عقد هذا اللقاء [رقم (٢٠٠٦/٤)] في مقر المنتدى بتاريخ ٢٠٠٦/٣/١.

•• أستاذ علم الاجتماع؛ الجامعة الأردنية – عمّان.

(١) ندوة "القدرة التنافسية للمؤسسات الاقتصادية العربية" في مجلة **المستقبل العربي**، السنة ٢٢، العدد ٢٥٤، بيروت؛ مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠.

الجدول رقم (١)
الدول العربية الأعضاء في منظمة التجارة العالمية
وتاريخ انضمامها إلى المنظمة حتى تاريخ ٢٠٠٦/٧/١

الدولة	تاريخ الانضمام
الكويت	١ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٥
البحرين	١ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٥
المغرب	١ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٥
قطر	١٣ كانون الثاني/ يناير ١٩٩٥
تونس	٢٩ آذار / مارس ١٩٩٥
جيبوتي	٣١ أيار/ مايو ١٩٩٥
مصر	٣٠ حزيران/ يونيو ١٩٩٥
الإمارات العربية المتحدة	١٠ نيسان/ إبريل ١٩٩٦
عُمان	٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٠
الأردن	١ نيسان/ إبريل ٢٠٠٠
السعودية	١١ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥

وقد بدأت فلسطين إجراءات انضمامها لمنظمة التجارة العالمية مع مطلع عام ٢٠٠٦، ما سيوفر لها فك ارتباط الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد الإسرائيلي، وربطه بدلاً عن ذلك باقتصادات العالم ككل. وهناك دول عربية أخرى تتمتع بصفة مراقب فقط، وهي: ليبيا واليمن والعراق والسودان، حيث تشارك هذه الدول في اجتماعات المنظمة، لكنها لا تشارك في مناقشة القضايا المعروضة ولا في التصويت لأن ذلك مقصور على الدول الأعضاء فقط.

الآثار الاقتصادية والاجتماعية للعولمة

مهن العولمة

يلاحظ المحلل المحايد أن العولمة أدت إلى نشوء مجموعات كبيرة من المهن الجديدة، التي يمكن أن يطلق عليها "مهن العولمة"، في المدن العربية الكبيرة، خاصة دبي وأبو ظبي والعين وعمّان والقاهرة وتونس وجدة ومراكش وبيروت ودمشق، وبغداد حديثاً. وتشمل هذه المهن: بيع أجهزة الموبايل ولوازم الموبايل، وبيع أجهزة إلكترونية متعلقة بالفضائيات، ومقاهي الإنترنت، وشركات إنتاج البرمجيات، ونظم الكمبيوتر. وقد تم الحصول من سجلات أمانة عمان الكبرى في الأردن على معلومات إحصائية مفيدة حول هذه المهن كما يتضح في الجدول رقم (٢).

وأدى نشوء هذه المهن وترسخها إلى نشوء فئات اجتماعية جديدة تشمل العاملين فيها. وتتميز هذه الفئات الاجتماعية بالتمتع بدخل مالي مرتفع نسبياً،

ونمط حياة متفتح مرتبط باقتصاديات المعرفة، وانفتاح وتسامح اجتماعيين. ومن الأمثلة على هذه الفئات المهنية: المبرمجون، ومدخلو البيانات، ومنتجو البرمجيات، ومصممو مواقع الإنترنت، والمدربون في مجالات الكمبيوتر والإنترنت.

من جهة أخرى، حصلت كل من مصر والأردن على اتفاقات خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية لإنشاء مدن صناعية مؤهلة موجهة للتصدير إلى أسواق الولايات المتحدة الأمريكية بشروط خاصة مناسبة. وفي الأردن بلغ عدد هذه المدن (عام ٢٠٠٦) ١١ مدينة مؤهلة أغلبها ملك للقطاع الخاص تنتشر في إربد والكرك وسحاب والعقبة والزرقاء والضليل والموقر. ويبلغ عدد الشركات العاملة في هذه المناطق الصناعية الخاصة ٤٨ شركة، أما رأس المال المسجل لها فيصل إلى ٤٩ مليون دولار أمريكي؛ في حين يبلغ حجم الاستثمارات فيها ٢١٦ مليون دولار أمريكي. ويصل حجم العمالة فيها إلى ٢٨ ألف عامل وموظف ٣٠ بالمائة منهم من الأردنيين حسب بنود الاتفاقية الخاصة بهذه المدن. وقد وصل حجم الصادرات إلى الأسواق العالمية من هذه المدن عام ٢٠٠٥م إلى مليار دولار أمريكي، ما ينشط الاقتصاد الوطني ويدعم الناتج المحلي الإجمالي.

الجدول رقم (٢)

المهن المرتبطة بالعولمة المرخصة في منطقة عمان الكبرى

حسب إحصائيات أمانة العاصمة حتى تاريخ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥م

المهنة	العدد	٪
بيع أجهزة موبايل وإكسسوارات للموبايل	١٣٩٤	٣٦,٥٠
بيع أجهزة كمبيوتر	٥٦٦	١٤,٨٠
لوازم كمبيوتر	٤٦٢	١٢,٠٠
خدمات كمبيوتر	٤١٦	١٠,٩٠
بيع أجهزة إلكترونية متعلقة بالفضائيات	٢٩٤	٧,٧٠
صيانة أجهزة كمبيوتر	٢٣٩	٦,٢٦
استشارات، نظم كمبيوتر	١٤٨	٣,٨٨
تقديم خدمات إنترنت	١٢٧	٣,٣٣
مقاهي إنترنت	٩٧	٢,٥٠
بيع أجهزة لواقط فضائية	٣٢	٠,٨٤
مراكز تدريب وتعليم كمبيوتر	٢٤	٠,٦٣
شركات إنتاج برمجيات	١٤	٠,٣٧
المجموع	٣٨١٣	٪١٠٠

العولمة وقيم العمل في الثقافة العربية

يبرز تحليل محتوى الثقافة العربية من القيم التي تتعلق بالعمل غنى الثقافة العربية بالقيم التي تحض على العمل وترغب فيه، وتحض على اتقانه، وتجويد الصنعة، وعدم الغش، والتجديد والابتكار. وهنالك بعض القيم الأخرى التي تحض على المساواة، وتكافؤ الفرص، والعدالة، وإعطاء كل ذي حق حقه. لكن هنالك فجوة واسعة بين القيم، كما هي معطاة في الثقافة العامة، وبين الواقع اليومي المعاش في بيئة العمل وفي المجتمع بشكل عام، والذي يناقض تماماً هذه القيم ومضامينها بدل أن يلتزم بها. أنظر الجدول رقم (٣). ويأتي جزء كبير من القيم من مصدر ديني، فهناك كثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تحض على العمل والإنتاج، وعدم الغش، وإعطاء كل ذي حق حقه. وهنالك مصادر أخرى للقيم، مثل الظروف الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، والقوى السياسية وتوجهات النخبة فيه. فتعمل هذه الظروف وهذه القوى على تحديد أهداف مرحلية، أو طويلة المدى للمجتمع، مثل التصنيع، أو زيادة التصدير، والإحلال محل الواردات، وخفض المديونية. وتوجه جهود المؤسسات والأفراد للالتزام بهذه القيم في برامجها وسلوكها وحياتها اليومية. وتحشد لذلك الدعم المالي والمعنوي المناسبين لتطوير برامج وسياسات اجتماعية وإعلامية تقدم تفسيرات منطقية لهذه الأهداف، وتحبب هذه الأهداف إلى قلوب الأفراد.

الجدول رقم (٣)

الفجوة بين قيم العمل كما هي معطاة في الثقافة المجتمعية العامة والسلوك الفعلي للأفراد والجماعات في الحياة اليومية(٢)

قيم العمل	السلوك الفعلي للأفراد والجماعات
قيمة العلم والتعلم	الحصول على الشهادة
قيمة التصنيع	التشكيك وعدم المبالاة وتفضيل النشاط الريعي
قيمة التعلم المستمر	التواكل والكسل
قيمة التدريب والتدرب	التواكل والكسل
قيمة إتقان العمل وتجويد السلعة	الفهلوة والحذلقة اللفظية
قيمة عدم الغش	التزييف والحذلقة اللفظية
قيمة الثواب في الآخرة	الترديد اللفظي عادة
قيمة إعطاء كل ذي حق حقه	الشطارة وتسخيف جهود الآخرين
قيمة العدالة الاجتماعية	الاستغلال والظلم والتحيز
قيمة المساواة وتكافؤ الفرص	المعيار القرابي والواسطة

(٢) انظر مجد الدين خمش، **الدولة والتنمية في إطار العولمة**، عمّان، دار مجدلاوي، ٢٠٠٤؛ ص ١٧٣.

السلوك الفعلي للأفراد والجماعات	قيم العمل
الترديد اللفظي عادة	قيمة الأمانة والإخلاص
الاستقواء على الإدارة والتحايل على القانون	قيمة الانضباط وإطاعة القانون
هدر الوقت	قيمة احترام الوقت واستثماره
البذخ الملحوظ أو الفقر	قيمة الاعتدال
العزوف والتحفظ	قيمة العمل المهني واليدوي
العزوف والتحفظ	قيمة العمل الخدماتي
البذخ والفقر والحرمان	قيمة إشباع الحاجات الحياتية للناس باعتدال
البذخ والفقر والحرمان	قيمة الاستمتاع بمباهج الحياة
الجشع	قيمة تحقيق الربح باعتدال
هدر الموارد	قيمة الادخار والاستثمار
الإنجاب الكثيف	قيمة تنظيم الأسرة
اغتيال الشخصية	قيمة التنافس الشريف
الاتكالية على الدولة ومؤسساتها	قيمة الكد والاجتهاد
الشللية والتعصب القرابي	قيمة الانتماء لمؤسسة العمل
الفردية والتسلط	قيمة المشاركة والشورى
القدرية والاستسلام	قيمة التخطيط
التفكير الخرافي	قيمة التفكير السببي

وهنالك قيم سلبية في مضمونها وتوجيهاتها جاءت مع حقبة الطفرة النفطية وتدفق الأموال السهلة إلى جميع المجتمعات العربية المنتجة للنفط وغير المنتجة له، والتي تمتعت خلال السبيعينيات والثمانينيات من القرن الماضي بتسهيلات ائتمانية كبيرة تدفقت على إثرها الأموال على شكل هبات ومساعدات وقروض سهلة. وتشكلت في هذه الحقبة قيم الاتكالية على الدولة الأبوية، وقيم الكسب السريع من خلال المضاربات في مجالات الأراضي والعقارات، إضافة إلى قيم الفساد والإفساد المالي والإداري الذي ارتبط بقيمة الكسب السريع دون جهد أو عناء.

وقد بدأت الدول العربية حديثاً بالتخلي عن سياسات الرفاه الاجتماعي المكلفة، كما بدأت تنشط في محاربة الفساد الذي استفحل في كثير من الإدارات الحكومية والخاصة.

ويمكن القول بشكل عام إن الثقافة العربية غنية بالمعاني النبيلة وقيم العمل الأصيلة، لكن المشكلة تكمن في عدم توفر مؤسسات اجتماعية قادرة على تحويل هذه القيم إلى برامج وسياسات يدرب عليها الأفراد بما يكفي لاستدماجها من قبلهم بحيث تتحول إلى سلوك يومي. فقيم العمل مهما كانت نبيلة لا تستطيع

وحدها أن تتحول إلى واقع يومي بدون استدماجها من قبل الأفراد الذين يجعلون منها طاقة حية قادرة على تغيير الواقع وتحسين القدرات الإنتاجية للمجتمع. وفي هذه الحالة فقط يكون الأفراد قد تخلصوا من شخصياتهم التقليدية الارتباطية، وتحولوا إلى أفراد إنجازيين يتمتعون بالشخصية الإنجازية التي تجد معنى لحياتها من خلال إتقان العمل وتطويره، كما يتضح في النموذج النظري رقم (١).

النموذج النظري رقم (١)

المؤسسات الوسيطة ودورها في إنتاج الشخصية الإنجازية

قيم العمل (كما هي معطاة في الثقافة)
↓ ↑
المؤسسات الاجتماعية والسياسية والمهنية، ومؤسسات المجتمع المدني
↓ ↑
الشخصية الإنجازية (الالتزام الحياتي بقيم العمل كما هي معطاة في الثقافة)

كما يوضح النموذج النظري أعلاه فإن إنشاء وتطوير مؤسسات سياسية واجتماعية، وتشريعات مناسبة وفعالة تتبنى قيم العمل المعطاة في الثقافة وتحولها إلى برامج وسياسات معاصرة يمكن أن يجسر هذه الفجوة الصارمة بين المثال والواقع حين يتم إيصال القيم إلى الأفراد، ليس لترديدها لفظياً وإنما لاستيعاب مضامينها وارتباطها بأهداف المجتمع السياسية، ثم استدماجها بحيث تصبح جزءًا أصيلاً في شخصياتهم، تعطيهم الدافعية للبذل والعطاء والإنتاج المستمر. ومن خلال ذلك كله تتحول شخصياتهم من شخصيات تقليدية إلى شخصيات إنجازية حديثة تلتزم بهذه القيم التزاماً عميقاً بحيث يتم تجسير الفجوة الواسعة بين قيم العمل كما هي معطاة في الثقافة، وبين الممارسة السلوكية لهذه القيم في الواقع الحياتي اليومي.

مثل هذه العملية، أي عملية تحويل قيم العمل إلى برامج وسياسات مؤسسية ثم تكريسها في عقول الأفراد، لا تتم بنجاح حاليا، سواء في المدارس أو الجامعات أو النقابات أو مؤسسات المجتمع المدني الأخرى، ما يؤدي إلى هدر الموارد باستمرار، وتراجع الإنتاجية، وضعف العدالة الاجتماعية، وتذمر الأفراد والجماعات، وعدم فاعلية الجهود التنموية.

لكن العولمة تملك مثل هذه المؤسسات والقوى الوسيطة، وأهمها شهادات الآيزو ومنظمة التجارة العالمية واتفاقاتها ومبادرات منتدى دافوس السنوي. كما أن العولمة، وهي تؤكد تحرير الأسواق، تؤكد أيضاً التنافس الذي يوجد آليات فعالة لضمان الجودة والنوعية للسلع والخدمات، وزيادة مهارات العمال وتحفيزهم، ورفع مستوى الإنتاجية كماً ونوعاً. وتعمل منظمة التجارة العالمية بشكل فعال على الحد من تشوهات الأسواق، وهي تلقي على الاقتصادات العربية مسؤولية السعي الدؤوب لتحسين قدراتها الإنتاجية، وتوجيه مواردها بشكل أكثر كفاءة من ذي قبل.

وتعمل اتفاقات جولة الأوروغواي **(الغات)** والالتزامات الواردة فيها على تنظيم التجارة العالمية في السلع والخدمات والجوانب المتصلة بحقوق الملكية الفكرية. والجدير بالذكر أن عدداً من الدول العربية الأعضاء في منظمة التجارة العالمية انضمت إلى مفاوضات جولة الأوروغواي أيضاً، ووقعت على اتفاقاتها، وتشمل هذه الدول: الكويت ومصر وتونس والمغرب والأردن والبحرين وقطر والسعودية وعُمان.

وهنالك أيضًا نظام الجودة العالمي ومقاييسه المعتمدة

دولياً، وأهمها مجموعة مقاييس الآيزو: الآيزو ٩٠٠٠ المتعلق بالجودة، والآيزو ٩٠٠١ المتعلق بإنشاء برامج جديدة خاصة بالمؤسسة وبالجودة والتصميم، وشهادات HACCP المتعلقة بحماية جودة الغذاء. وقد حصلت عدة مئات من المؤسسات والشركات العربية في الأردن ومصر ودولة الإمارات العربية المتحدة حتى الآن على شهادات الآيزو؛ ما حسن من قدراتها التنافسية محلياً وعالمياً.

وتؤدي العولمة وعملياتها ومنظماتها الوسيطة إلى نشر القيم الإيجابية للعمل وتعميمها على مستوى العالم، وتعمل على إيجاد آليات لضمان الالتزام بهذه القيم بشكل مستمر ودائم. وبعض قيم العمل الإيجابية معروضة في الجدول رقم (٤) الذي يتضمن مجموعة من قيم العمل التي يؤدي الالتزام بها إلى تحسين القدرات الإنتاجية للدولة ومؤسساتها، وإلى زيادة قدراتها التنافسية في الأسواق العالمية.

الجدول رقم (٤)

بعض قيم العمل المتضمنة في العولمة وعملياتها

قيم العمل	آليات التعميم ومتابعة الالتزام بقيم العمل
الإنتاج الكثيف والانفتاح الاقتصادي	منظمة التجارة العالمية ومنتدى دافوس
إتقان العمل	شهادات الآيزو ومنتدى دافوس
تجويد السلعة	صندوق النقد الدولي وشهادات الآيزو
الرفاهية والاستهلاك	البنك الدولي وشهادات الآيزو
الطموح الفردي والإنجاز	اتفاقية الغات والالتزامات الواردة فيها ومنتدى دافوس وشهادات الآيزو
التحديث في الحياة	شهادات الآيزو ومنتدى دافوس
التنافسية	اتفاقية الغات وشهادات الآيزو
الانضباط وإطاعة القانون	اتفاقية الغات
الاعتماد على الذات في الصناعة والخدمات	منظمة التجارة العالمية وشهادات الآيزو
ضمان السلعة بعد البيع	شهادات الآيزو
صيانة السلعة بعد البيع	شهادات الآيزو
حقوق العملاء والزبائن	نظام ضمان الجودة والنوعية (مقاييس الآيزو)
الاتصال السريع	الإنترنت والفضائيات
تداول المعلومات والأفكار	منتدى دافوس والإنترنت والفضائيات

ولعل التحدي الأساسي الذي يواجه البلدان العربية في العقد الحالي والعقود القادمة هو تدعيم القدرة التنافسية لهذه البلدان ومؤسساتها الاقتصادية في إطار العولمة. وقد أوضحت ندوة "القدرة التنافسية للمؤسسات الاقتصادية العربية" المذكورة سابقاً، التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في عام ٢٠٠٠، وشارك فيها مهدي الحافظ، وإبراهيم العيسوي، ويوسف صايغ، وآخرون، أن تنمية القدرات التنافسية العربية على مستوى المشروع في ظل العولمة تشمل ما يأتي:

١- الارتقاء بتصميم المنتجات وجودتها، والالتزام بالمواصفات الدولية للجودة.

٢- التطوير التكنولوجي لزيادة الإنتاجية وخفض التكلفة .

٣- الاهتمام بالبحث والتطوير، خاصة في حالة المنشآت الكبرى .

٤- الارتقاء بالعمالة وزيادة إنتاجها من خلال التدريب وإعادة التدريب والتحفيز.

٥- دراسة الأسواق العربية والخارجية، والبحث عن فرص التصدير لقطاعات بعينها في هذه الأسواق، وبذل الجهود التسويقية من أجل كسب هذه الأسواق، خاصة في حالة المنشآت الكبرى.

٦- التطوير الإداري والتنظيمي على مستوى المشروع بما يؤمن أداء أكثر فاعلية، ويكفل بيئة إدارية أفضل.

العولمة والدولة في المجتمع العربي

بعد انضمام ١١ دولة عربية إلى منظمة التجارة العالمية حتى ٢٠٠٦/٧/١، وبعد التوقيع على اتفاقية **الغات** (جولة الأورغواي ١٩٩٣)، بدأت الدولة في البلدان العربية تُخضع نفسها لمراجعة داخلية تشمل حجمها وسياساتها الاقتصادية والاجتماعية بما يتناسب ومتطلبات تحرير التجارة، والاندماج في السوق العالمي. وتؤدي هذه المراجعة إلى قيام الدولة بسن تشريعات جديدة لتشجيع الاستثمار، والتقليل أو التخفيف من العوائق الجمركية، وتقليص حجم المؤسسات العامة وزيادة كفاءتها الانتاجية، ورفع الدعم تدريجياً عن المحروقات وبعض السلع الأساسية، وتنفيذ عمليات الخصخصة؛ أي تحويل ملكية المؤسسات العامة إلى القطاع الخاص المحلي أو الخارجي، أو كليهما معاً.

وقد تتضمن عمليتا الخصخصة وتشجيع الاستثمار الخارجي تعامل الدولة العربية مع الشركات متعددة الجنسيات التي تملك، نتيجة لمواردها الهائلة، قدرات تفاوضية كبيرة قد تؤثر على الدولة العربية اقتصادياً أو اجتماعياً. ومن جهة أخرى، فإن العولمة الثقافية القائمة على الفضائيات التلفزيونية والإنترنت تجعل احتكار الدولة العربية للسيادة الثقافية على الأجواء الوطنية أمراً شديد التعقيد. ذلك لأن المعلومات والتحليلات والتوجيهات القيمية التي تصل إلى المواطن العربي لم تعد بيد الدولة العربية بشكل كامل، وإنما تشاركها في ذلك الآن الفضائيات التلفزيونية،

سواء أكانت عربية أم غير عربية، وكذلك الإنترنت وخدماتها المتنوعة. لذلك تعمد الأدبيات التي تحلل تأثير العولمة على الدول العربية إلى طرح فرضية تقول: إن العولمة تؤدي إلى إضعاف سلطة الدولة ودورها في المجتمع العربي المعاصر. وتؤكد هذه الأدبيات، بناءً على ذلك، أن العولمة تتضمن بعض السلبيات، لعل هذا الإضعاف المفترض لدور الدولة العربية أحد أبرز مظاهرها.

لكن غالبية الأدبيات، خاصة تلك الأكثر حداثة، تتفق على أن ما يحدث فعلاً هو تعديل في وظائف الدولة العربية، وليس إضعافًا لها أو تقليصًا لدورها. وبالتحديد، فإن الدولة العربية تعيد صياغة دورها الاقتصادي والاجتماعي بما يتناسب وتحرير التجارة والاندماج في السوق العالمي، مفسحة المجال للقطاع الخاص للنمو والتمدد بما يدعم توظيف التقنيات الحديثة، وزيادة القدرات الإنتاجية الوطنية. ومن جهة أخرى، تقوم الدولة بسن التشريعات الكفيلة بفتح الأسواق الوطنية للاستثمارات الخارجية، كما تقوم بإزالة كثير من العوائق الجمركية والحمائية، وتنفيذ برامج الخصخصة، مقللة بذلك من الوظائف الاقتصادية الكثيرة التي تقوم بها، ما يزيد في كفاءتها وقدراتها السياسية والإدارية. وتؤدي سياسات رفع الدعم الحكومي عن المحروقات وبعض السلع الأساسية إلى إعادة صياغة الدور الاجتماعي للدولة. كما تقوم الدولة بسن التشريعات الكفيلة بإنشاء مدن للمعلومات، ومحطات تلفزيونية فضائية وأرضية أهلية تشارك معها في السيادة الثقافية الوطنية.

لكن الدولة في المجتمع العربي - وهي تقوم بذلك كله - تعمل على التخفيف من هذه الآثار السلبية للعولمة باعتماد عدد من البرامج والسياسات أهمها:

- تدعيم شبكات الأمان الاجتماعي لحماية الطبقات الفقيرة وتسيير سبل العيش لها، خاصة الضمان الاجتماعي والتأمين الصحي المجاني أو شبه المجاني وصناديق المعونة الوطنية، بما يقلل من الآثار السلبية لتوقف الدولة عن دعم المحروقات والسلع الأساسية.

- تشجيع الاستثمارات الخارجية من خلال التشريعات الجديدة والجهود السياسية والدبلوماسية، وتوجيه هذه الاستثمارات نحو مشاريع إنتاجية موجهة للتصدير نحو الأسواق الخارجية، ما يدعم الناتج المحلي الإجمالي، ويوفر فرص عمل جديدة لطالبيها بما يقلل من معدلات الفقر والبطالة. والجدير بالذكر أن معدل البطالة في العالم العربي حاليًا، حسب إحصاءات جامعة الدول العربية، يصل إلى ١٤٪ من مجموع القوى العاملة الذي يقدر بـ ٩٠ مليون عامل، ويتوقع أن يصل إلى ١٢٥ مليون عامل في عام ٢٠١٠. وهناك ٢,٥ مليون مواطن عربي يدخلون سوق العمل سنويًا، ما يعطي لهذه الاستثمارات دوراً متميزاً في مواجهة هذه المشكلات.

- الاهتمام بالجوانب الاجتماعية لبرامج الخصخصة. ويتبدى ذلك في قيام الدولة بالتفاوض مباشرة مع المستثمرين الخارجيين أو القطاع الخاص المحلي، نيابة عن الموظفين والعمال، عند بيع أسهم المؤسسة العامة للقطاع الخاص المحلي أو

المستثمرين الأجانب. وهذا يضمن حصول هؤلاء الموظفين والعمال على حقوقهم ووظائفهم في غالبية الأحيان. وغالباً ما يتم التوصل إلى اتفاق لإعادة تدريب هؤلاء الموظفين والعمال وهم على رأس عملهم بما يتناسب واقتصاد السوق المحلي والعالمي، ما يضمن لهم الحفاظ على وظائفهم، والحصول على زيادات جيدة على رواتبهم.

– تقبل المشاركة في السيادة الثقافية للدولة على مواطنيها، والتكيف مع هذه المشاركة، بعدم وضع معوقات أمام انتشار الإنترنت وخدماتها واستخداماتها. وسن التشريعات للسماح للقطاع الخاص بإنشاء محطات تلفزيونية أرضية وفضائية. والأهم من ذلك أيضًا، تطوير أجهزة الإعلام الرسمية، واعتماد استراتيجية إعلامية منفتحة ومنافسة تقدم المعلومات والتحليلات للمواطن حول الأحداث بدقة وسرعة ومهنية عالية. وذلك يغني المواطن عن التوجه إلى الفضائيات العربية وغير العربية للوقوف على الأحداث وتطوراتها، ويبقي المواطن بشكل مناسب ضمن التوجهات القيمية للدولة.

تلخيص وخاتمة

يوضح هذا البحث أن ١١ دولة من الدول العربية قد انضمت رسمياً إلى تيار العولمة حتى تاريخ ٢٠٠٦/٧/١ بعد أن وقعت على اتفاقية **الغات،** ومن ثمّ حصلت على عضوية منظمة التجارة العالمية. وذلك يرتب على هذه الدول مجموعة من الالتزامات، ويعطيها مجموعة من الامتيازات والحقوق فيما يتعلق بحرية التجارة، وحق النفاذ إلى الأسواق، وفقاً لبنود اتفاقية **الغات.**

أما أهم الآثار الاقتصادية والاجتماعية للعولمة على الدول العربية، فإلى جانب تنشيط التجارة وازدياد مساهمتها في الناتج المحلي الإجمالي في الدول العربية، يلاحظ المحلل المحايد أن العولمة أدت إلى نشوء وتطور مجموعات كبيرة من المهن الجديدة التي يمكن أن يطلق عليها"مهن العولمة"، وتنتشر حالياً في غالبية البلدان العربية. وتشمل مهن العولمة المهن المرتبطة بالموبايل، والاتصالات، والكمبيوتر، والإنترنت، وإنتاج نظم الكمبيوتر والبرمجيات وتطويرها. وقد أدى ذلك إلى نشوء فئات اجتماعية جديدة تعمل في هذه المهن، وتتمتع بدخل مالي متوسط إلى مرتفع نسبياً، ونمط حياة منفتح على تكنولوجيا المعلومات. وتتميز هذه الفئات بإتقان اللغة الإنجليزية ومهارات المعلوماتية، ودرجة ملحوظة من التسامح وتقبل التجديد.

من جهة أخرى، حصلت مصر والأردن على اتفاقات تجارية خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية لإنشاء مدن صناعية مؤهلة موجهة نحو التصدير تتركز فيها الاستثمارات الآسيوية والمحلية. وهي توفر فرص عمل لآلاف العمال والموظفين المحليين، ويدعم مردود تصديرها الناتج المحلي الإجمالي.

وفي الجانب الثقافي، فإن تأثير العولمة على قيم العمل العربية واضح وإيجابي. وبالرغم من أن الثقافة العربية غنية بقيم العمل الإيجابية التي تحض على إتقانه، وتجويد السلعة، وعدم الغش، وتكافؤ

الفرص، والعدالة الاجتماعية؛ فهناك فجوة واسعة بين هذه القيم، كما هي معطاة في الثقافة المجتمعية، وبين الواقع اليومي المعاش في بيئة العمل وفي المجتمع بشكل عام، والذي يناقض تماماً هذه القيم ومضامينها. ويعود ذلك بشكل أساسي إلى عدم توفر مؤسسات وسيطة تقوم بدور التدعيم والمتابعة والمراقبة بما يضمن تحول هذه القيم إلى ممارسات يومية لدى المؤسسات والأفراد.

وتوضح تحليلات البحث أن العولمة تملك مثل هذه المؤسسات الوسيطة، وأهمها اتفاقية الغات، ومنظمة التجارة العالمية، وشهادات الآيزو، ومبادرات منتدى دافوس السنوي. كما أن العولمة - وهي تؤكد تحرير الأسواق - تؤكد أيضًا التنافس الذي يؤدي إلى إيجاد آليات فعالة لضمان الجودة والنوعية للسلع والخدمات، وزيادة مهارات العمال وتحفيزهم.

وفيما يتعلق بتأثير العولمة على الدولة في البلدان العربية، يتضح من تحليلات البحث أن ما يحدث فعلاً هو تعديل في وظائف الدولة العربية، وليس إضعافاً لها أو تقليصاً لدورها؛ إذ تقوم الدولة العربية بإعادة صياغة دورها الاقتصادي والاجتماعي بما يتناسب وتحرير التجارة، والاندماج في الأسواق العالمية. ويتضمن ذلك تشجيع الاستثمار من خلال التشريعات المناسبة، وتنفيذ برامج الخصخصة، أو التخاصية، بما يزيد من قدرة الاقتصاد الوطني على النمو، ويزيد في كفاءة الدولة وقدراتها السياسية والإدارية. وتؤدي سياسات رفع الدعم الحكومي عن المحروقات وبعض السلع الأساسية إلى إعادة صياغة الدور الاجتماعي للدولة، من دعم للسلع إلى دعم مباشر للفئات الفقيرة. كما تقوم الدولة بسن التشريعات الكفيلة بإنشاء مدن معلومات، ومحطات تلفزيونية فضائية وأرضية أهلية تشارك معها في السيادة الثقافية الوطنية على مواطنيها. ■

سلسلة اللقاءات الشهرية

عكس الإرهاب*

د. جوزيف مسعد**

الإرهاب اسمٌ غير مفترض، بل هو مفروض دوماً. فالمفهوم التصنيفي الذي يحوله من ممارسة إلى هوية مفهومُ خاص وليس عاماً. ففي حين تكنّي سلطة الدولة بعض الممارسات بالإرهاب، وتُعَمِّدُ مرتكبيها "بالإرهابيين"؛ فإن جميع من يكنَّون بالإرهابيين يرفضون كنيتهم المفروضة عليهم من قبل الدولة. فلا تجد، مثلاً، منظمات اسمها: الجيش الإرهابي الإيرلندي، أو الكونغرس الإرهابي الإفريقي، أو منظمة الإرهاب الفلسطينية. وإذا كان شرط الهوية هو كونها ذاتَ شقين: موضوعي، وذاتويّ (أي المناداة والاستدخال)، فالهويات الإرهابية لم تزل مفاهيماً خاضعة للمساءلة؛ حيث أنها مسيطرٌ عليها من قبل عدوٍّ يحكم على رأس السلطة، ويتحكم بوسائل تصوير الهويات وتمثيلها. فحين تفترض كل الهويات الذاتوية (وطنية كانت أم عرقية أم إثنية) ذاتاً وآخر هو عكس هذه الذات، فإن الهويات الموضوعية تتكوًن بنفس الآلية، ولكن من منظور الآخر لا من منظور الذات حاملة تلك الهوية.

وفي حالة الإرهابي فإن من يعرِّف هويته دوماً ليس ذاته بل الآخر، العدوّ، الذي يعرِّف ذات الإرهابيٍّ وآخره. وحيث أن الدولة، ومن منطلق كونها عدوة الإرهاب، تعرِّف ذات الإرهابي، فهل تعرِّف ذاتها أيضا على أنها آخر الإرهابيّ؟ ويطرح هذا السؤال نفسه على جميع الدول العادية والعظمى، التي تصم جماعات ودولاً أضعف منها بالإرهابية.

فهل العملية هذه ضرب من استدخال ما أسماه نيتشه "أخلاق العبيد"؟ أم هي الغاية الهيغيلية لرحلة الوعي الإنساني باتجاه "الحرية والإرهاب بالمطلق"؟ أم هي مختلفة تماما عنهما؟ هنا يبرز سؤالان: ما هو عكس الإرهاب كممارسة؟ وما هو عكس الإرهابي كهوية؟

كي أخوض في هذه المسألة، وجدت الحالة

• عقد هذا اللقاء [رقم (٢٠٠٦/٧)] في مقر المنتدى؛ ٢٠٠٦/٨/١٦.

•• أستاذ مشارك في جامعة كولومبيا/ نيويورك.

الفلسطينية الإسرائيلية مركزية، سيما أن المستوطنين المستعمرين الإسرائيليين وأهل البلد الأصليين من الفلسطينيين يوصمون على أنهم إرهابيين- الصهاينة من قبل الإمبراطورية البريطانية والفلسطينيين، والفلسطينيون من قبل الإمبراطورية البريطانية ومن بعدها الأمريكية، وأيضاً من قبل المستعمرة الاستيطانية إسرائيل. تاريخ هذه التسمية الهوياتية ونشرها في حالة فلسطين/ إسرائيل يزودنا ببعض الأجوبة.

اتسمت الممارسات الصهيونية الاستعمارية تحت الانتداب البريطاني، والذي امتد من ١٩٢١ وانتهى في ١٤ أيار/مايو ١٩٤٨ بإقامة المستوطنة الاستعمارية، باستراتيجيات مختلفة. ففي حين كان المشروع الصهيوني الرئيسي الذي رعته الإمبراطورية البريطانية هو الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية، وطرد الفلاحين عنها بغية إقامة اقتصاد يهودي حصري مبني على مبدأ "العمل العبري الخالص"، فقد اتخذت المقاومة الفلسطينية المبكرة (والتي تخللها بعض العنف أحيانا) أسلوب الاستئثار بالقانون البريطاني عبر العرائض القانونية، وتنظيم الشعب وتعبئته ضد بيع الأراضي للصهاينة، والاستعانة باللاعبين الدوليين لكي يساعدوها في الحصول على الاستقلال الوطني. وعندما تجلى فشل هذه الاستراتيجية، تفجرت الثورة الفلسطينية التي استمرت من عام ١٩٣٦ وحتى عام ١٩٣٩؛ حيث كانت الإضرابات والتظاهرات جزءًا من الثورة، التي تخللتها أيضاً العمليات الفدائية ضد البريطانيين والمستوطنين الاستعماريين اليهود. وقد كان الرد البريطاني هائلاً؛ حيث أعادت بريطانيا اجتياحها لكل فلسطين مرة أخرى، وقتلت أكثر من خمسة آلاف فلسطيني وجرحت أكثر من خمسة عشر ألفا آخرين، ونفت وأعدمت القيادة الفلسطينية. كما اشتمل الرد البريطاني على تنظيم فرق موت مكونة من جنود بريطانيين وقوات صهيونية عرفت باسم "قوات الليل الخاصة" أغارت على القرى الفلسطينية ليلاً وقتلت الكثير من الفلسطينيين[1].

في هذا السياق، فهم ديفيد بن غوريون، قائد المستوطنين، بأن للثورة الفلسطينية أبعادًا حضارية تعرِّف الهوية الفلسطينية وهوية المستعمرين اليهود، حيث شدد عام ١٩٣٦، بعد عدة أشهر على تفجر الثورة الفلسطينية، على وجوب أن تكون الاستراتيجية الصهيونية مختلفة عن الاستراتيجية الفلسطينية على أسس حضاروية، حيث قال: "نحن لسنا عرباً، والآخرون يقيموننا بمقاييس مختلفة... أدوات حربنا تختلف عن أدوات العرب، وأدواتنا هي الوحيدة التي ستضمن انتصارنا. إن قوتنا محصورة بالدفاع... وستمنحنا هذه القوة انتصاراً سياسيًا، إن فهمت بريطانيا والعالم بأننا ندافع عن أنفسنا ولا نهاجم الآخرين"[2]. فبينما كونت جماعة بن غوريون فرق موت تحت إمرة القائد البريطاني تشارلز أورد ونغيت[3]، وأبقت بذلك على ما أسماه عنفاً حضاريًا وشرعيًا، اختار آخرون من الصهاينة صنفاً آخر من العنف المنظم، والذي بدوره كان سيسمى "الإرهاب". وقد شرع هؤلاء الصهاينة باستخدام طرق جديدة لقمع الثورة الفلسطينية تضمنت تفجير المقاهي بالقنابل (في القدس مثلاً في

١٧ آذار/ مارس ١٩٣٧)، وزرع ألغام موقوتة كهربائياً في الأسواق المكتظة بالفلسطينيين، والتي استخدمت لأول مرة ضد فلسطينيي حيفا في ٦ تموز/ يوليو ١٩٣٨. وعندما اضطر البريطانيون للتقليل من دعمهم للمشروع الصهيوني، بعدما انتهوا بدورهم من قمع الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٩، أصبحوا هم أنفسهم هدفاً للهجمات الصهيونية. وكانت هذه لحظة حاسمة في تاريخ العلاقة البريطانية الصهيونية، حيث تضمن الرد الصهيوني تفجير باخرة بركابها المدنيين من اليهود في حيفا في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٤٠، مما أدى إلى مقتل مئتين واثنين وأربعين مدنيا يهوديا وبعض الجنود البريطانيين. كما تضمن اغتيال مسؤولين في الحكومة البريطانية، وخطف مواطنين بريطانيين كرهائن، وتفجير مكاتب تابعة للحكومة البريطانية وقتل موظفين ومدنيين، وتفجير السفارة البريطانية في روما عام ١٩٤٦، وتفجير سيارات متوقفة بالقرب من مبان حكومية، وقتل رهائن رداً على الممارسات الحكومية، والبعث برسائل وطرود متفجرة لساسة بريطانيين في لندن، وأعمالاً أخرى مشابهة.(٤) كان المخطط الرئيسي لهذه الهجمات، خاصة التفجيرات في الأسواق والمقاهي العربية وتفجير السيارات، هو مناحم بيغن الذي أصبح رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد، وقد نتج عن هذه الهجمات نعتُ جماعات صهيونية، كالإرغون وشترن من بعدها، بجماعات "إرهابية" من قبل البريطانيين.

لم يكن مناحم بيغن مقتنعاً بأن ممارسات مجموعته وجماعات صهيونية أخرى "إرهاباً". فقد اعترض بيغن، الذي كان يترأس مجموعة الإرغون تزافي ليؤمي، المنظمة العسكرية التي اقترفت الكثير من عمليات القتل هذه، على هذه التسمية التي وصمته بها الحكومة البريطانية والإعلام البريطاني والأمريكي إثر اقتراف مجموعته لمذبحة دير ياسين، التي ذهب ضحيتها زهاء مئة فلسطيني من المدنيين العزل في نيسان/ إبريل ١٩٤٨، حيث أصبح اسمه مقروناً بالإرهاب. كان ألبرت أينشتاين وحنة أرندت وغيرهما من بين أعداء بيغن الذين انتقدوا الترحيب الذي لقيه الأخير في الولايات المتحدة في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٤٨ أثناء زيارة قام بها لجمع التبرعات لمجموعته. فقد شدد أينشتاين وأرندت في رسالة بعثا بها إلى رئيس تحرير جريدة **النيويورك تايمز** على أن المجموعة التي يقودها بيغن، الإرغون، ليست "منظمة شوفينية يمينية إرهابية" فحسب، بل إن الحزب الذي انبثق عنها "يشبه بتنظيمه، وبأساليبه، وفلسفته السياسية وجاذبيته الشعبية إلى حد بعيد الحزبين النازي والفاشي". كما أضافا "أن الخطاب السياسي الذي يستخدمه بيغن ومجموعته هو ليس إلا تمويها"، وأصرا على أن "الحزب الإرهابي يعرف من أفعاله التي تظهره على حقيقته"(٥). وهنا يبدو أن رسالة آينشتاين وأرندت هي التي تظهر إيماناً ليبراليًا بتصنيف الإرهاب على أنه تصنيف ذو طبيعة موضوعية.

أصرَّ بيغن على مخالفتهما الرأي، وكان في رده على نعوت كهذه ذكياً ومتنبهاً، حيث شدد على أهمية تفكيك وأرخنة مفهوم "الإرهاب". ففي سيرته الذاتية الشهيرة التي نشرت عام ١٩٥١،

يركز بيغن على فصل مجموعته عن الإرهاب:

"لقد نعتنا أعداؤنا بالإرهابيين، أناس ليسوا أصدقاء أو أعداء، مثل مراسلي جريدة النيويورك هيرالد تريبيون، استخدموا أيضاً هذه التسمية اللاتينية تحت سطوة الدعايات البريطانية أو نتيجة عادة استخدام هذه التسمية، وقد استمروا بنعتنا بالإرهابيين حتى النهاية، ومع ذلك نحن لم نكن إرهابيين".

إضافة إلى هذا الإعلان الصريح، فقد زود بيغن قراءه بتاريخ لمفهوم "الإرهاب" بدءًا من الثورة الفرنسية وحتى الثورة الروسية. وكان طرحه من الحكمة لدرجة أنه قدَّر أن "الإرهاب" ليس مفهوماً موضوعيًا يتفق عليه جميع الأطراف، بل إنه لا يزيد عن كونه رطانة بلاغية يستخدمها أعداء غير متساوين لأهداف سياسية:

"من لحظتها، أصبح مفهوم الإرهاب يطلق على أعمال الثوريين وأعداء الثورة وعلى المحاربين من أجل الحرية وعلى المضطهدين أيضاً. ذلك يعتمد على من يستخدم التسمية. في الكثير من الأحيان يستخدم مفهوم الإرهاب من قبل الطرفين في تبادلهم للمجاملات مع بعضهم البعض. لكن الأصول التاريخية واللغوية للمفهوم السياسي والمسمى "إرهابا" يثبت أنه لا يمكن لهذا المفهوم أن يستخدم لنعت حرب ثورية للتحرير. يمكن للثورة أن تنتج ما نسميه الإرهاب كما حدث في فرنسا، ويمكن للإرهاب أن يكون المعلنَ عن الثورة، كما حدث في روسيا، لكن الثورة بحد ذاتها ليست إرهابًا، والإرهاب ليس الثورة. فالثورة والحرب الثورية لا تهدفان لزرع الخوف، وإنما لقلب النظام القائم واستبداله بنظام جديد يحل مكانه... الهدف الوحيد للطرف الأول هو قلب الطغيان المسلح، في حين هدف الطرف الثاني هو استمرارية الطغيان".

بعدما فسر بيغن هذه الاستراتيجية، التي حاول إعادة صياغتها في خطاب الموضوعية، حيث لا يستطيع مفهوم "الإرهاب" أن يصف حالات محددة بطريقة موضوعية، أو أن يستخدم فيها، يعود بيغن ليناقض نفسه ويزودنا بتقرير موضوعي عن الممارسات التي تخوضها مجموعته، مشدداً على أن للإرهاب معنىً موضوعيًا خارج استخداماته البلاغية.

"كيف لنضال من أجل كرامة الإنسان ضد الاضطهاد والإخضاع أن يقرن "بالإرهاب"؟ هدفنا، في الحقيقة، هو نقيض "الإرهاب". إن جوهر نضالنا النقي هو تصميمنا على تحرير شعبنا من مصابه الرئيسي، ألا وهو الخوف. لقد انتفضنا إذن كي نتمرد ونقاتل، لا لزرع الخوف بل للقضاء عليه، لكننا تاريخياً لم نكن إرهابيين، بل كنا ضد الإرهابيين".(٦)

هنا يبدو أن بيغن بدأ يعي أهمية "الإرهابي" وأبعاده كتسمية هوياتية، ومن ثم يعلن أن هوية مجموعته هي أنهم "ضد الإرهابيين" أو "لاإرهابيين". وبناءً عليه فإن جماعة الإرغون كانت تقوم بأعمال ليست إرهابية، بل نقيضها تماما، أي أعمال لا إرهابية. وبهذا الإعلان يزعم بيغن أن لجماعته الهوية نفسها التي اختارتها السلطات البريطانية

لنفسها. وهنا فإنه ينعت البريطانيين بالإرهاب بدلاً من جماعته.

إن كانت الموضوعية تقام بناءً على اتفاق الذوات المختلفة على المفاهيم والتسميات التي تتكون منها الحقيقة الموضوعية، يبدو لنا حينها أن لا الإرهابيين ولا اللا إرهابيين متفقون على من ينتمي إلى مجتمعاتهم. لذلك، فإن كانت هذه المجتمعات قابلة للخلط، فمن المجحف، إن لم يكن من السفاهة، الإصرار على ثنائية هوياتية يريد الجميع أن ينتموا لإحداها فقط. يعمل "الإرهاب" هنا على أنه هوية أخلاقية، كثنائية الخير والشر، حيث يريد الجميع أن ينتموا إلى أحد شقي الثنائية وليس للشق الآخر. في زمننا هذا، "محور الشر" الذي اخترعه جورج بوش الابن، سيبقى ناد يفرض عضويته فرضاً على أعضائه بالرغم من إرادتهم، مع أن جميع أعضائه المفترضين يرفضون الانتماء إليه إلا عبر السلطة العشوائية للولايات المتحدة.

لكن إن كان اللا إرهابي هو عكس الإرهابي، إذاً فليس هنالك تشابه بين الإرهابي واللا إرهابي، بل على العكس فإن ما يربطهما هو الآخرية الجذرية، أو هذا ما نفترضه على الأقل. هنا الحالة الصهيونية توضح لنا الأمور بطريقة مغايرة، ففي سياق مناقشته للمقاومة الفلسطينية عام ١٩٢٣، شدد فلاديمير جابوتنسكي، مؤسس الحركة الصهيونية التصحيحية، الذي خلفه مناحم بيغن بعد وفاته، على أن:

"أي شعب أصلي- بغض النظر إن كان هذا الشعب شعباً متمدناً أو متوحشاً- ينظر إلى بلده على أنها وطنه القومي، والذي سيكون هو سيده بالكامل، وعليه فلن يسمح بإرادته أن يكون له سيدٌ جديدٌ ولا حتى شريك جديد، وهكذا هي الحال مع العرب. المساومون منا يحاولون إقناعنا بأن العرب هم قوم من المغفلين، يمكن للحيل أن تنطلي عليهم... وبأنهم سيتخلون عن حقهم الميلادي بفلسطين من أجل بعض المكاسب الثقافية والاقتصادية. أنا أرفض هذا التقييم لعرب فلسطين. من الناحية الثقافية هم فعلاً متخلفون عنا بخمسمئة عام، معنوياً، هم لا يمتلكون مقدرتنا على التحمل ولا قوة إرادتنا، لكن هذه هي مجمل الاختلافات الداخلية فيما بيننا.. فهم ينظرون إلى فلسطين بنفس الحب الفطري والحماس الحقيقي الذي كان ينظر من خلاله كل أزتك إلى بلده المكسيك وكل سو إلى مروجه ... هذه الفانتازيا الطفولية التي يتبناها "محبو العرب" منا مستمدة من نوع من الاحتقار للعرب ... وبأن هذا العرق من الناس ليسوا سوى همج يتقبلون الرشاوى، وهم على استعداد لبيع وطنهم من أجل سكة حديد". [٧]

كان جابوتنسكي يعي جيداً "أن الفلسطينيين أمة وليسوا همجاً"[٨]. وهو كرجل فاشي كان معجباً بموسوليني، لم يسمح لعنصريته ضد الفلسطينيين أن تعمي بصيرته عن الوضع على الأرض. ونتيجة لذلك كان ينادي بمحاربة الفلسطينيين وإخضاعهم للحكم الصهيوني ولتشريدهم عن بلادهم. لم يتماهى جابوتنسكي مع الفلسطينيين، على الرغم من أنه حاول مساواتهم مع اليهود الأوروبيين (مع حفظ الفروق) في موضوع الوطنية واستخدام العنف للدفاع عن وطنهم. فيما

ذهب صهاينة آخرون أبعد منه في هذا الأمر: فمثلاً كان ديفيد بن غوريون متفهماً تماماً للوطنية الفلسطينية وتماهى معها، على الرغم من أنه كان ملتزماً بالقضاء عليها. وقد عبر عن تماهيه معها كالآتي:

"لو كنت قائداً عربياً، لما وافقت على أي اتفاق مع إسرائيل، فهذا أمر طبيعي، فنحن أخذنا بلادهم... نعم، إن الله وعدنا بهذه الأرض ولكن هذا أمر لا يهمهم. فإلهنا ليس إلههم. لقد أتينا من إسرائيل وهذا صحيح ... لكن هذا حصل منذ ألفي عام، فما الذي يدعوهم لأن يعيروه اهتماماً؟ وكانت هنالك اللاسامية ومن ثم النازيين، وهتلر، وآشوتس، فهل كان ذلك ذنبهم؟ إنهم يرون شيئاً واحداً فقط: أننا جئنا وسرقنا بلادهم، فلماذا عليهم أن يقبلوا بهذا؟"(٩)

لم يثنِ هذا التماهي صانعي السياسة الإسرائيليين عن الاستمرار في تدمير المجتمع الفلسطيني، وعن استخدام طرقٍ عنيفة ينعتونها بالإرهاب في حال استخدمها الفلسطينيون. فإذا كان الصهاينة الطرف الأول في الشرق الأوسط الذي فجر السيارات ووضع المتفجرات في الأسواق والمقاهي، فقد كانت إسرائيلُ أولَ دولة في العالم تقدم على خطف الطائرات، كما فعلت في ١٢ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٤ عندما خطفت طائرة سورية وأرغمتها على الهبوط في إسرائيل.(١٠) واستمر سلاح الطيران الإسرائيلي بخطف طائرات تحلق في الأجواء الدولية، وإرغامها على الهبوط في إسرائيل، وإخضاع ركابها للتفتيش والاستجواب والاعتقال أيضاً. إسرائيل هي الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط التي أسقطت طائرة مدنية كما فعلت في ٢١ شباط/ فبراير ١٩٧٣ عندما أسقطت طائرة ليبية مدنية مما أدى إلى مقتل مئة وثمانية ركاب على متنها، وهو ما يعيد للأذهان التفجير الصهيوني لسفينة الركاب عام ١٩٤٠.

يستخدم مسؤولون في الحكومة الإسرائيلية في بعض الأحيان تسمية "الترهيب" لوصف بعض سياساتهم، لكنهم لا يستخدمون تسمية "الإرهاب". ففي عام ١٩٧٦، كتب إسرائيل كونج، وكان وقتها مستشاراً للكنيست الإسرائيلي، في مذكرة كونج سيئة الذكر، التي تعاملت مع السياسة الحكومية الإسرائيلية تجاه المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل قائلاً: "يجب علينا أن نستخدم الترهيب، والاغتيال، والترويع، ومصادرة الأراضي، وقطع كل الخدمات الاجتماعية للتخلص من السكان العرب في منطقة الجليل".(١١)

بغض النظر عن هذه الزلات اللغوية، استمر القادة الصهاينة في التماهي مع الفلسطينيين "كإرهابيين"، فإن كان بن غوريون تماهى مع الفلسطينيين، إذاً "كإرهابيين" ليس الفلسطينيون آخراً البتة للذات الصهيونية، والتي كانت حينها قيد التشكل. الشاهد على ذلك هو التماهي الأقوى لرئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إيهود باراك مع الفلسطينيين. كان باراك عضواً في وحدة كوما ندوس من فرق الموت الإسرائيلية التي بعثت إلى بيروت عام ١٩٧٣ لاغتيال ثلاثة فلسطينيين (يقال بأنه حملق في عيني الشاعر الفلسطيني كمال ناصر قبل أن يفرغ

رصاص مسدسه في فم ناصر كي يعاقبه حرفياً على كونه متحدث رسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية). مثله مثل مناحم بيغن قبله، يطرح باراك نظرية وطنية للإرهاب. ففي مقابلة مع الصحيفة الإسرائيلية هآرتس، أعلن باراك الآتي: "لو كنت فلسطينياً لانضممت لجماعة إرهابية".(١٢) تماهي باراك مع الفلسطينيين الإرهابيين تام وبلا قيود، على الرغم من أنه، بعكس بيغن من قبله، لا يعي أن حسب الفلسطينيين هم لا ينضمون إلى جماعات "إرهابية"، بل إلى جماعات "تحريرية". مع هذا، يعي باراك أن في الحالة الفلسطينية، الوطنية هي الشرط المشرعن للعنف، وهذه هي اللحظة التي يتماهى فيها مع الفلسطينيين "كإرهابيين".

ربما كانت، ليئا رابين، أرملة يتسحاق رابين، التي حاربت في حرب ١٩٤٨، أذكى في طرح تماهيها مع الفلسطينيين من كل القادة الصهاينة من قبلها. فقد أعلنت عام ١٩٩٧: "أننا [أي اليهود] استخدمنا الإرهاب لإقامة دولتنا، فلماذا نتوقع أن يكون الفلسطينيون مختلفين عنا؟"(١٣) إذاً، يبدو أن الفلسطينيين متطابقون مع اليهود تماماً وليسوا آخرهم البتة. بالطبع، فإن تماهي ليئا رابين مع الفلسطينيين تنموي الطرح، لكنها تطرح اختلافهم عن اليهود على المحور الزمني لا على المحور الجوهري الذي تطرحه على أنه متطابق.

لكن إسرائيل والصهيونية عادةً لا يصوران الفلسطينيين بهذه الطريقة. فإن إسرائيل ليست ملتزمة رسمياً بتعريف الفلسطينيين على أنهم "إرهابيون" فحسب، بل إنها أيضًا تريد أن تفرض على الفلسطينيين أن يعرفوا أنفسهم كما تعرفهم الصهيونية.

لنأخذ مثالاً الاستجواب الذي قام به مذيع في إذاعة إسرائيل لأسير فلسطيني "إرهابي" أذيع على إذاعة إسرائيل العربية كي يسمعه الفلسطينيون:

المذيع: قل لي يا أبو الليل، لأي منظمة تخريبية تنتمي؟

الأسير: أنا أنتمي للجبهة الشعبية لتحرير، أقصد لتخريب فلسطين.

المذيع: متى انتميت لهذه المنظمة التخريبية؟

الأسير: عندما بدأت أفهم معنى التخريب.

المذيع: وماذا كانت مهمتك في جنوب لبنان؟

الأسير: كانت مهمتي الإرهاب... كنا مثلاً ندخل القرى ونبدأ بالترهيب، وحيث وجدنا نساءاً وأطفالاً كنا نبدأ بترهيبهم. كل ما فعلناه هو الإرهاب.

المذيع: وهل مارست الإرهاب نتيجة إيمانك بقضية ما، أم فقط من أجل المال؟

الأسير: لا والله، مارسته من أجل المال. ما هي هذه القضية على أي حال؟ ولماذا؟ هل ما زال هنالك قضية؟ لقد بعناها منذ زمن طويل...

المذيع: ما هو رأيك بالطريقة التي تعاملكم بها قوات

الدفاع الإسرائيلية؟

الأسير: بشرفي، نشكر قوات الدفاع الإسرائيلية على معاملتهم الطيبة لكل إرهابي."[١٤]

بغض النظر عن محاكاة الأسير للنص الذي أعطاه إياه معذبوه الإسرائيليون، فاعترافه المزعوم هذا مهندَسٌ من قبل الإسرائيليين كي يقلبوا الهوية الإرهابية من هوية موضوعية إلى هوية ذاتية. يبدو أن الإسرائيليين مؤمنون بأن الطريقة الوحيدة أمام الفلسطينيين للتخلي عن الإرهاب هو عبر استدخاله أولاً كهويتهم الذاتية، وهو الذي حاولت المقابلة الإذاعية تحقيقه. لكن إن رفض الفلسطينيون اعتناق هذه الهوية بمحض إرادتهم، سيتمتعون حينها بنفس السلطة الموضوعية التي يتمتع بها الإسرائيليون بالتعريف عن من هو الإرهابي الحقيقي. بالطبع هذا ينطبق اليوم أيضًا على كل أعداء الولايات المتحدة. وفي هذا السياق أصرَّ إدوارد سعيد على أن الأهمية العملية للمؤسسات المختصة بمحاربة الإرهاب والتي تمتد من تل أبيب إلى واشنطن، وتستمر بإنتاج الخبراء والدراسات والوثائق، مكوِّنة ما يشبه "العلم الإرهابوي" هي أنها:

"تبرر الإرهاب الإسرائيلي العمومي ضد حتى فكرة الوطنية الفلسطينية، لا سيما حين ينضم إليها سلاح الجو والجيش والبحرية، والخطاب الإداري، ودراسات أكاديمية على مستوىً من العظمة، لا يسعها إلا أن ترسم كاريكاتورًا لقوتنا الحقيقية. هذا التشويه يذكرنا بالمجانبة غير المتوقعة بين الكبير والصغير في رحلة جليفر الأولى والثانية في كتاب جوناثان سويفت "رحلات جليفر". هكذا إذاً، فالإرهابي المهمش هو من أهل ليليبوت من جهة، في حين أصبح الجهد المبذول لإزالة الأنسنة والتصغير هاجسيا لدرجة تعظيم الخطر بطريقة خيالية. فالفلسطيني أصبح (فجأة) من سكان بروبدنغناغ".[١٥]

في أغنية جديدة لفرقة الراب الفلسطينية الإسرائيلية دام المعنونة: "مين إرهابي" تقول اللازمة باللهجة الفلسطينية الدارجة في شعر مقفى:

مين إرهابي
أنا إرهابي
كيف إرهابي وأنا عايش ببلادي
مين إرهابي؟
إنت إرهابي
ماكلني وأنا عايش ببلادي
قاتلني زي ما قتلت أجدادي[١٦]

هنا نجد بأن الرفض الفلسطيني للتنازل عن السلطة الموضوعية في تسمية الإرهابي تستمر بإضعاف الجهود الإسرائيلية في تحويله لهوية ذاتية.

من أهم أبعاد خطاب الإرهاب هو أنه خطاب لا عن "ضحايا الإرهاب" بل عن "مرتكبيه". فالإرهابي ليس من يقوم باستهداف مدنيين ومسؤولين حكوميين وعسكريين، حيث أن جيوش الدول بشكل عام تستهدف في كثير من الأحيان هؤلاء الضحايا أنفسهم دون أن توصم بالإرهاب. إذًا ما يعرِّف شخصاً أو جماعة بالإرهاب ليس العمل الإرهابي، بل على العكس، إن هوية الشخص أو

الجماعة كإرهابي هي التي تؤدي إلى وصف عملياته بالإرهاب.

بناءً على ما سبق، ليس هنالك عكسٌ للإرهاب. إن كان عكس الإرهابي هو الإرهابي، وعكس الإرهاب هو الإرهاب ذاته، خطابياً ومادياً، فسيطوى هذا المفهوم على نفسه، ويعرًى من أي بعد هوياتي. لكن عملياً، نشره الخطابي هو بالفعل من النوعية الهوياتية، وإن كان من صنف الانعكاس المرآوي. فإن كانت هوية "الإرهابي" تستخدم ممن هم أعداء لبعضهم البعض والذين ينعتون بعضهم بعضا بالإرهاب، في سياق ما وصفه مناحم بيغن " تبادلهم للمجاملات"، فيصبح هذا الوصف ليس أكثر من فنتازيا إسقاطية، وكأنما كل طرف يحمل مرآة للآخر وما يقوله طرف ينعكس على الطرف نفسه مباشرة. بهذا المعنى فإن "الإرهاب" هنا يعمل كما تعمل "أخلاق العبيد" عند نيتشة: "أنت إرهابي، إذاً أنا لا إرهابي".

على المستوى الخطابي، اللا إرهابي هو الذي يخلق الإرهابي وليس العكس. لكن ما ينجزه خطاب الإرهاب هو ضربٌ من النسبية الجذرية والمنظورية النيتشية التي تغلق أي نقاش عن مادية الغزو الكولونيالي والمقاومة المناوئة للاستعمار اللذين يختزلهما أكثر المعلقين "موضوعية" من دون تحيز على أنهما ليسا سوى "حلقة عنف".

لكن إن كان الإرهاب هو خطاب الهوية والمساواة ما بين الدولة الكولونيالية المستعمرة ومن يقاومها من المستعمَرين، فمن المستغرب أن يعرف الإرهاب على أنه سلاح الضعفاء، لا سلاح الأقوياء.

الإرهاب إذًا هو خطاب عن هوية كولونيالية تريد أن تميز نفسها ولكنها تفشل دوماً. وما يصبو خطاب الإرهاب إليه هو محو علاقات القوة كالإشكالية المركزية للعنف. هنا لا أجد الحكاية الشهيرة التي سردها القديس أغسطينوس عن اسكندر المقدوني تشذ جذرياً عن هذا الفهم الليبرالي، على الرغم من أنها، وبعكس المنظور الليبرالي، تموضع علاقات القوة بشكل جوهري. يقال إن اسكندر المقدوني أسر قرصاناً و بدأ باستجوابه:

"ما هي فكرتك بغزو البحار؟" سأله اسكندر. فرد عليه القرصان منزعجاً من تصنيف اسكندر الإمبراطوري: "فكرتك نفسها عندما تغزو الأرض بأكملها! فلأنني أستخدم زورقاً صغيراً، يدعونني قرصاناً، و لأنك تستخدم بحرية جبارة، يدعونك إمبراطورا".[١٧] يبدو أن قرصان أغسطينوس متفق مع اسكندر على أن الفرق الأخلاقي بينهما كميٌ.

نستنتج إذاً من هذا الخطاب الكولونيالي الذي يجوهر الإرهاب بأن الإرهاب هو عكس الإرهاب، لكن الحالة الفلسطينية الصهيونية تثبت أن الإرهاب يعمل بطريقة جدلية قوية ومتنقلة. على مستوى الحجة إذًا، عكس خطاب الإرهاب هو ليس إلا المادية التاريخية، أو بصيغة أخرى، هو التحليل التاريخي للقوى الاقتصادية والسياسية التي تملك سلطة تحويل مفاهيم موضوعية دون الحاجة إلى المنطق، بل من خلال سلطتها على فرض لامنطقها على أنه منطق.

الهوامش

1. See Leonard Mosley, "Orde Wingate and Moshe Dayan," and David Ben Gurion, "Our Friend: What Wingate did for us," in Walid Khalidi (ed.), *From Haven to Conquest, Readings in Zionism and and the Palestine Problem Until 1948* (Washington, DC: The Institute for Palestine Studies, 1987), 375-388.
2. David Ben Gurion to Va'ad Leumi in Tel Aviv, May 5, 1936; David Ben Gurion, *Zikhronot (Memoirs)*, (Tel Aviv: Am Oved, 1971-1982), Volume III (164), cited in Shabtai Teveth, *Ben-Gurion and the Palestinian Arabs, From Peace to War* (Oxford: Oxford University Press, 1985), 174.
3. *Ibid.*
4. See Walid Khalidi, "The United States and the Palestinian People," in Walid Khalidi, *Palestine Reborn* (London: I.B. Taurus, 1992), 151-152.
5. Hannah Arendt and Albert Einstein *et al.*, "New Palestine Party: visit of Menachem Begin and aims of political movement discussed," Letter to the Editor, *New York Times*, December 4, 1948.
6. Menachem Begin, *The Revolt, Story of the Irgun* (New York: Henry Schuman. 1951), 59-60.
7. Vladimir Jabotinsky, "The Iron Wall, (We and the Arabs)," *Rasswyet*, November 14 1923, quoted in Lenni Brenner, *The Iron Wall, Zionist Revisionism from Jabotinsky to Shamir* (London: Zed Press, 1984), 74.
8. *Ibid.*, 75.
9. Quoted in Nahum Goldmann, *The Jewish Paradox* (New York: Fred Jordan Books, 1978), 99.
10. *New York Times*, December 13, 1954.
11. *Al Hamishmar*, September 7, 1976.
12. *Ha'aretz*, June 3, 1998.
13. *Reuters*, September 11, 1997.
14. Cited in Edward Said, *After the Last Sky* (New York: Pantheon Books, 1986), 65.
15. *Ibid.*, 113-114.
16. See Joseph Massad, "Liberating Songs: Palestine put to music," in Ted Swedenberg and Rebecca Stein, *Popular Palestine: Cultures, Communities, and Transnational Circuits* (Durham: Duke University Press, 2005).
17. St. Augustine, *City of God* (New York: Penguin Books, 1984), 139. See also Noam Chomsky, *Pirates and Emperors, International Terrorism in the Real World* (New York: Claremont Research and Publications, 1986).

كتاب

تحرير التربية العربيّة من الأوهام الخمسة

تأليف: د. محمد جواد رضا

الناشر: مركز البحرين للدراسات والبحوث؛ ٢٠٠٤

مراجعة: أ. يوسف عبدالّله محمود*

ليس من عيب في انتساب الأمم إلى تواريخها؛ إنما العيب في أن يغدوالتاريخ بديلاً من الحاضر، وأن تظل الهوية الثقافية للأمة تستمد من التاريخ وحده، وليس من إبداعات الأحياء أنفسهم في مواجهة مشكلاتهم الحياتية.

هذا ما يقوله د. محمد جواد رضا في كتابه: **تحرير التربية العربية من الأوهام الخمسة**. وكأني بهذا المفكر العربي يلخص في عبارته السابقة أزمة الهوية العربية المعاصرة التي باتت – على حد قوله – **"تستعار من التاريخ، وليس من إبداعات الأحياء أنفسهم"** ؛ ص٣.

إن الهوية – أية هوية – حين تنأى بنفسها عن إبداعات الحاضر وتكتفي بإرث الماضي، فإنها **"تخطئ في إختياراتها التاريخية"**، وتتخلف عن طموحات عصرها، مكتفية بمفردات ربما يكون عصرها قد تجاوزها.

في كتابه الذي نشره مركز البحرين للدراسات والبحوث عام ٢٠٠٤، والذي يقع في ١٢٢ صفحة من القطع الكبير، يعالج الباحث أربع قضايا على جانب كبيرمن الأهمية. أما هذه القضايا فهي :

- **تحريرالتربية العربية من الأوهام الخمسة.**
- **اللغة العربية وتشكيل الفكر العربي.**
- **ثقافة الحوار وتربية التواصل، المطلب الغائب في التربية المعاصرة.**
- **التأسيس العقلاني للنظرية الأخلاقية في الإسلام.**

في تناوله للقضية الأولى، ينتقد الباحث المؤسسة التربوية العربية المعاصرة، ويحاكمها في ضوء النظرية الواقعية للأمور. يتساءل: هل كان الوعي العربي الذي أفرزته هذه المؤسسة التربوية على مدى القرن العشرين وصولاً إلى بدايات القرن الحادي والعشرين، وعيا ناضجا على المستوى القومي والإنساني؟ هل كان وعيًا بانيًا للقيم والمفاهيم؟

• كاتب صحافي في جريدة الرأي – عمّان.

مع الأسف لا. والدليل على بؤس هذا الوعي هذا الاستبداد الذي مازالت تعاني منه شعوبنا العربية. إنه بكل تداعياته وسلبياته قد جر عليها الويلات والكوارث.

"إن رسل الإرهاب والعادين على حريات الناس وحقوقهم هم من معطيات هذه التربية وأصدق الشهود على بؤسها... إن المشرعين الذين جعلوا من القانون سوطًا للقمع وعقارًا لإخصاء الفكر هم من معطيات هذه التربية "؛ ص١٠.

وفي رصده لهذه القضية، يدعو المؤلف إلى ضرورة تحرير العقل العربي من أوهام خمسة يعتبرها مسؤولة عن تردي الوعي العربي. وهذه الأوهام هي:

- **وهم الهوية.**
- **وهم أعلوية الفكر الغيبي على الفكر العلمي التجريبي.**
- **وهم الخوف من الحداثة والديمقراطية.**
- **وهم الإحساس بالإضطهاد العالي للعرب.**
- **وهم أعلوية الذكر على الأنثى.**

كل هذه الأوهام السابقة التي ذكرها الكاتب ينبغي علينا، عربًا ومسلمين، التحرر منها. فلا يجوز أن تشغلنا "**الهوية**" أكثر مما ينبغي، فنستشعر إضطهادًا غير مبرر يهدد ثقافتنا التي عرفت على مر العصور بأنها ثقافة تأخذ وتعطي. كما لا يجوز أن تعطى الأعلوية للفكر الغيبي على الفكر العلمي التجريبي، وإلا كرسنا التخلف وأقمنا سدًا منيعًا بيننا وبين حضارة عصرنا.

من ناحية أخرى، علينا أن ننفتح على التوجه العقلاني، محكمين العقل في "**تفسير أوضاعنا الاقتصادية والسياسية**".

أما "**ثقافة الخوف**" التي كرستها المؤسسة التربوية العربية، فينبغي التحرر منها. ولن يتم ذلك إلا من خلال تفعيل الديمقراطية على الأرض العربية والإسلامية. وحين يتم تفعيل الديمقراطية، تنتفي الفروق المصطنعة بين مسؤولية الرجل والمرأة، فلا تعود هذه الأخيرة كائنًا مهمشًا في المجتمع، بل كائنًا يبني ويقيم مع الرجل صروح الحضارة.

أما القضية الثانية التي يطرحها المؤلف، فتتعلق باللغة العربية، وضرورة تشكيل الفكر العربي على نحو سليم. هنا يطرح الباحث سؤالاً مشروعًا هو: هل للغة العربية منطق خاص بها؟ أم هي ناقلة لـ "**منطق**" مستمد من طبيعة الأشياء؟

في رأي الباحث، "**فإن الوعي العقلاني لوظيفة الكلمة في الجملة - وليس إعرابها - هو ضامن صواب أدائها في البنية اللغوية لأننا لا نعرف إلا تلك الأشياء التي نفكر فيها، ولأن العقل يملك القدرة على إكتشاف الحقيقة بنفسه، كما يمكنه إدراكها بمقارنة أفكار أخرى**"؛ ص٥٠.

من ناحية أخرى، فالكاتب يرجع ما أسماه بـ "**القلق الفكري في اللغة ومتكلميها**" إلى "**إستعمالات الحركات الإعرابية**" وإلى "**عمليتي التنكير**

والتعريف ". فقد فتح هذان الفنان اللغويان أبوابا واسعة للجدل بين النحويين لم تصل بهم إلى شيء من الاتفاق أوالإجماع ، بل إنهما، وأعني هذين الفنين "**التعريف والتنكير**"، وكما يرى الباحث، قد خلقا " **معضلات سياسية وإجتماعية للعرب والمسلمين**"؛ ص٥١.

وكي تخف هذه "**التعاضلات**" في عمل اللغة العربية، وجدنا الأقدمين يسيرون في اتجاهين اثنين. "**الأول: التعامل مع اللغة تعاملا وضعيا منطقيا يحاول تقنين الضوابط العقلية لاستعمال البنى اللغوية. والثاني: التعامل مع اللغة من حيث هي مؤسسة اجتماعية لها قوانينها الحركية الضابطة** "؛ ص٥٤.

وفي تناوله لوظائف اللغة، يشير إلى ما أسماه بـ " **اللغة غير المحددة** "، وهي لغة البلاغة ولغة الشعر. وهو يرى أن مثل هذه اللغة قد "**تكون أداة تضليل وخداع اجتماعي وسياسي تفرز انشقاقات وعداوات بين الجماعات الإنسانية داخل الثقافة الواحدة، أو بين الثقافات المختلفة** ".

ومن هنا يجب التعامل معها بحذر وَحِسٍّ لغوي سليم. في حالة واحدة تعصمنا اللغة من "**الارتباك أو التعاضل الفكري** "، وذلك حين تسوق حقيقة علمية، فهي هنا تلتزم معيارا محددا يخدم الحقيقة وحدها.

أما القضية الثالثة التي يتطرق إليها الكاتب، فهي "**ثقافة الحوار وتربية التواصل، المطلب الغائب في التربية العربية المعاصرة** ".

إن ثقافة الحوار مازالت - مع الأسف - غائبة أو مغيبة عن واقعنا العربي... مازلنا، عربًا ومسلمين، بحاجة إلى " **تربية الحوار** " التي تضع حدًا لإعادة "**إنتاج قيم الظلم والقوة والثأر والتطرف** "؛ ص٨٤.

مازلنا نفتقد في أغلب الأحيان لغة "**الحوار**" الهادئة... مازال الكثير من أزماتنا السياسية العربية التي يمكن حسمها بمنطق الحوار تحسم - مع الأسف - بقوة المدافع والدبابات، أو في أهون الحالات بالقطيعة وتبادل الإتهامات؛ ص٨٤.

لم نتعلم بعد، عربًا ومسلمين، "**تقبل الرأي الآخر**". فالكثيرون منا يريدون فرض آرائهم على الآخرين بحجة أنها تمثل الصواب... وينسون أن طلب الحقيقة لا يكون إلا بالإنصاف، أو كما يقول نصير الدين الطوسي :

" **لابد لطالب العلم من المطارحة والمناظرة. وينبغي أن يكون ذلك بالإنصاف والتأني والتأمل، فيتحرر من الشغب والغضب. إن المناظرة والمذاكرة مشاورة، والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب، وذلك إنما يحصل بالتأمل والإنصاف، ولايحصل بالغضب والشغب والمشاقة** "؛ ص٨٨.

أخيراً تلقانا القضية الرابعة، وهي: "**التأسيس العقلاني للنظرية الأخلاقية في الإسلام** ". بداية يجب أن ندرك أن الأخلاق غير منفصلة عن الحياة الإنسانية... وبالرغم من تعدد مناهج البحث في الأخلاق في عصرنا الحديث، فإن المذهب الديني

في تفسير الأخلاق قد تصدر المذاهب الأخرى، كالمذهب المثالي، والمذهب النفعي، والمذهب التطوري، والمذهب التحليلي.

وكما لاحظ المؤلف، "**فقد وردت النظرية الأخلاقية الدينية بأوجهها الاقتصادية والاجتماعية والفردية متكاملة في القرآن الكريم**"؛ ص١٠٥.

وهنا علينا أن نشير إلى أن الإسلام قد أكد على الطبيعة الإنسانية، فنظر إلى هموم الإنسان نظرة عادلة، واهتم بأمنه الاقتصادي والاجتماعي، محذرًا من التناحر الطبقي، كقوله تعالى: ﴿ *إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم* ﴾.
[سورة التغابن؛ الآية ١٥]

وبعد، فإن هذا الكتاب قد عكس رؤية تقدمية للتربية العربية المنشودة. فمعطيات الماضي لا يجوز أن تقدم للناشئة على أنها هي " **الحاضر الحقيقي** "، وإلا كنا نزيف الوعي، ونغتال الحقيقة، ونكرس الوهم.

وهنا أقول: إن أول ما ينبغي أن تتحرر منه التربية العربية اليوم هو محاباة هذا النظام السياسي أو ذاك، فليست أهداف المؤسسة التربوية العربية أهدافًا سياسية كما هو الحال هذه الأيام. إن أهدافها تنمية الوعي الإنساني لا تعطيله، والانفتاح الواسع على التحولات المتسارعة في ميادين العلم والتكنولوجيا والاقتصاد والسياسة والاجتماع.

يبقى أن أقول: لقد أضاءت هذه الدراسة الرصينة جوانب مختلفة من حياتنا الثقافية والاجتماعية والسياسية. كما أثبتت أن معطيات الماضي ليست كلها معطيات إيجابية ينبغي التمسك بها. وعليه، فإن علينا -عربًا ومسلمين- أن نكف عن تعجيز العقل، وتوهين المنطق العلمي، وتسطيح الوعي، من خلال رد أمور الحياة والإنسان إلى الغيب. علينا أن نبدع في شتى المجالات حتى يكون لنا حضور فاعل على مستوى الكون. ■

جولة العدد

في هذه الجولة

إلى روح

نجيب محفوظ

ذلك الإنسان الكبير*

الحسن بن طلال

أيّها المصريَ النبيل! أيّها العربيَ الجليل! يا ابن العالم المترامي! نمْ قريرَ العين. فقد كنتَ أكبر من الحياة؛ وستبقى حيًّا أبدَ الدهر.

للإنجليز تشارلز ديكنز، وللفرنسيين أونوريه دي بلزاك، وللروس فيدور دوستويفسكي؛ ولنا نحن نجيب محفوظ.

علّمتنا أيّها العمّ الحكيم كيف نحبّ بلا حدود، حتى الآثمين الخطّائين. كنتَ تفهم وتتفهّم أولئك. ولم تنسَ المعذّبين والمهمشين والهشين. ولم تنسَ أبناء البلد والسّذّج والبسطاء. الكل جزء لا يتجزأ من نسيج الحياة المقدس.

كنت نصيرَ المرأة؛ حتى تلك التي تسقط. فالمرأة نبض الحياة. هي كالأرض: تسكن حينا وتنتفض حينا آخر.

لم تكلّ من التنوّع؛ فجاء عالمك الزاخر بألوانه وظلاله وتموّجاته كالطيف الفيزيائي.

هي الحياة بكل دقائقها ومنمنماتها. سلطتَ الضوء على برّانيّتها وجوّانيتّها. هذي هي الأسطر الأولى من إحدى "قاهريّاتك" الرائعات: **زقاق المدق** (١٩٤٧) التي جاءت بعد **القاهرة الجديدة** (١٩٤٥) و**خان الخليلي** (١٩٤٦):

"تنطق شواهدُ كثيرة بأن زقاق المدق كان من تحف العهود الغابرة، وأنه تألق يوما في تاريخ القاهرة المُعزّيّة كالكوكب الدرّيّ. أي قاهرة أعني؟ الفاطمية؟ المماليك؟ السلاطين؟ علم ذلك عند الله وعند علماء الآثار. ولكنه على أية حال أثر، وأثر نفيس. كيف لا وطريقه المبلط بصفائح الحجارة ينحدر مباشرة إلى الصنادقية،

* نشرت في **الحياة** اللّندنيّة بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٩؛ العدد (١٥٨٦٣)؛ ص ٨.

تلك العطفة التاريخية، وقهوته المعروفة بقهوة كرشة تزدان جدرانها بتهاويل الأرابيسك. هذا إلى قِدَمٍ بادٍ، وتهدّم وتخلخل، وروائحَ قوية من طيب الزمان القديم، الذي صار مع كرور الزمن عطّارة اليوم والغد!

ومع أن هذا الزقاق يكاد يعيش في شبه عزلة عما يحدق به من مسارب الدنيا، إلا أنه على رغم ذلك يضجّ بحياته الخاصة؛ حياة تتصل في أعماقها بجذور الحياة الشاملة، وتحتفظ - إلى ذلك - بقدر من أسرار العالم المنطوي." [انتهى الاقتباس].

أرأيتم؟ "الحياة الشاملة"؛ "أسرار العالم المنطوي"؛ وعلى ذلك قيسوا. حتى الأحلام كان لها نصيب في أعمال نجيب محفوظ.

روحانيّته كانت تسمو فوق الدنيا. والحياة أخلاق وأخلاقيّات. ولا بد من احترام كل نموذج من النماذج البشرية وإعطائه حقَّه. هي قيم التعدّديّة بشتى أزيائها وألوانها.

وماذا أقول في إنسانيّته الرقراقة التي تشعّ من كلّ صفحة في نِتاجه الغزير؟ إنسانيّة عميقة تحتوي الجميع ولا تُقصي أحدًا.

عَشقَ اللغة العربية ومجّدها في محاضرة نوبل. جعلها تمور بالحياة؛ شأنه شأن كل عربيّ عظيم. عبقريّته كشفت عن جانب من عبقريّتها. كانت روحَه وملاذَه وأُمّه الرؤوم.

كنتَ أيّها الإنسان الكبير متنوّرًا وتنويريًّا حتّى النخاع. كلُّك إشراق في إشراق.

فإلى جنّات الخُلد يا **غويا** الرواية! إلى جنّات الخُلد أيّها المصريّ النبيل والعربيّ الجليل! ■

فخامة الأخ الكبير

الرّئيس محمّد حسني مبارك

أيّده الله وأعزّه ونصرَه

تحيّة الأخوّةِ والمحبّة:

أكتبُ هذه الكلماتِ المعدودات بأسىً بالغ وألمٍ فائق. فقد كان نجيب محفوظ قمّةً سامقة وهرمًا مبدعًا من أهرام مصر المحروسة؛ لقد كان أمّةً في رجل.

نستذكرُ في هذه اللّحظاتِ الأليمة إنجازاتِ الرّاحلِ الكبير التي ستبقى خالدةً أبدَ الدّهر. نستذكرُ تبصّرَه النّافذ في النّفسِ الإنسانيّة، وسبْرَه البعيد لأعمقِ أعماقِ الوجدان. فعالمُنا تطوّرَ إلى الأفضل بعد نجيب محفوظ. وإن ننسَ، فلا ننسى عِشقَهُ لشعبِهِ الأصيل، وللغتِهِ العربيّة، ولعراقةِ مصر. فلا عجبَ أنْ أصبحَ رمزًا مَهيبًا من رموزِها على مرّ الأزمان.

أُعزّيكم يا فخامةَ الرّئيس، وأُعزّي أنفسَنا، وأعزّي مصرَ الغالية والأمّةَ جمعاء. ويبقى عزاؤنا أنّ نجيب محفوظ سيبقى حيًّا في نفوسِنا؛ سيبقى أكبرَ من الحياة.

أُعزّي السيّدة العظيمة التي وقفتْ بجانبه في رحلةِ العُمر الطويلةِ العريضة، وأُعزّي كريمتيْه الفاضلتيْن وآل محفوظ عمومًا.

أسأل المَوْلى العليّ القدير أنْ يتغمّدَ الفقيدَ الكبير بواسعِ رحمته ويُسكنَهُ فسيحَ جِنانه، وأنْ يُلهمَنا جميعًا جميلَ الصّبْر وحُسْنَ السّلوان.

حفظكم اللهُ ورعاكم، وحمى شعبَكم الغالي. وسلمتم أخًا كبيرًا حكيمًا،،،

الحسن بن طلال

عمّان في ٧ شعبان سنة ١٤٢٧ هجريّة

الموافق ٣١ آب/أُغسطس سنة ٢٠٠٦ ميلاديّة

أسرة الرّاحل الكبير

نجيب محفوظ حفظهم الله

العجوزة – بجوار مطعم نعمة

القاهرة – جمهوريّة مصر العربيّة

تحيّة المحبّة:

أُشاركُكم أحزانَكم بوفاةِ أديبِنا الكبير. فقد كان قمّةً سامقة، وهرمًا من أهرام مصر الغالية. بكلمةٍ واحدة: كان أمّةً في رجل.

نستذكرُ في هذه اللّحظاتِ الأليمة إنسانيّتَهُ العميقة وعبقريّتَهُ المشدوهة. وسيبقى العالَمُ الذي ابتدعهُ بإبداعٍ لا نظيرَ له معنا في كلّ زمانٍ ومكان: يُغني حياتَنا جميعًا وحياةَ الأجيالِ القادمة.

أُعزّيكم أنتم أُسرته الصغيرة، وأُعزّي أنفسنا نحن أسرته الكبيرة. وعزاؤنا هذا الرّصيدُ الضّخم من الأعمالِ الحيّةِ التي لا تُجارى.

تغمّد الله فقيدَنا العظيم بواسعِ رحمتِهِ وأسكنه فسيحَ جنّاتِهِ، وألهمَنا جميعًا جميلَ الصّبرِ وحُسنَ العزاء.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

الحسن بن طلال

عمّان في ٧ شعبان سنة ١٤٢٧ هجريّة

الموافق ٣١ آب/أُغسطس سنة ٢٠٠٦ ميلاديّة

ملفّ خاصّ

سموّ الأمير الحسن بن طلال في الخرطوم

بناء على دعوة من مجلس التّعايش الدّينيّ السّودانيّ، زار سموّ رئيس المنتدى وراعيه الخرطوم في الفترة من ١٢-١٤/٩/٢٠٠٦. ورافق سموّه في هذه الزيارة د. طاهر كنعان (مدير المركز الأُردنيّ للأبحاث وحوار السياسات الوطنيّة/عضو المنتدى) ود. هُمَام غَصِيب (مستشار سموّه ومدير إدارة الدّراسات والبرامج في المنتدى/ عضو المنتدى)، وأ. حسين الرّفاعي (مدير مكتب سموّه). وتخلّل الزيارةَ مقابلاتٌ عدّة مع كبار المسؤولين هناك؛ إضافةً إلى لقاءات مع أهل الفكر والثّقافة والإعْلام. ولعلّ ذروةَ الزيارة تمثّلت في المحاضرة التي ألقاها سموّه في قاعة الصّداقة/ الخرطوم بحضور جَمْع غفير من المفكّرين والمثقّفين والمهتمّين. نستهلّ هذا الملفّ الخاصّ بالنّقاط الرّئيسيّة في هذه المحاضرة القيمّة. ثمّ نقدّمُ مقتطفات من الصّحافة السّودانيّة حول الزيارة [بتصرّف طفيف].

محاضرة حول "العالم الإسلاميّ والتعدّديّة الثّقافيّة"

[النّقاط الرّئيسيّة]

قاعة الصّداقة – الخرطوم
الثّلاثاء ١٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦

الحسن بن طلال

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه ومن والاه أجمعين

أصحاب المعالي والسعادة
أيها الحفلُ الكريم

السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته

* وصفَ السير جورج مكارتني روسيا عام ١٧٦٨ **بأنّها أمة تجمَعُ بين عدم الترابط والتناقض والمفارقة؛ إضافةً إلى درجاتٍ متقابلةٍ من التطرّف**. وهو وصفٌ ينطبقُ على مِنطقتِنا في الوقت الحالي.

* أقول في الذكرى الخامسة للحدث الجلل الذي ألمّ بالولايات المتحدة في ٢٠٠١/٩/١١: إن المسألة ليست مسألة "حرب على الإرهاب"؛ وإنما هي مئة سنة من المجازر ضد الإنسان (على حد تعبير أحد الأساتذة الأجلاء في جامعة هارفرد، Niall Ferguson)، التي بدأت عشية الحرب العالمية الأولى. وفي نهاية هذه الحقبة، سنحتاج حسب تقديرات هيئة الأمم إلى مئة مليون فرصة عمل لاستيعاب البطالة المستشرية في منطقتنا.

إننا نعيش، حسب تعبير الأستاذ نفسه، ضمن لعبة اللوم والتأنيب. هذا هو شغلنا الشاغل. أفما آن

الأوان للخروج من هذه اللعبة بالعمل الإيجابي البناء؟ بإشعال شمعة في هذه الظلمة الدامسة؟

إنه عصر إبادة **الكائنات والكيانات**؛ عصر التفكك الإثني، والزعزعة الاقتصادية، والإمبراطوريات المتهافتة.

فما العمل أيتها الأخوات وأيها الإخوة؟

* الحل يكمن ليس في السلام وحده وثقافة السلام وحدها؛ وإنما في العدالة الاجتماعية أيضًا. فمقابل محتكري الحقيقة ودعاة MAD (التدمير المتبادل المؤكد)، ننادي – نحن دعاة MAS (البقاء المتبادل المؤكد)– بقيم خمس:

– الحق في الحياة، والحق في العيش الكريم؛
– الإيمان بمعناه الواسع العريض؛
– الحرية؛
– حق الملكية؛
– الوقار الإنساني، والكرامة الإنسانية.

* أزِفَ الوقتُ للاستثمار في رأس المال الإنساني. فالإنسان المنتج هو أغلى ما نملك.

حان الوقت لتأسيس "مراكز عدالة وبناء جسور ثقة".

آن الأوان لترك المكاتب والعمل في الميدان، خصوصا من خلال المجتمع المدني ومؤسساته. فكلما أهملنا المجتمع المدني، ساهمنا في تمكين القوى المضادة لهذا المجتمع.

* يمرُّ عالَمُنا العربيّ والإسلاميّ بمرحلةٍ حرجة وخطيرة من تاريخه. فما جرى ويجري الآن من أحداث مأساويةٍ في العراق وفلسطين ولبنان وفي مناطق أخرى ينذر بكوارث لا يمكن تجنبها إلا بوضعِ المقترحات الكفيلةِ بنشر الاستقرارِ وتوطيدهِ في المنطقة، واللجوء إلى سياسةِ الحوار الجدّيّ بين الأطراف المتناحرة، وإلى صياغةِ استراتيجيةٍ للتواصل والاتصال. وإلا فالبديلُ هو تصاعدُ وتيرةِ العنفِ والمزيدُ من التشرذمِ والانقسام الذي يمزّقُ أوصالَ الوطن ويؤدّي إلى الفوضى.

* إنّ الحديثَ عن التواصلِ الثقافيّ في البيئةِ العربيةِ الإفريقيّة ينطوي على عواملَ متعدّدة، ويحملُ مدلولاتٍ مهمة؛ فلا تخفى المكانةُ المهمّةُ التي يحتلُّها السودان، كونه البوابةُ التي نطلُّ منها على إفريقيا منذ الأزل. وللسودان خصوصيةٌ تجعلُ منه، بتركيبتِه الفريدة، نموذجًا للاندماج الحضاريَ يعكسُ صورةَ التفاعلِ الثقافيِّ بين قارتيْ إفريقيا وآسيا. فالسودان مثالٌ للتعدديّةِ والتنوعِ والاندماج في الوطن الواحد. فهو عربيٌّ إفريقيٌّ بامتياز؛ وهو خليطٌ من الثقافاتِ الدينيةِ والعرقيّة واللغويّة. وأيُّ تنوّعٍ أغنى وأوسع من وجود أكثر من ١٣٠ لغة و ٥٠٠ جماعةٍ عرقيةٍ مختلفة؛ إضافة إلى معتقدات دينية متباينة؟

* السودانُ كان دومًا عربيَّ الملامح إسلاميَّ التوجّه. إنّ دخولَ الإسلام إلى السودان تميّزَ أيضاً بطبيعةٍ تعدديّة؛ إذ إنّ الطرق الصوفيّة المتعدّدةَ هي التي مثّلت شكلَ التدين العامّ في المجتمع السوداني. ولا شكّ أنّ تعايش هذه المجموعات المختلفة في إطارِ آلية تعبيريةٍ واحدة من شأنِه أنْ

يغني لغةَ الخطابِ المشتركِ بألوانٍ إبداعيّةٍ متنوعة. فسادتْ التعدديةُ الثقافيةُ المتناغمةُ التي كانتْ أساساً لصمودِ هذا البلد وعماداً للتواصل الثقافيِّ والحضاريِّ. إنّ الميلَ الفطريَّ إلى معرفةِ ما يملكُه الآخرُ من معارفَ وتراثٍ وخصوصياتٍ داخل الكيانِ الواحد في المجتمع يحفزُ الطاقاتِ المعرفيةَ لدى شرائحَ المجتمعِ بأسره.

* وقد أنتجَ هذا النسيجُ المتداخلُ المتنوّعُ ثقافةً سودانيةً خالصةً تقومُ على الحوارِ والمزجِ بين العروبيّة والإفريقيّة. إنّ الحديثَ عن التنوّعِ والتعدّدِ في أي مجتمع يقودُنا إلى تأكيد دورِهما في إغناء المجتمع، والجمعِ بين أفراده، وتعزيزِ الشعور بالمواطنة. وشعور المواطنِ بالانتماء يقرّبُهُ من رؤيةِ الصالح العام والاندماج والمشاركة الفاعلة، ويبعدُه عن مظاهرِ الإقصاء والاستقطاب والتهميش. فعند تحقيقِ مفهوم المواطنة نرى بدايةً لتكوّنِ مجتمع مدني. ولنْ ينجحَ أيُّ مشروعٍ لتطبيق الديمقراطيّة ما لمْ تكن هذه مبنيةً على تقليدِ المجتمع المدنيّ. فكيف نحرك شبكة المجتمع المدني؟ أؤكدُ هنا ضرورة الارتقاء بدور منظمات المجتمع المدني كي تبادر بالإجراءات الاستباقيّةِ للأزمات قبل انفجارها.

أتساءل: أين المجتمع المدني في بلادنا وأين مؤسساته؟ أشير هنا إلى المسار الثاني Track II؛ وحتى المسار "واحد ونصف"، الذي يجمع بين المسار الأول الرسمي والمسار الثاني الأهلي. بيت القصيد هنا التسلح الأخلاقي داخل مجتمعاتنا العربية، والسعي نحو الحكم الراشد الأخلاقي. هذه هي نقطة الانطلاق؛ وبعدها يأتي الإصلاح الشامل الذي ننشد.

* تحتلُّ العَلاقاتُ العربيّة الإفريقيّة مكانةً عاليةً في تفكيرنا وقلوبنا. والغايةُ التي نصبو إليها جميعاً هي تحقيقُ المزيدِ من التكامل بيننا؛ مدركينَ أهميةَ تنميةِ الإطاراتِ المختلفةِ للعَلاقاتِ العربيّةِ الإفريقية وتطويرها، وتعزيزِ التعاون المشتركِ بين الطّرفيْن في المساراتِ الاقتصاديّةِ والثقافيّة والعمليّة والفنيّة، وكذلك على مستوى التكاملِ والانسجام في السياساتِ الخارجيّةِ الدولية والإقليميةِ، وتفعيلِ التعاونِ والتنسيق بين الاتحادِ الإفريقيِّ وجامعةِ الدول العربيّة.

* وقد بادرتْ الدولُ العربيّةُ والإفريقيةُ في الماضي إلى إنشاءِ الكثير من الأطُر التنظيمية، تحت مظلة الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الإفريقية، من أجل النهوض بمسؤوليّةِ العمل العربيِّ المشترك؛ مثل: مؤتمر القمة العربيِّ الإفريقيِّ، واللجنة الدائمة للتعاون العربيِّ الإفريقيِّ، والمجلس الوزاريِّ العربيِّ الإفريقيِّ، والمحكمة العربيّة الإفريقية. لكن ضمن مسيرةِ التعاون العربيِّ الإفريقي، تعرّضتْ هذه المساعي وغيرها إلى التعثر؛ وعلينا العملُ على إحيائها وتفعيلِها. ولا تفوتنا هنا الإشارة إلى المواقف المشهودةِ التي اتخذتْها الدولُ الإفريقية في المحافل الدولية تجاه دعم نضال الشعبِ العربيِّ الفلسطينيِّ وتمسّكها بالدفاعِ عن حقوقِ الإنسان والحريات.

* من ناحية أخرى، كان لي شرف رئاسة حملة غوث إنسانية أردنية توجهت إلى هذا البلد الكريم في منتصف الثمانينيات. إثر ذلك أنشئت اللجنة

الوطنية للتضامن مع السودان، وكان لي شرف رئاستها، واستهدفنا معالجة الأوضاع في دارفور منذ ذلك الحين. قامت البعثة الأردنية حين ذاك بإنشاء مشروع كهرباء ومشروع ماء في منطقة كاس قرب نيالا. وأعادت إعمار مستشفى ألماني متروك، وتزويده بفريق طبي عالج على مدى خمس سنوات أكثر من مليون حالة، وأجرى أكثر من خمسة عشر ألف عملية جراحية كبرى؛ إلى جانب حملات لتطعيم الأطفال وتعقيم المياه. وتم تمويل تلك الجهود من الهيئة الخيرية الهاشمية والبنك الإسلامي. ويشرفني أن نجلي راشد الحسن يترأس الآن هذه الهيئة ويواصل عمله بكل عنفوان.

* يكثرُ الحديثُ في الآونة الأخيرةِ عن التنميةِ وكيفيةِ تحقيقها. وهنا أشيرُ إلى دورِ التكتلاتِ الإفريقيةِ في ذلك. فسكانُ إفريقيا يشكّلون ١٢٪ من سكانِ المعمورة؛ ولا تصلُ حصةُ الدولِ الإفريقية في التجارةِ العالميّة إلى أكثر من ١,٥٪. إنّ هذا المشهدَ الإفريقيّ يردُ في سياقِ واقعٍ اقتصاديٍّ معوْلم تسيطرُ فيه دولُ الشمال الغنيةِ على ٨١٪ من تجارةِ العالم وثرواته؛ في حين لا يتجاوز عددُ سكانِها ١٩٪ من سكان العالم. بالمقابل؛ يشكّلُ سكانُ دولِ الجنوبِ الفقيرة ٨١٪ من سكان المعمورة، ولا يحصلونَ من الثرواتِ والتجارةِ الدولية إلا على ١٩٪.

* عُقِدَ في عمّان في شهر آذار/ مارس الماضي مؤتمرٌ بعنوان "**أصوات من غربي آسيا: نحو تشجيع الحوار والعمل المشترك**" من أجل نشرِ الحوار بين الجانبيْن الآسيويّ والإفريقي، وتبادلِ الخبرات، وتأكيد مفهومِ **المشاركة** ضمنَ منطقة غربيّ آسيا وجنوبيّ وشرقي آسيا التي تشملُ -ثقافيًا- إفريقيا. نحن بحاجة إلى العمل على تطوير العَلاقات والتقريبِ بين غربي آسيا وإفريقيا من خلال العمل المشترك؛ آخذين بالحسبان الإرثَ الثقافيّ الغنيّ الذي تتمتعُ به منطقتُنا.

* لا بدّ من العملِ على تفعيلِ حوارِ الجنوب الجنوب بين الدولِ العربيّةِ والإفريقيّة من أجلِ اكتشافِ مجالاتِ التعاونِ المثمرِ فيما بيننا. فما نشتركُ فيه من موقعٍ جغرافيٍ متقارب، وتراث ثقافيٍ مشترك، ومصالحَ حيويّةٍ مماثلة له دورٌ أساسيٌ في توجيه هذا الحوار.

وحسبنا أن نستفيد في هذا السياق من تشخيص مشكلات الحكم الراشد في جنوب آسيا:

- التضخم السكاني؛
- الفقر بشتى أنواعه، بما في ذلك الفقر الروحي؛
- بطء النماء الاقتصادي؛
- الأمية المستشرية؛
- موت الأطفال المبكر، والأنكى من ذلك الطفولة المكبوحة التي لاتشب عن الطوق جسديا أو نفسانيا؛
- المشكلات الصحية؛
- عدم كفاية المؤسسات الديمقراطية والدمقرطة؛
- ضعف مؤسسات الحاكمية أو الحكم الراشد؛
- إخفاق الأحزاب السياسية، إن وجدت؛
- تسييس القوات المسلحة؛
- تنامي الصراعات الإثنية؛
- إضافة إلى مشكلات البيئة؛ وما إلى ذلك ...
- ويمكن أن نفكر بالنفس ذاته بجدول أعمال

مشترك مكون – في حده الأدنى– من: تعزيز مفهوم المواطنة وتمكين المواطن بكل معنى الكلمة؛ الأمن والتعاون الإقليمي؛ إعادة هيكلة المؤسسات؛ تعزيز المجتمع المدني؛ وما إلى ذلك.

* دعوتُ إلى تبنّي **ميثاق استقرار** إقليميّ يتألفُ من اتفاقاتٍ سياسية يتم بموجبها التصدي للمشكلاتِ التي تواجهُ المِنطقة: الصراع الفلسطيني الإسرائيلي؛ الحروب في العراق وأفغانستان؛ الوضع الحالي في لبنان. إنّ الحلولَ السياسيةَ للأزماتِ لا بد أنْ تتمَّ في إطارٍ إقليمي. وأشيرُ هنا إلى الاتفاق الذي تمَّ بين السودان وتشاد من أجل ترسيخ الأمن الإقليميّ والاستقرار في المنطقة. وهو اتفاقٌ بحاجة إلى كلِّ دعمٍ وحماية.

في ذهني الآن ميثاق الاستقرار لجنوب شرق أوروبا الذي تم تبنيه عام ١٩٩٠ بجداول أعماله الثلاثة: من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان؛ التنمية الإقتصادية؛ الأمن.

والجغرافيا هنا تشمل دول الجوار أيضًا. من المفيد في هذا السياق أن نذكر ما قاله أخي الإمام الصادق المهدي عن جوار البحر الأحمر وجوار النيل وجوار الصحراء. وكان العبد الفقير لله تعالى أول من تطرق إلى أمن البحر الأحمر في محاضرة ألقيتها عام ١٩٨١ في جامعة البكْر/بغداد.

إن القضايا التي يمكن لميثاق الاستقرار المنشود أن يتناولها هي:

- نهج فوق قطري للبنى التحتية؛
- تعاون إقليمي موسع؛
- حزمة من صناديق الغوث والإغاثة، من قبيل صندوق عالمي للزكاة؛
- ميثاق شرف لحرية الإعلام؛
- ميثاق اجتماعي؛
- مبادرة لمناهضة الفساد والإفساد؛
- تحرير التجارة؛
- عودة اللاجئين والمهاجرين والمهجّرين؛
- ضبط التسلح الإقليمي؛ وهلّم جرّا.

* يتمُّ عرضُ الإسلام بصورةٍ تتناقضُ مع رسالتهِ التاريخيّةِ في ضوءِ انتشار التطرف والتشددِ والعنفِ والإرهاب في العالم.

* إنّ التمسكَ بالقيَم الإنسانيّةِ المشتركةِ يمثّلُ طوْقَ النجاةِ بالنسبة لنا جميعًا. ويؤدي ذلك إلى تحقيق الأمن المشترك. لا بد أن نعمل بجدٍّ على كشفِ الوجهِ الحقيقيّ للتطرف من خلال البحثِ في القيم المشتركة.

* إنّ إحلالَ السلامِ في الشرق الأوسط لن يتمَّ بدون إيجادِ حلٍّ عادلٍ للقضية الفلسطينيّة. ولن تؤدي هذه الصراعاتُ القائمةُ في المنطقة إلا إلى المزيدِ من تقويض إمكانيّةِ المصالحةِ بين الشعوب. نحن نرى الفوضى العارمةَ التي اجتاحتْ أفغانستان، والحربَ على العراق التي ستؤدي إلى تغيير وجهِ المِنطقة بصورةٍ كاملة، ولنْ أذكرَ التفاصيلَ المؤلمةَ لهذه الحرب التي نعرفُها جميعا. ومنذ عام ٢٠٠١ شهدنا تصاعدا للهجمات الإرهابية، في الأردن ومصر والعراق والمغرب، والمشكلة الإيرانيّة حول الأسلحة النووية.

* إنّ الحديثَ عن التنوع والتعدديّةِ الثقافية يقودُنا

إلى الحديث عن مفهوم التعايش. لا بدّ من العمل على زيادةِ الوعي بأهمية الفهمِ الثقافي، والعمل على تطويرِ التعايش السليم ضمنَ مجالاتٍ متعددة تشملُ الإعلامَ والفنونَ، وتصلُ إلى قطاع الشباب بصورة خاصة.

* باستطاعة المجتمع السوداني الاستفادة دوماً من تعدديّته الغنية طالما أنّ قادتَه يركّزون على العناصر الإيجابيّةِ لمجتمعِهم المتعدد، أكانت دينية أم ثقافية أم عرقية. وفي واقع الأمر، فإن اتفاقية السلام التي تم توقيعها بين شمال السودان وجنوبه قد أفسحت المجال أمام التأمل في مسائل اجتماعية واقتصادية، مثل كيفية التعامل مع القضايا المتصلة بالصراعات في شرق السودان ودارفور.

* إن التوصل إلى اتفاقية في مثل هذا الوضع يدل على وعي القادة السياسيين بتعددية المجتمع السوداني وتركيبته. لذلك فإن الرغبة في السلام كانت اعترافا بأن السودان يمكن أن يبقى مجتمعا موحّداً ومتنوعا إذا أصبحت الإرادة السياسية والإحساس بالمسؤولية تجاه الصالح العام الدافع المحرك في الأجندة الوطنية.

* ان للتعايش بين المسلمين والمسيحيين في السودان تاريخا طويلاً. وتكشف قراءة النصوص التاريخية عن الإسهام الكبير للسودانيين في تقدم الحضارات والمجتمعات على ضفاف النيل. لذلك فمن المنطقي أن يستمر القادة الدينيون السودانيون في الاستفادة من هذه الإسهامات العظيمة من أجل إقامة علاقات قوية مع جيرانهم ومع الدول الصديقة. يجب أن يتعلم العالم من التجربة السودانية في التسامح الديني والتعددية الثقافية.

* نهض السودان بدور مهم كجسر بين الشرق الأوسط والقرن الإفريقي وشرق إفريقيا. فكانت مساهمته من منظور تاريخي إيجابية؛ إذ كان دوما جسرا للتسامح بين هاتين المنطقتين.

* كان من المقرر انعقاد الاجتماع السنوي لمنتدى الفكر العربي في الخرطوم العام الفائت، حيث تم اختيارها عاصمة للثقافة العربية. إلا أنه تم تأجيل هذا الاجتماع لأسباب طارئة. ونأمل أن تبقى الخرطوم كذلك في مختلف الأزمات والمواسم. واسمحوا لي أن أقدم الاقتراح بإنشاء فرع للمنتدى في الخرطوم.

وعلى ذكر المنتدى الذي نحتفل هذا العام بسنته الفضية (الذكرى الخامسة والعشرين لتأسيسه)، فستكون الندوة الفكرية السنوية القادمة بعد بضعة شهور بعنوان **"سلطة الدولة ودولة السلطة"**، وسأترك لخيالكم ماذا يمكن أن نقول في هذا الباب.

إنني، بصفتي رئيسًا للمنتدى وراعيًا له، أبحث الآن عن شريك لتأسيس منتدى عربيّ إفريقي، على غرار المنتدى الآسيوي الإفريقي الذي أسسته قبل ربع قرن مع ليوبولد سنغور رحمه الله في أصيلة. فهل من مستجيب؟

* كان لي الشرف أن أدعو إلى نظام إنساني عالمي جديد تبنته الجمعية العمومية للأمم المتحدة بالإجماع في كل دورة من دوراتها منذ عام ١٩٨٧. وهو النظام الذي أقرته ٢٦ دولة؛ وهو خيرُ وسيلة لاستنهاض الإسلام من انغلاقه وتأثره بالسياسات

الثنائية والقرارات الانفرادية. كما من شأنه أن يثبت للعالم أنه قادرٌ من خلال الغيرية على المحافظة على أرواح المسلمين وعلى إنسانية الأبرياء من بني البشر.

* إن قضية دارفور تذكرنا مرة أخرى، وبمضاضة، أن القانون الدولي يطبق انتقائيا، وأن القيمين عليه يتعاملون مع قضايا الشعوب، لا على أساس مضمونها وعدالتها وجدارتها وطبيعتها الملحة، بل على أساس ملاءمتها للأغراض السياسية.

أنادي من على هذا المنبر بتأسيس لجنة عربية إسلامية للتضامن مع دارفور وسكان دارفور.

أين استراتيجيتنا عربيا وإسلاميا في التواصل -أقول التواصل قبل الاتصال- وفي تسويق قضايانا لتعظيم المنافع الإقليمية؟

* إن غياب الدور الإسلامي والعربي في التعامل مع أزمة دارفور قد ساهم بصورة كبيرة في تفاقم هذه الأزمة. أين التحرك الإسلامي؟ إلى متى سيظل التقاعس سبباً لضياع الفرص؟

* **أفكار متفرقة:**

- "أطباء بلا حدود" عربية إسلامية.

- الأمن الصلب + الأمن الناعم = الأمن الحكيم أو الأمن الذكي.

- معانقة الذهب الأسود مع الذهب الأزرق: الحلول فوق القطرية.

- **مجلس حماية**، ضمن مجلس الأمن وفي إطار القانون الإنساني العالمي.

* ختاما، أسأل المولى العليّ القدير أن ينعم على السودان الغالي بالأمن والرفعة والرخاء، ويحفظه من كل مكروه. إنه سميع مجيب.

أحييكم؛ وأسلم عليكم.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،، ■

بسم الله الرحمن الرحيم
رئيس التحرير
كمال حسن بخيت
مديرا التحرير
اسماعيل آدم - البدوي يوسف
الموقع على الانترنت
www.rayaam.net
البريد الالكتروني
info@rayaam.net

الرأي العام
يومية .. سياسية .. مستقلة

رئيس مجلس الادارة
علي إسماعيل العتباني
atabani@rayaam.net
Fax 83772176
83783279
ص. ب 6562
مستشار التحرير
راشد عبدالرحيم

البشير يقدر دور منتدى الفكر العربي*

أكد الرئيس عمر البشير ضرورة توحيد الصف العربي لمواجهة تحديات المرحلة القادمة. وعبر في لقائه رئيس منتدى الفكر العربي الحسن بن طلال ببيت الضيافة أمس عن تقديره للدور الذي يضطلع به المنتدى في ترسيخ دعائم الفكر والثقافة وتعزيز الحوار بين الأديان. وقال الحسن بن طلال إنه وقف خلال اللقاء على الخطوات الثابتة والواعية التي يقوم بها السودان لتأمين الاستقرار، وعلى جهود السودان لتعزيز العمل المشترك العربي الإفريقي. وأضاف "أملنا كبير أن تكون هنالك نظرة فوق قطرية لتعظيم الصالح العام، خاصة في هذه الفترة التي نرى فيها محاولات لتجريح صورة الإسلام والمسلمين". وزاد الأمير الحسن "بصفتي رئيسًا لمنتدى الفكر العربي ومعنيًا باللقاءات الحوارية بين أتباع الأديان، أرى من الواجب الخروج من هذا الاستقطاب وهذه العندية، وأن نؤكد أن هويتنا مبنية على كرامة الإنسان.

وتطلع رئيس منتدى الفكر العربي خلال زيارته إلى لقاء قيادات المجتمع المدني والمؤسسات المعنية بالحوار بين أتباع الأديان، وأشار إلى ضرورة وقفة تأمل ومراجعة فيما يسمى بالحرب على الإرهاب. ■

* نُشرت في جريدة الرأي العام؛ الخرطوم؛ العدد ٣٢٤٥؛ الأربعاء ٢٠٠٦/٩/١٣؛ ص١.

مرحبًا بالأمير الحسن بن طلال مفكرًا وإنسانًا*

كمال حسن بخيت

[رئيس التحرير]

الأمير الحسن بن طلال هو أمير ومفكر وفيلسوف ورجل موسوعي. وهذه صفات يندر أن تجدها مجتمعة في شخص واحد. كان أحد راسمي السياسة في الأردن الشقيق. ولأن الحكام دائمًا، معظم الحكام، يكون البون شاسعًا بينهم وبين هذه الصفات، فقد كان هناك فلتات نادرة، مثل الأمير الحسن بن طلال.

والأمير الحسن بن طلال، الذي يزور بلادنا هذه الأيام، يدير مركزًا من أكبر مراكز الدراسات في الوطن العربي، يصدر ضمن ما يصدره مجلة **المنتدى**. والأمير الحسن له نشاطات فكرية وإسهامات ثقافية مقدرة داخل الوطن العربي وخارجه.

وتربط الأمير علاقات قوية مع الإمام الصادق المهدي والدكتور منصور خالد، اللذين يشاركانه تلك الصفات التي ذكرتها...

أهل السودان، بمختلف اتجاهاتهم السياسية والفكرية ورؤاهم الثقافية، سعداء بزيارة الأمير الحسن إلى بلادهم... وسوف يكون الأمير إضافة حقيقية في كل الندوات التي سوف يتحدث فيها.

نحن بدورنا نرحب بسمو الأمير الحسن بن طلال في بلده السودان، ونتقدم بجزيل الشكر والتقدير للدكتور الطيب زين العابدين وأركان حربه لإتاحة هذه الفرصة النادرة للمفكرين والمثقفين السودانيين ليلتقوا بالأمير العربي الهاشمي الحسن بن طلال.

إن كل إنجاز ثقافي أو حراك فكري في الأردن الشقيق يقف خلفه الأمير الحسن بن طلال... وهو يجد نفسه تمامًا في هذا المجال أكثر من مجال الحكم الذي يكبله ويفرض عليه نهجًا صارمًا، خاصة كونه رجل دولة... أما وصفه كأمير، وكرجل فكر وثقافة، فيتيح له التحرك بحرية في كل الفضاءات، مساهمًا في حركة التنوير على مستوى بلده، وعلى مستوى الوطن العربي الكبير.

نأمل أن يحتشد أهل الفكر والثقافة والسياسة في ندوات الأمير المثقف والمفكر حتى تصبح تلك الندوات أكثر ثراءً، ويتعرفون عن قرب بالأمير لأنهم سيجدون أميرًا من طراز خاص، ومن نسيج خاص، وصاحب اهتمامات خاصة لا تشبه اهتمامات الآخرين.

وللأمير الحسن إشراقات إنسانية عميقة مع أبناء شعبه في الأردن ومع العرب لا يعرفها الكثيرون. فهو عروبي حتى النخاع... وهاشمي من آل البيت.

التحية لك أيها الأمير... وألف مرحب بك في بلدك السودان. ■

* نُشرت في جريدة **الرأي العام**؛ الخرطوم؛ العدد ٣٢٤٥؛ الأربعاء ٢٠٠٦/٩/١٣؛ ص ٢٠.

طه: مطمئنون للأوضاع في دارفور*

أكد نائب رئيس الجمهوريةعلي عثمان محمد طه اطمئنان الحكومة للأوضاع في دارفورمهما كانت الحملات العدائية الخارجية.

وقال خلال لقائه أمس الأمير الحسن بن طلال، رئيس منتدى الفكر العربي، إن جهود الحكومة وإنجازاتها على الأرض لا يمكن عكسها دون تداخل وتواصل عربي وافريقي وعالمي.

وأضاف أن النزاع في دارفور صاحبه تشويه إعلامي وتضخيم لخدمة أجندة معينة. وعبر طه عن تقديره لمقترحات الأمير الحسن حول الأمن الإنساني والتضامن مع مواطني دارفورلتعزيزمجالات التعليم والصحة والتنمية. ■

محاضرة الأمير الحسن بن طلال**

د. خالد المبارك

شهد السودان قبل أيام فصلاً داميًا من "الحوار بالسكين والخنجر"، فسالت دماء زميل عزيز لنا. وشهد جمع غفير من السودانيين والأجانب موقفًا بديلاً ومناقضًا للتشدد الأعمى عندما استمعنا إلى الأمير الحسن بن طلال، سليل الدوحة الهاشمية النبيلة، في قاعة الصداقة "٩/١٢". وجه الدعوة مجلس التعايش الديني، وصدق أمينه العام البروفيسور الطيب زين العابدين حينما ذكر المستمعات والمستمعين بأن الأمير الزائر كان بمقدوره أن ينشغل بما اشتهر به غيره من الأمراء من مغريات الحياة الدنيا، لكنه اختار منذ حداثة سنه الانغماس في هموم الوطن الكبير والإنسانية جمعاء. أدار الجلسة وافتتحها بآي الذكر الحكيم البروفيسور عبداللّه أحمد عبد اللّه، وشاركه على المنصة قس مسيحي سوداني وقور.

ارتقى الأمير المحاضر إلى مستوى التوقعات، فعالج موضوع المحاضرة التعددية الثقافية في العالم الإسلامي بسلاسة، إذ سلط الضوء من عدة زوايا. تحدث عن البؤس والحرمان والظلم، "ظلم الطغاة" و "ظلم الغزاة". وذكر منتدى الفكر العربي الذي ارتبط به منذ ربع قرن. كما ذكر أحدث مبادراته، وهي منظمة عبد الرحمن الكواكبي التي ستتخذ

• نُشرت في جريدة الرأي العام؛ الخرطوم؛ العدد ٣٢٤٦؛ الخميس ٢٠٠٦/٩/١٤؛ ص٢.

•• نُشرت في جريدة الرأي العام؛ الخرطوم؛ العدد ٣٢٤٦؛ الخميس ٢٠٠٦/٩/١٤؛ ص٣.

الجزائر العاصمة مقرًا، ومؤسسة آل البيت، ولقاءات الحوار بين الأديان تحت أروقة اليونسكو.

أشار الأمير إلى العدالة الإجتماعية، وبناء الثقة، وضرورة "الاستثمار في رأس المال الإنساني". وشكا من النقص في المؤسسات الديمقراطية، والطفولة المهملة، والصراعات العرقية، ومشكلات البيئة. ونادى بالالتزام بميثاق استقرار، ومحاربة الفساد، وتحرير التجارة.

انتقد الأمير المحاضر الحياة العربية والإسلامية عندما تساءل عن معادل لمنظمة أطباء بلا حدود. وخص السودان بعدة تعليقات أهمها مناداته بعودة المغتربين، "مثلاً آلاف الأطباء في بريطانيا"، كما اقترح تكوين لجنة عربية إسلامية للتضامن مع السودان في دارفور.

نادى بالتسامح الديني، وتحدث عن زيارة البابا لموطنه وحديثه عن "غياب الإيمان". وقال إن المؤسسات الدولية تسعى لما نجده في الإسلام. وذكر أهمية تكوين صندوق عالمي للزكاة.

أضفى الأمير الزائر لمحة إنسانية – كسر بها أيضًا حدة الجمود في الأفكار. فتذكر صديقه الراحل البروفيسور محمد عمر بشير الذي حضرت أسرته بالقاعة. وتحدث عن حماته التي شاركت في صياغة مواثيق حقوق الإنسان وحقوق المرأة. وذكر سعادته في حياة زوجية دامت عشرات السنين مع امرأة واحدة كريمة. وعبر عن إيمانه الجازم بإمكانية التعايش السلمي بين الأديان والثقافات.

ذكر د. منصور خالد أن اهتمام الأمير بالأمن الغذائي العربي أثمر "الهيئة العربية للتنمية الزراعية" ومقرها الخرطوم، وأن الأمير اشتهر بالرغبة في تجسير الفجوة بين المثقف والسلطة، وبين الأديان والمعتقدات. أما البروفيسور عبد الرحيم علي فقد أمن على حديث الأمير، لكنه أشار إلى ضرورة الثقة بالنفس، وتفادي التبعية عند تكوين منظمات المجتمع المدني.

كانت أمسية أميرية وشعبية بحق، أمسية تسامح ديني وسعة أفق نحتاجها بعد مأساة الأسبوع الماضي الدامية.

أحاديث الشيخ فرح ود تكتوك:

ترى جدًا ولست ترى عليهم
ولوعًا بالصغائر واشتغالاً
إذا فعلوا فخير الناس فعلاً
وإن قالوا فأكرمهم مقالاً

أمير الشعراء أحمد شوقي ■

أخبار اليوم

أحاديث في السياسة والمجتمع

الحسن بن طلال في الخرطوم*

موسى يعقوب

أتاح لنا مجلس حوار الأديان مساء أمس الأول لقاءًا فكريًا معمقًا مع سمو الأمير الحسن بن طلال الذي اهتم بهذا الجانب منذ وقت مبكر. فكان له منذ ربع قرن - كما نعلم وحدثنا الدكتور منصور خالد - منتدى الفكر العربي، الذي أراد من خلاله أن يجسر الفجوة ويردمها بين المثقف والسلطة لينتهي به الأمر إلى هموم عالمية ومعاصرة منذ انطلقت فكرة النظام العالمي الجديد New World Order ، وإلى مايبحث عنه اليوم مع آخرين، وهو "النظام الإنساني الجديد"، الذي لن توفره العولمة بشعارها الاقتصادي المفتوح الحدود.

مجلس الأمن الدولي الحالي، كما يراه الأمير ويقول: ولد في قمة انتصار الحلفاء في الحرب الكونية الثانية، وربما احتفاء بذلك الانتصار. ومن ثم ولد مكرسًا لذلك النصر، حيث في عضويته كبار يملكون حق النقض "الفيتو" وعضويتهم فيه دائمة، وآخرون صغار عضويتهم فيه غير دائمة، ولا حق لهم في "النقض" بالضرورة!!

سبعون بالمائة من لاجئي العالم اليوم هم مسلمون، كما يقول الأمير. وعندما برزت فكرة صندوق عالمي للزكاة، جاءت الحرب على الإرهاب لتدفنه تحت أنقاضها. وعليه - وهكذا أمر - لا بد من تعريف جديد للأممية ولمجلس الأمن، الذي هو مجلس المنتصرين بعد الحرب العالمية الثانية، بمعنى أن يصبح مجلس الأمن مجلسًا للكرامة الإنسانية، ويصبح الحل ليس في السلام وحده، وإنما في العدالة الاجتماعية أيضًا، والبقاء المتبادل بين بني البشر.

لقد كانت ليلة الأمير الحسن بن طلال الأولى في الخرطوم هذه المرة، وقد زارها من قبل، حافلة بالعصف الفكري والتحديات والبشريات. فهنالك دعوة لتأصيل الحداثة وتحديث الأصالة، كما الحوار بين المذاهب والأديان. وقد أعجبه في ذلك السياق ما أطلقه السيد نبيه بري في لبنان من ضرورة التعانق بين "الهلال الشيعي والقمر السني". وذلك حق. وقد كانت خاتمة ذلك كله فكرة "لجنة عربية إسلامية للتضامن مع دارفور وسكان دارفور..."، وفيها تجسيد لكل الذي قال الأمير الحسن في تلك الليلة. وشكرًا. ■

* نُشرت في جريدة أخبار اليوم؛ الخرطوم؛ العدد ٤٢٨٤؛ الخميس ٢٠٠٦/٩/١٤؛ ص٢.

الأمير حسن بن طلال يجتمع بطه وأزهري التجاني وبمجلس التعايش الديني

طه يعبر عن تقديره لمقترحات الأمير حول الأمن الإنساني في دارفور*

أجرى الأمير الحسن بن طلال، رئيس المعهد الملكي الأردني للدراسات الدينية، الذي يزور البلاد عددا من اللقاءات أمس مع نائب رئيس الجمهورية الأستاذ علي عثمان محمد طه، كما التقى وزير الإرشاد والأوقاف الدكتور أزهري التجاني، والمسؤولين بالمجلس التنفيذي بمجلس التعايش الديني، وبحث معهم الكثير من القضايا.

من جهته أكد الأستاذ علي عثمان محمد طه، نائب رئيس الجمهورية، اطمئنان الحكومة للأوضاع في دارفور مهما كانت الحملات العدائية الخارجية. وقال خلال لقائه الأمير الحسن بن طلال، رئيس منتدى الفكر العربي، بالقصر الجمهوري أمس إن جهود الحكومة وإنجازاتها على الأرض لا يمكن عكسها دون تداخل وتواصل عربي وإفريقي وعالمي. وأضاف أن النزاع في دارفور كغيره من النزاعات التي تحدث في الكثير من المجتمعات الأخرى، مشيراً إلى ما صاحب ذلك من تشويه إعلامي وتضخيم لخدمة أجندة معينة. وعبر الأستاذ علي عثمان محمد طه عن تقديره لمقترحات الأمير الحسن حول الأمن الإنساني، والتضامن مع مواطني دارفور لتعزيز مجالات التعليم والصحة والتنمية.

من جهته أشار الأمير الحسن إلى الناحية العدائية في يوم التضامن مع دارفور الذي حددته الولايات المتحدة ومجلس الأمن بالثامن عشر من أيلول/ سبتمبر الجاري، وقال إنه ينبغي أن يكون هنالك رد فعل من السودان بالتضامن مع الدول العربية والإفريقية في هذا الأمر.

وقال الدكتور الطيب زين العابدين، الأمين العام لمجلس التعايش السلمي والديني بمجلس الصداقة الشعبية العالمية، في تصريح (لسونا): إن الأمير الحسن اطمأن على مستوى التعايش الديني في السودان عبر لقاءاته بأعضاء المكتب التنفيذي للمجلس، وبسكرتير مجلس الكنائس السوداني، والقمص أنطونيوس من الكنيسة القبطية، والقمص فيلوثاوس فرج، والسقف قبريال روريج، ووقف من خلال تلك اللقاءات على التعايش السلمي الديني في جميع المستويات.

وأضاف الدكتور الطيب أن رئيس منتدى الفكر العربي اطلع على ما تضمنته اتفاقية نيفاشا من تحديد لوضعية الدين في المجتمع والدولة، مشيراً إلى قبول جميع القيادات الدينية الإسلامية والمسيحية لتلك الوضعية.

من جهة ثانية، استمع الأمير الحسن بن طلال إلى مهمات وزارة الإرشاد والأوقاف بالسودان وأدوارها خلال لقائه الدكتور أزهري التجاني عوض السيد، وزير الإرشاد والأوقاف، بحضور مستشار رئيس الجمهورية الدكتور أحمد بلال عثمان، حيث قدم وزير الإرشاد تعريفاً بدور وزارته في تعزيز السلام في البلاد، وإشاعة روح التدين.

وجدد الأمير الحسن دعوته إلى التنسيق بين دور العبادة والمؤسسات من أجل تأسيس مراكز لخدمة المجتمع، داعياً إلى قيام صندوق عالمي للزكاة. ■

---

* نُشرت في جريدة **أخبار اليوم**؛ الخرطوم؛ العدد ٤٢٨٤؛ الخميس ٢٠٠٦/٩/١٤؛ ص٣.

"أخبار اليوم" ترصد لقاء زيارة احتفال الصادق المهدي بالأمير الحسن بن طلال

الأمير الحسن: قول كلمة الحق ليس مستساغًا في العالمين العربي والإسلامي*

وسط حضور مكثف لقيادات القوى السياسية السودانية، والطرق الصوفية والكيانات الدينية عامة، ورؤساء تحرير الصحف السودانية، والكتاب والإعلاميين، ولفيف من الشعراء والأدباء والمثقفين، ومنظمات المجتمع السوداني ومكوناته كافة، وقيادات هيئة شؤون الأنصار وحزب الأمة القومي، ورجال السلك الدبلوماسي وسفراء الدول العربية بالخرطوم، أقام السيد الصادق المهدي، إمام الأنصار ورئيس حزب الأمة القومي، حفل عشاء بمنزله بالملازمين مساء أمس على شرف زيارة سمو الأمير الحسن بن طلال للبلاد. وقد وجد الأمير الحسن استقبالاً حاشداً بمنزل الإمام بدأت مراسمه الشعبية من الشوارع الرئيسية، حيث استقبله فرسان الأنصار على صهوات خيولهم حتى البوابة الرئيسية لمقر الإمام، التي اصطف على جانبيها المئات من شباب الأنصار والحزب، وهم يرددون هتافات داوية تؤكد على أزلية العلاقات بين الشعبين الشقيقين السوداني والأردني، وقيم الحرية والإصلاح السياسي، والتسامح، واحترام الآخر.

ورحب الإمام الصادق بسمو الأمير الحسن بن طلال بوصفه حبيبا للسودانيين لم يبخل هو ولا شقيقه الراحل ولا ابنه الملك عبد الله في مد العون لأهل السودان في جميع الظروف. وقال الإمام الصادق في كلمته إن صراع السلطة في السودان، مهما تقلب الحال، سيحسم بالاحتكام للشعب وكفالة الحريات العامة، وسيهل فجر جديد، مبينًا أن الطغيان في احتضار، وقد مات سريريًا في كل المناطق، وموضحًا أن صراع الهوية أوجب التوازن، وهنالك استعداد لذلك، لكن التوافق الجديد حول قضية الهوية تهدده عوامل طاردة من المركز، وإقليمية ودولية.

وأوضح أن منطقة الشرق الأوسط تحتاج إلى تجديد يمتص الغضب، ويخلق مجالاً واسعًا لحوار بناء، مشيرًا إلى ضرورة وجود تجديد أمريكي يتخلى عن الهيمنة، وأن تدفع إسرائيل الاستحقاقات المطلوبة منها.

وأضاف الإمام الصادق أن إسرائيل وأمريكا تريدان أن يكون الشرق الأوسط وجوداً جغرافيًا بلا حماسة، ومنزوع الدسم عربيًا وإسلاميًا، مؤكدًا أن كل محاولات إطفاء النيران بالقش ستؤدي إلى مزيد من الحرائق.

وقال إن الإسلام سبق في شرق إفريقيا، إلا أن الاستعمار الأوروبي امتد في القارة منذ القرن التاسع عشر وبدأت الحرب الباردة، مشيرًا إلى سياسات الاستعمار داخل القارة الإفريقية، ومنها سياسة المناطق المقفولة التي نفذها في السودان. وبيّن أن فلسفة السلام في السودان تقوم على التوافق، وتهدده عوامل داخلية وإقليمية ودولية، وتكمن الإقليمية في الاستقطاب وفي مسألة حوض النيل، وإحداث تنافر بين دول المنبع ودول المصب، موضحًا أن هذين شرخين يجدان احتضان إسرائيل بغية تصيد تحالفات في المنطقة ضد العرب والبلدان العربية. وإن إسرائيل تشعر بحيوية الحركات الشعبية وقوتها، ويجد الموقف الإسرائيلي تغذية من لوبيات أمريكية، مبينًا أن مواقف أمريكا مرتبطة بأسباب استراتيجية تتعلق بالإرهاب والنفط، وأخرى أيديولوجية.

• نُشرت في جريدة **أخبار اليوم**؛ الخرطوم؛ العدد ٤٢٨٤؛ الخميس ١٤/٩/٢٠٠٦؛ ص٣.

وقال الإمام الصادق إن الأمير الحسن هو أمير المحبين للسودانيين، وإن ما يشده إلينا ويشدنا إليه هو التواضع. ووصفه بالمتواضع وكريم النفس، كالغصن كلما حمل أغصاناً تمايل وانثنى. وأنه رجل دولة ومفكر وفارس ومجتهد، قائلاً: الأمير الحسن مجتهد، يقرأ ويدرس ويتابع، في وضع أكثر ساستنا يجتهدون على أن لا يجتهدوا ويصممون على أن لا يصمموا. وبيّن أن المظالم تراكمت على الأمة الجريحة. وأوضح أن هديته للأمير الحسن هي نسخة من كتاب بعنوان **الفكاهة ليست عبثاً**، يتناول المعاني النفسية والروحية والاجتماعية ونفس أهل السودان.

وقال سمو الأمير الحسن بن طلال إنه يقف إجلالاً واحتراماً لمن يرقد بقرب مكان الحفل بالملازمين، "قبة الإمام المهدي". كما قال: "أؤمن بالسلف الصالح والقدوة الريادية التي حررت هذا البلد الطيب، وأضفتْ عليه هذه الإشراقة التي تتمثل بالأخ العزيز حامل هذه الراية الإمام الصادق المهدي. وأقول لكم في هذا الجزء من مثلث "أم درمان الخرطوم وتوتي"، مبيناً أن مليار ونصف مليار مسلم ليسوا في حاجة إلى أعداء، وأن القارة الإفريقية العربية لا يفصل بينها وبين آسيا إلا ما صنعه الإنسان. وأن (١٠٪) فقط من العرب يقطنون ما يسمى شرق السويس، وأننا كلما طلعت الشمس، نرى محطة فضائية عربية تتحدث بالذكاء العاطفي، لكن ما قيمة ذلك إذا ابتعد عن المعرفة والذوق وعلم المعاني؟ ونؤكد أنه إذا غرسنا الأفكار من خلال هذه الوسيلة، فالعالم الثالث سيكون هو العالم الأول.

وأضاف الأمير الحسن أن تواجد قوات لحفظ السلام من إندونيسيا وماليزيا في لبنان يذكرنا أن في أطراف المعمورة مسلمين أنجزوا ونالوا احترام العالم دون تفريط في هويتهم، قائلاً: أمرنا بالوسطية وتفعيل الأمة لعمل الخير.

وقال الأمير الحسن إن الحافز الأساسي للإمام الصادق المهدي للعمل يكمن في النظر لوجوه الشبيبة، مشيراً إلى الشباب الذين استقبلوه بمنزل الإمام بالملازمين. ثم قال: أنا أعرِّف نفسي بكينونة غير رسمية لكي يطمئن سفير الأردن الذي نصحني بعدم الحضور إلى السودان، موضحاً: " أنا أنتمي لأسرة الهواشم عبد الله وفيصل وطلال وراشد، وكل أبناء إخوتي أغلى علي من عيوني، وأنا وَفيٌّ لكم، ولا رغبة لي في لقب، فقد شبعت من الألقاب ومن السجاد الأحمر. ثم ردد التكبير مع شباب الأنصار "الله أكبر ولله الحمد"، مضيفاً "لقد عملت في يوغسلافيا وشاهدت المقابر الجماعية، وإبني يعمل في مزار شريف والفلوجة.

وأعرب الأمير الحسن عن أمله في زيارة دارفور، ووجود مبادرة عربية إسلامية بدعم فلسطين والعراق ودارفور، قائلاً: أنا أشعر بوحدانية شديدة لأن قول كلمة الحق في هذه الأيام ليس أمراً مستساغاً في محيطنا العربي والإسلامي. وإن الأوان قد آن لأن نربط الأمن بالقوت والكرامة الإنسانية، مؤكداً أهمية وجود الدولة المدنية التي تكفل حق التعبير في المجتمع المدني الفاعل.

ثم قال: أما أن نستمر بلا حساب، فسنواجه غضب ربنا، ولذلك فلا يأس مع الإيمان المرتكز على الأخلاق والعلم والعمل، وقل اعملوا نشكركم من الأعماق، أما الزبد فسيذهب جفاء. وأضاف: دارفور تكاد تذكرني، إذا استمر الإهمال، برواندا، ولم أسمع تصريحاً عربياً واحداً يتساءل. فالبريطاني يقول: لا تدخل لأن الأمر سوداني، والأمريكي يقول إنه قلق. ■

الذكرى الثالثة لرحيل إدوارد سعيد

-١-

ندوة في الذكرى: أوراق العمل تركّز على ريادة سعيد الفكريّة في تحليل علاقات الشرق بالغرب

أحيا منتدى الفكر العربي الذكرى الثالثة لرحيل إدوارد سعيد مساء يوم الأربعاء ٢٠٠٦/٨/٣٠ بندوة شارك فيها عدد من أصدقاء الرّاحل وعارفيه.

تناول المشاركون في أوراقهم إسهامات الراحل الكبير الفكريّة والإبداعيّة في حقول الأدب والنّقد والموسيقى والأنثروبولوجيا والنّضال السّياسيّ، مركّزين على جوانبَ لم تُسلط عليها الأضواء من هذه الإسهامات المتنوّعة ذات الأثر العميق في الفكر العربيّ والعالميّ المعاصر.

وكان د. هُمام غَصيب، مستشار سموّ الأمير الحسن بن طلال ومدير إدارة الدراسات والبرامج في المنتدى، قد افتتح النّدوة بكلمة ألقاها نيابةً عن الأستاذ وسام الزهاوي، الأمين العام للمنتدى. وجاء فيها: إن إدوارد سعيد يعدّ "علمًا من أعلام العرب، ومن كِبار الأُدباء والمفكّرين والمنظّرين والباحثين في العلوم السّياسيّة والإعلاميّة والاجتماعيّة والموسيقيّة، الذين تألّقوا في العالم الغربيّ واستطاعوا تقديم صورة حقيقيّة، علميّة وتاريخيّة، عن واقع العالم العربيّ والإسلاميّ، وما تعرَّض له من إجحافٍ وظلم وعدوانٍ سافرٍ على مدى قرون".

وأشارت كلمةُ أ. الزهاوي إلى الأثر البالغ الذي تركته أعمال سعيد في الأوساط الأكاديميّة والبحثيّة ولدى الرأي العام العالميّ، خصوصًا فيما يتعلّق بالقضيّة الفلسطينيّة والصّراع العربيّ الإسرائيليّ، من خلال دحض الادعاءات والأكاذيب، وكشف التناقضات في طروحات الفكر المتحيّز والدّعايات الغربيّة والصهيونيّة على السواء. كما أشار إلى عددٍ من مؤلَّفات سعيد وأعماله في مختلف مجالات عطائه الفكريّ التي تشكّل ركائز أساسية في دراسة أثره ودوره الثّقافيّ الممتدّ.

وأضاف د. غَصِيب: إنّ هذه النّدوة تأتي ضمن سلسلة جديدة من ندوات اليوم الواحد ينظمها المنتدى تحت عنوان "أيام المنتدى". وسيعقبها ندوات أُخرى لتكريم كبار أعلام الفكر، وبحث مجموعة من القضايا الفكريّة الملحّة في استشراف المستقبل العربيّ. وقريبًا ستكون هنالك ندوة سبق إقرار موضوعها عن الفكر

هشام شرابي، وندوة أخرى لدراسة قضايا المرأة العربيّة وآفاقها المستقبليّة؛ إضافة إلى أنشطة أخرى متعدّدة تتواكب واحتفال المنتدى بمرور خمسة وعشرين عامًا على تأسيسه.

من جهته قال النّاقد فخري صالح، مدير الدائرة الثّقافيّة في جريدة **الدّستور** الأردنيّة وعضو المنتدى، الذي ترأس الجلسة الأولى للنّدوة: إنّ مشروع إدوارد سعيد يتلخّص في تفكيك الفكر العربيّ، ونقد الخطاب الغربيّ الذي اخترع الآخر ليميّز نفسه عن ذلك الآخر الذي يقع في أدنى سلّم الحضارة، مبرّرًا حملته الاستعماريّة على الشّرق.

وفي الورقة الأولى المقدّمة في النّدوة تحت عنوان "أن نبدأ بإدوارد سعيد"، عدّ مقدّم الورقة د. جوزيف مسعد، أُستاذ العلوم السياسيّة المشارك في جامعة كولومبيا، سعيد بأنّه من أهمّ محلّلي خطابات السلطة والمعرفة في أوروبا الحديثة، وأنّ أدبيّته وانهماكه في الخطابيّ زوّداه بالخلفيّة اللّازمة لتحليل كيفيّة بروز فلسطين والفلسطينيّين في الفكر الأوروبيّ الاستشراقيّ وقريبه الصهيونيّ. كما أنّه كان متأثّرًا بالمجال المرئيّ أيضًا، سواء في البُعد الخياليّ للفكر والفانتازيا، أم في التصوير المرئيّ في الأدب، أم في التصويرات المرئيّة القائمة في الواقع والإنتاج الفنّيّ للعوالم التي بنتها أوروبا.

وأورد د. مسعد في ورقته مجموعة من الشواهد من كتابات سعيد تؤكّد مشروعه في جعل السرد الفلسطينيّ محكيًّا، والفلسطينيّين أنفسهم مرئيين لعالم أصرّ على عدم رؤيتهم أو سماعهم. وأوضح أنّ علامة سعيد الفارقة كانت في اهتمامه بالسياق العربيّ والغربيّ الذي قام الصّراع الفلسطينيّ الإسرائيليّ في داخله. كما أصرّ على قراءة الصّراع اليهوديّ الأوروبيّ ضدّ اللاسامية طباقيًّا مع قراءته للصّراع الصهيونيّ لاستعمار الفلسطينيّين والسيطرة عليهم، وقراءة الصّراع الفلسطينيّ ضد الاستعمار الصهيونيّ، بمصاحبة نقده اللاذع لسياسات الأنظمة العربيّة وسياسات القيادة الفلسطينيّة.

وفي الورقة الثّانية قدّم د. نبيل اللّوّ، مدير عام الهيئة العامة لدار الأسد للثّقافة والفنون في دمشق، خطوطًا عريضة حول "إدوارد سعيد الموسيقيّ"، واهتماماته بالموسيقى ونقدها كمجال ثقافي وإنساني للتفاهم والتقارب بين الشعوب، بعيدًا عن الصّراعات السّياسيّة والحروب. وتحدّث د. اللّوّ في هذا المجال عن مشروع سعيد الموسيقيّ المتمثّل في تأليفه، بالاشتراك مع عازف البيانو الشهير دانيال بارنبويم، فرقة الدّيوان الغربيّ الشرقيّ السيمفونيّة.

كما تحدّث د. اللّوّ عن ذكرياته مع سعيد خلال الزيارة اليتيمة التي قام بها إلى دمشق في مسعىً لتجاوز بعض الحساسيّات السّياسيّة، وإشراك الأوركسترا السّوريّة في ورشات فرقة الدّيوان الغربيّ الشرقيّ. وكان عازفو هذه الأوركسترا يشكّلون ٢٧ من عدد عازفي الفرقة.

وفي الجلسة الثّانية، التي ترأسها الأستاذ صلاح حزيّن، رصد د. محمّد شاهين، أُستاذ الأدب الإنجليزيّ في الجامعة الأردنيّة، مظاهر "تناتج الاستشراق في الثّقافة المركزيّة الأوروبيّة"، مبيّنًا أنّ مقاربته هذه منصبّة على كيفيّة أن "الاستشراق" - كما حلّله إدوارد سعيد - كان ولا يزال يمثّل صراعًا بين الشّرق والغرب، أو بين الإسلام والغرب. فقد حاول سعيد في مجمل كتاباته أنْ يبيّن أنّ الاستشراق هو نوع من تعامل الغرب مع العالم الثّالث؛ فكان علاقة مهيمِن ومهيَمن عليه.

ونبّه د. شاهين إلى أنّ مؤلّفًا بالغ الأهميّة لسعيد هو **تغطية الإسلام**، الذي ظهر عام ١٩٨١، لم يحظ بما يستحقه من عناية، على الرّغم من كلّ الاهتمام الذي حظيت به مؤلّفات هذا المفكّر الكبير. وقد حاول سعيد فيه لفت الانتباه إلى أنّ الغرب نظرَ إلى الإسلام منذ القدم، لا كدين مُغاير للمسيحيّة الغربيّة وحسب، بل كثقافة عاشتها - ولا تزال - مناطق شاسعة من العالم لا تقتصر على الشرق العربيّ ولا على المسلمين أنفسهم، وإنّما على المسلمين وغير المسلمين في هذه المناطق ممن يعدّون امتدادًا للعروبة والإسلام في المشرق. ويتجلّى فكر إدوارد سعيد في هذا السياق بمناقشة فكرة العلاقات بين المستعمِر والمستعمَر، من دون التركيز على العقائد والمعتقدات والشعائر.

وفي ورقته المعنونة "إدوارد سعيد: مهمّة المثقّف المستحيلة"، استعرض الكاتب الصّحافيّ في جريدة **أخبار الأدب** القاهريّة الأستاذ محمّد شُعير مواقف فكريّة بارزة لسعيد في مناسبات مختلفة، وانتهى إلى أنه في كلّ مواقفه لم يكن سوى "الخارج" دائمًا، المتهم من كلّ الأطراف، الذي لم يستطع أن يُرضي أحدًا. وهذا هو قدر مثقّف مثله لم يكتف بالبرج العاجيّ للأكاديميّين، واختار الاشتباك مع اللحظة بكلّ ماتحمله من اتساخ، واختار أن يُعلي صوته بدلاً من الصّمت، شأنه في ذلك شأن الكبار من المثقّفين والمفكّرين، ليصبح - حتى بعد رحيله - محط إعجابٍ وتبجيل ونقدٍ وخلافٍ وعداء.

وأضافَ الأستاذ شُعير: إن صورة إدوارد سعيد المثقّف تبدو أقرب إلى الأسطورة في تحقّقها، وهي صورة تدفع إلى التساؤل عما إذا كنّا في الوطن العربيّ نملك صورة هذا المثقّف الإشكاليّ المنشقّ.

حضر النّدوة جمهور غفير من المهتمين؛ إضافة إلى مجموعة من أعضاء المنتدى والكُتّاب والمثقّفين. ■

إدوارد سعيد: صوت العقلانيّة والشّجاعة من فلسطين

د. جميل جريسات*

١- كانت مشاركة إدوارد سعيد في المؤتمرات السنويّة لمنظّمة الخريجين العرب في أمريكا (AAUG) مناسبة فريدة لِما وفّرت من تفسيرات للأحداث ومن نقدٍ ثاقبٍ للتطوّرات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة في تلك الأوقات. وقد كانت العلاقات العربيّة الأمريكيّة وآثارها على القضيّة الفلسطينيّة هي المحور أو العامل المشترك لمعظم ما تمّ تداوله. وجدير بالذّكر أنّ إدوارد سعيد كان يتوقّع هذا الحدث السّنويّ وينظر إليه كمناسبةٍ لجمع الشّمل بين المثقّفين والمفكّرين العرب في أمريكا وكندا لتبادل الرّأي وتحفيز النّشاطات الفكريّة والسياسيّة في حلقات النّضال العربيّ وتفعيلها من أجل العدالة والأخلاقيّة في التّعامل مع قضيّة الشّعب الفلسطينيّ، ومن أجل تحرير هذا الشّعب المُعاني من عبء الاحتلال الثّقيل والاغتصاب لحقوقه وممتلكاته.

٢- في عام ١٩٩٢، حين كنت رئيسًا لمنظّمة الخريجين العرب في أمريكا (AAUG)، قرّرنا عقد مؤتمرنا السّنويّ في القدس العربيّة بضيافة جامعة بير زيت في الضفّة الغربيّة. وفي هذه المناسبة قرّرت أمانة الجامعة منح أوّل دكتوراة فخريّة في تاريخ الجامعة لابن فلسطين العزيز إدوارد سعيد في جمعٍ كبير حضره ستّة من رؤساء البلديّات الفلسطينيّة العربيّة وممثّلون لجمعيّات وهيئات عربيّة وغير عربيّة عدة. ولن أنسى هذه اللحظات المؤثّرة التي تفوق الوصف. لقد شاهدتُ تأثُّر إدوارد سعيد إذ غمرته العاطفة وروعة اللقاء وسارَ إلى أوّل كرسي على مسرح مدرّج الجامعة وجلس كأنّه يجمع قواه الجسميّة؛ ثمّ وقف وقال إنّ هذه الذّكرى ستبقى في ذهنه مدى الحياة وشكر أمانة الجامعة. وبعد وقفه قصيرة قال، والغصّة في حلقه: كنتُ أتمنّى أنْ تشاركني مريم (زوجته) هذه اللحظات؛ غير أنّ قوّات الاحتلال الصّهيونيّ منعتها وهي في طريقها إلى هذا الاجتماع.

٣- في أحد اللقاءات مع إدوارد قرأ لنا فصلاً كان يعدّه كجزءٍ من كتاب يدوّن فيه ما عاناه في طفولته، وكيف رحل والده إلى مصر بعد احتلال القدس [كتابه *Out of Place:A Memoir*, New York, Knopf,1999، الذي ترجمه إلى العربيّة فواز طرابلسي بعنوان **خارج المكان**.] وذكر لنا أنّ والده -وهو في آخر لحظات له على قيد الحياة- حذّر إدوارد من مكائد الصّهاينة التي قد تهدّد سلامته وحياته بسبب آرائه ونشاطه. وفعلاً تعرّض إدوارد في حياته الخاصّة، وفي أثناء عمله في جامعة كولومبيا، للكثير من الصّعوبات والمؤامرات. فقد قام المتطرّفون من دُعاة إسرائيل وأعوانها بحرق مكتبه، ولاقى تحدّيات ومُضايقات إيّنما توجّه للحديث؛ حتّى إنّ حضوره على أرض

* أُستاذ الإدارة العامّة والعلوم السّياسيّة، جامعة فلوريدا الجنوبيّة، تامبا، الولايات المتّحدة الأمريكيّة؛ عضو المنتدى.

أيّة جامعة في أمريكا كان مدعاةً لأخذ الاحتياطات غير العادية لحمايته وتأمين سلامته.

٤- انتقد إدوارد السّياسة الأمريكيّة تجاه العالم العربيّ، وعدّها استمرارًا للاستعمار التّقليديّ في المنطقة الذي كان يجب أنْ ينتهي وأنْ يقبل حقيقة الاستقلال والتحرُّر في العالم العربيّ. وكانت خيبة أمله في القيادات العربيّة واضحة، لأنّ هذه القيادات لم ترتفع إلى مستوى المسؤوليّات والتحدّيات التي جابهت الأُمّة العربيّة بعد الاستقلال؛ بل تراجعت حتّى تنكّرت للتاريخ وللحضارة العربيّة.

ورأى فشلاً ذريعًا للقيادات العربيّة لاعتمادها المطلق على الدّعم الأمريكيّ المتحيّز لإسرائيل ليحقّق للعرب أهدافهم في التغيير والتطوّر. وقد رأى إدوارد في هذا الضّعف العربيّ عاملاً أساسيًّا في استمرار الاحتلال الإسرائيليّ للأراضي العربيّة في جنوبي لبنان وفي فلسطين والجولان.

٥- عبّر إدوارد مرارًا عن اعتقاده بأنّ الحلّ للمسألة الفلسطينيّة يجب أنْ يكون عن طريق المفاوضات بين الفلسطينيّين أنفسهم والإسرائيليّين وجهًا لوجه؛ لأنّه لا يمكن لأحدهما أنْ يفرض البديل العسكريّ على الآخر. لذا، لا بدّ أنْ يتعايش الطّرفان، على الرّغم مما يكن كلّ طرف للآخر من الحقد والمرارة. وليتحقّق السلام يجب أنْ يعيش الفلسطينيّون والإسرائيليّون جنبًا إلى جنب في فلسطين، على شرط المساواة الكاملة في الحقوق؛ لأنّه حاليًّا أحدهما ظالم والآخر مظلوم ويعاني من الاحتلال. أثارت آراء إدوارد جدالاً اتّفق فيه البعض واختلف البعض الآخر. وتتجلّى في هذه الآراء إنسانية المفكّر واعتباره العميق لقيم المساواة والعدالة والعقلانيّة في التّعامل مع الصّعوبات والخلافات التي تجابهه أيًّا كانت.

ويظهر أيضًا من معالجة إدوارد للمسألة الفلسطينيّة واقتراح الحلول أنّه فقد ثقته بحياد السّياسة الأمريكيّة ونزاهتها في معالجة القضيّة الفلسطينيّة. ويظهر جليًّا أنّه رأى في السّياسة الأمريكيّة نحو فلسطين أو العراق أو سورية أو العالم العربي بأجمعه نوعًا من الاستعمار التّقليديّ والسّعي إلى السيطرة والتسلُّط.

ومما هيأ للسيطرة الخارجيّة هذه ضعف القيادات العربيّة وعدم كفاءتها في تحمُّل مسؤوليّاتها تجاه شعوبها، وفي التّعامل مع الأطماع الأمريكيّة المتحالفة مع التطرّف الإسرائيليّ والعنصرية الصهيونيّة والعاكسة لنزوعهما في السّيطرة على فلسطين واحتلالها.

٦- تتميّز كتابات إدوارد ومحاضراته ومحادثاته بالفكر الأصيل والبحث الجاد والتّوثيق الأمين؛ ما جعله علمًا من أعلام الفكر العالمي في العقود الأخيرة من القرن العشرين. لقد فتح آفاقًا جديدةً للبحث والاستقصاء في أكثر من ناحية وفي موضوعات تجاهلها المفكّرون الغربيّون كلّيّةً. فكتابات إدوارد تعكس قدرة نادرة في التّعبير الدّقيق وبأسلوبٍ رائعٍ وممتع مع جرأة ونزاهة قلّ أنْ نجد مثالاً لها في عالم الفكر الغربيّ. مثلاً، استغربت كثيرًا حينما تلقيت دعوة للحديث عن إدوارد سعيد وكتابه عن الاستشراق من صف الخريجين المتميّزين (Honor Students) في الجامعة التي أعمل فيها. وزاد سروري حينما سمعت آراء الطلاب في كتابات إدوارد؛ إذ كان معظمها معجبًا بأفكاره الرائدة وكتاباته المبدعة ومؤيدًا لها. ■

إدوارد سعيد: دفاع عن قضايا العرب والمسلمين ضد حملات التشويه والتزييف في الغرب

أ. عبد الله بن علي العليان*

منذ أربع سنوات فقدت القضايا العربية، والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص، أحد رجالاتها المنافحين عن قضاياها العادلة في الغرب، وهو الفقيد الراحل إدوارد سعيد، الذي دافع بشجاعة نادرة ضد الأهداف المغرضة والحملات المسعورة والظلم ضد العرب والمسلمين الموجهة من بعض الباحثين والأكاديميين الغربيين. فكان سداً منيعاً أمام الكثير من الآراء والتشويهات التي اختزلت العالم العربي والإسلامي في أحكام جاهزة مسبقة بعيدة عن الحقائق والأغراض العلمية النزيهة.

وأول هذه الجهود التي اضطلع بها هذا الأكاديمي الراحل كتابه الذائع الصيت **الاستشراق: المعرفة، السلطة، الإنشاء**، الذي أحدث ضجة كبيرة في الأوساط العلمية والأكاديمية باعتبار المؤلف أستاذا جامعيا بارزا في جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة، ومشهودا له بالنزاهة والدقة المنهجية في الحقل المعرفي الإنساني.

وقد كشف سعيد في هذا الكتاب المهم الأغراض الأيديولوجية والفكرية للاستشراق، مفندا الدعاوى التي أطلقها زيفا تجاه الشرق، والأحكام المسبقة والجاهزة لشعوبه. وأصبح الاستشراق بعد كتابه مجرد رؤية ضبابية سقطت عنها الصورة الهلالية. ولم يعد كما كان [البقرة المقدسة] -كما يقولون- إذ أسقط الكتاب أسطوريتها، وأزاح تلك الهالة الزائفة والنظرة العالية ووضعها في مكانها الطبيعي. ولما كان الوعي بالذات في الثقافة الأوروبية، كما عبر عن ذلك محمد عابد الجابري، فإن بناء " الأنا " الأوروبي سيظل ناقصًا ما لم تكمله عملية أخرى ضرورية هي عملية تفكيك "الآخر": سلبه أناه، وإقصاؤه وتحويله إلى مجرد موضوع. تلك المهمة التي قام بها ما عرف بـ"الاستشراق". لهذه الأسباب انطلقت الآراء بقوة لكشف هذا الزيف والافتراء.

يوضح إدوارد سعيد في هذا الكتاب أن الاستشراق أقام لنفسه سلطة الحق المطلق في طرح التصور الذي يراه وفق فهم الغرب عن الشرق عموما، والإسلام على وجه الخصوص. لقد استمد علم الاستشراق الحديث قواعده من العلوم والأفكار التي سيطرت على أوروبا من القرن الثامن عشر وحتى الآن. ولهذا كانت وظيفة الاستشراق الحديث أداتية تعيد إلى أوروبا مشاعر الإحساس بالتفوق، مقابل التفوق الفعلي الذي احتفظ به الإسلام لقرون طويلة. والقاعدة الأداتية التي تدفع الاستشراق المعاصر سياسية بالدرجة الأولى، ومبعثها الخوف الباطن من الإسلام الذي لم ينزع بعد من باطن الغربيين. وهذا الشعور ، كما يقول إدوارد سعيد، لا يبرح النفسية الغربية المغلقة بالأفكار المعروفة ذات

* كاتب وباحث من عُمان؛ عضو المنتدى.

النزعة المركزية تجاه الآخر، أو ما تسمى رسالة الرجل الأبيض الحضارية، التي تعطي له كل الحق في تبرير كل ما يفعله.

إذًا، الاستشراق خطاب أو إنشاء، لكنه خطاب لا يعكس حقائق أو وقائع، بل يصور تمثلات أو ألوانا من التمثيل، حيث تتخفى القوة والمؤسسة والمصلحة. وهذا ما عبر عنه إدوارد سعيد بأن "بنية الاستشراق ليست سوى بنية من الأكاذيب أو الأساطير التي ستذهب أدراج الرياح إذا ما انقشعت الحقيقة المتعلقة بها".

التاريخ والعرب

ومن أبرز مظاهر التمحور والتمركز حول ما يعتبره الغرب من التمايز والتفوق صفة لصيقة بالغربي فكريا وعقليا وعرفيا أيضا، حيث يتم انتقاء التواريخ والأحداث "المهمة"، كما يقول الباحث سالم يفوت، استنادا إلى المركزية الأوروبية. فقد جرت العادة على تبني التحقيبات التاريخية الشائعة والقائلة بان ثمة "عصرا قديما"، وآخر "وسيطا"، و"أزمنة" حديثة و"معاصرة". وانطلاقا من ذلك، يتم تحقيب التواريخ الأخرى تحقيبا مطابقا لا يحترم خصوصية هذه الأخيرة وزمانها الفعلي. وبهذه الكيفية يتم كبت التواريخ الأخرى، وتدمج في تاريخ واحد هو التاريخ كما يراه الغرب. فلا عجب إذا لاحظنا أحكاما متسرعة تزخر بها بعض المؤلفات التي تتحدث عن الفكر الغربي في "العصر الوسيط"، وعن الملامح العامة المميزة للفلسفة في "العصور الوسطى المسيحية والإسلامية"، إذ بذلك يتم إلغاء الاختلاف والتفاوت بين التواريخ كوسيلة لطمس "أفضلية" إحداها في وقت من الأوقات ليبقى التاريخ، كما صنعه الغرب، هو وحده الذي يحتكر تلك "الأفضلية"، وينفرد بها باعتباره تاريخا ساخنا يتجه نحو غاية معينة، و"التقدم" هو الموجه الأساسي في ذلك.

وقد تعرض إدوارد سعيد لحملة عنيفة من المستشرقين المعاصرين، مثل برنارد لويس وبيرسي كمب. لكنهم لم يستطيعوا أن يبرهنوا على خطأ اتهامه، الذي كان أشبه بقنبلة هزت الهالة والمكانة الكبيرة لمنهجية الاستشراق وأسسه ونشأته، والأصعب الاستشراق نفسه.

إن الحملة على الاستشراق جاءت من مسيحيين عرب، مثل فيليب حتّي وأنور عبد الملك وإدوارد سعيد. وهذه الحملة هي التي شكلت الضربة القاصمة لمنهج الاستشراق لأسباب كبيرة.

ومن الردود التي ناقشت هذا النقد ما كتبه برنارد لويس، المستشرق البريطاني الشهير؛ إذ قال: "والشيء الغريب هو أن معظم المهاجمين هم من أبناء الطوائف المسيحية للبلدان العربية، الذين يقيمون في أوروبا الغربية أو الولايات المتحدة [ويقصد إدوارد سعيد]. وأفضل مثال على ذلك تلك المقالة التي كتبها باحث اجتماعي قبطي مقيم في باريس يدعى أنور عبد الملك، التي اتخذت عنوان "الاستشراق مأزوما". ونجد الدكتور عبد الملك يطلق بعض الاتهامات التي سوف تصبح فيما بعد الحجج الكبرى المستخدمة لمحاكمة الاستشراق والمستشرقين. فهو يتهمهم بأنهم "عرقيون مركزيون أوروبيون". لكن لويس يخص إدوارد سعيد بهجوم أكبر لما حمله كتابه من كشف وتعرية للاستشراق برمته. إن الممثل الأكبر لمناهضي الاستشراق في الولايات المتحدة اليوم هو إدوارد سعيد وكتابه **الاستشراق**، وقد استقبل بترحاب

وبسيل من المراجعات والمقالات والتصريحات العامة. والأطروحة التي يدافع عنها [أي إدوارد سعيد] هي الآتية: ((أن الاستشراق ناتج عن علاقات الحميمية الخاصة التي عاشتها بريطانيا وفرنسا مع الشرق)). ولكي يبرهن على ما يقوله، فإن إدوارد سعيد يطلق بعض الأحكام التعسفية جدا. فشرقه محصور فقط بالشرق الأوسط، والشرق الأوسط لديه محصور بجزء من العالم العربي. يضاف إلى ذلك أن معرفة سعيد باللغة العربية والإسلام قد تكشفت عن نواقص مدهشة.

في مواجهة هنتنغتن

وأصدر إدوارد سعيد بعد ذلك كتابا آخر **تعقيبات على الاستشراق** رد فيه على بعض المستشرقين.

وعندما أصدر صموئيل هنتنغتن أطروحته المعروفة [صدام الحضارات] أواخر القرن الماضي، كان إدوارد سعيد أحد هؤلاء الذين تصدوا لمقولة الحدود الدموية بين الإسلام والغرب، وأن الخطر القادم على الحضارة الغربية سيكون من التحالف بين الحضارة الإسلامية والحضارة الكونفوشية –الصينية. وبعد فترة وجيزة ألقى محاضرة في لندن فنّد أطروحة هنتنغتن من الزاوية العلمية والمنهجية لمقولة الصدام بين الحضارات. ومما قال في هذا الصدد: إنه لا يعتقد أن هنتنغتن يريد أن يحلل، بل أن يعيد تدوير "الحرب الباردة" ومناخ المواجهة، ونظريته موجهة أساسا لأصحاب القرار السياسي والعسكري في الولايات المتحدة، حاملة وصفة تحريضية لضمان انتصار الغرب في مواجهة يجللها مبرر أيديولوجي. " إنه يقول ببساطة ماذا يجب على الغرب أن يفعله لكي يواصل انتصاراته". ثم يصل سعيد إلى محطة برنارد لويس وكتاباته الأخيرة عن الإسلام والإسلام السياسي، فيقول: "إن هنتنغتن مهتم بالوصفة أكثر من اهتمامه بالتاريخ"، بدليل أنه يتجاهل عمدا السبل البحثية العميقة لتفهم الحضارات وتعريفها وتحليلها، وينصرف إلى النقل عن مراجع وأسانيد اختارها بنفسه لتناسب لهجته التصعيدية ويستشهد بها، مثل برنارد لويس.

ويعود سعيد إلى تحليل ظاهرة الـ"نحن" والـ"هم" في الغرب، فيقول: إن هذه الظاهرة مست العالم، فتفاعل معها العالم أيضا عبر مدرستين: المدرسة الأولى هي المثالية الطوباوية القائمة على التعاون والحث على التعايش وتهميش الفوارق بين الشعوب، وكان من ثمارها المرئية بعد الحرب العالمية الثانية منظمة الأمم المتحدة وأجهزتها وشرعاتها وحقوقها المعلنة. والمدرسة الثانية هي مدرسة الخاصية الفئوية الأحادية الهوية المبنية على تعريف الـ"نحن" والـ"هم"، وكان من ثمارها الحرب الباردة، والظاهرة الريغانية في الولايات المتحدة التي تجلت أكثر ما تجلت في وصف رونالد ريغان الاتحاد السوفييتي السابق بـ"إمبراطورية الشر". ومنطق هذه الطريقة قائم أساسا على تفرّد الحضارات والثقافات، وضمنيا على تباعدها وتضادها.

إن هنتنغتن هو ابن المدرسة الثانية، مدرسة الخاصية التي يغلفها مبدأ القوة Power، ويظللها افتعال النزاعات.

وحين أصدرت الصحافية الأمريكية جوديث ميلر كتابها **اللّه له ٩٩ إسما** في ٦٠٠ صفحة، وتحدثت فيه عن الخطر الإسلامي بجملة من التحريفات والتشويهات للإسلام ونبي الإسلام ﷺ، تصدى إدوارد سعيد لهذه الكاتبة، وكتب مقالة كبيرة فنّد

فيها ادعاءاتها. ومما قاله: إن كتبا مثل تلك التي تؤلفها جوديث ميلر مهمة للسياسة الغربية، لأنها توفر سلاحا إضافيا للصراع من أجل قهر أية مقاومة مسلمة للهيمنة الأمريكية الإسرائيلية وإخضاعها. إضافة إلى ذلك، فإنّها تشكّل حملة معاداة للإسلام بتبريرها الضمني لسياسة تربط بعناد بين التشدد الإسلامي وذلك الجزء من العالم المهم استراتيجيا والمحتوي على النفط. وأضاف أن إضفاء صفة الشيطانية ونزع الإنسانية عن حضارة بأسرها لأنها "ناقمة على الحداثة" يعني أن ليس من تعامل مع المسلمين سوى بالعقوبة والتصحيح. كذلك فقد فشلت الصحافية ميلر في أنها لا تعرض المعلومات والتحليلات إلا ما يؤيد مقولتها عن الطبيعة المتشددة للعالم العربي.

وفي كتابه **تغطية الإسلام في وسائل الإعلام الغربية**، يذكر سعيد الأغراض غير العادلة في هذه التغطية، فيقول: إنها زاخرة بالمغالطات، ويجري مجراها أعمال الخبراء الأكاديميين المختصين بالإسلام الذين يتحدثون عن "هلال الأزمة"، والمفكرين الحضاريين الذين يستنكرون "أفول الغرب". وقد زودت هذه التغطية مستهلكي الأخبار بالشعور بأنهم باتوا يفهمون الإسلام، دون أن تشعرهم في الوقت نفسه بأن الجانب الأعظم من هذه التغطية الناشطة إنما يقوم على مادة هي أبعد ما تكون عن الموضوعية. ونجد في الكثير من الحالات أن الإسلام قد أباح شتى ضروب التعبير عن العصبية والعرقية الجامحة والكراهية الثقافية والعداء المستحكم، غير أنه عداء يفترض أن يكون تغطية عادلة متوازنة مسؤولة للإسلام.

وفي هذا الصدد يروي إدوارد سعيد قصة شخصية؛ فيقول: إنه حين أصدر كتابه هذا **تغطية الإسلام**، بادرت مؤسسة خاصة بعقد ندوة حول الكتاب حضرها صحفيون وباحثون ودبلوماسيون، وهم جميعا مهتمون مهنيا بالطريقة التي يجري بها تقديم العالم الإسلامي والكتابة عنه في الغرب بصفة عامة، وكُلِّفَ سعيد بالإجابة عن الأسئلة. وطُلب من صحافي يعمل الآن محررا للأخبار الأجنبية أن يدير النقاش. وقد فعل ذلك عن طريق تلخيص كلام سعيد بإيجاز وبصورة غير دقيقة عموما. ثم اختتم ملاحظاته بطرح سؤال على سعيد قصد به أن يطلق النقاش قائلا: بما أنك تقول إن الإسلام يساء تقديمه [وكلام سعيد في الكتاب هو أن "الإسلام" ليس شيئا يقدم بالتقارير أو لا يقدم، بل هو تجريد أيديولوجي]، فهل تستطيع أن تقول لنا كيف يجب علينا أن نكتب التقارير عن العالم الإسلامي حتى نستطيع أن نساعد على توضيح المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة هناك؟ وحين اعترض سعيد على السؤال قائلا: إن مهمة الصحافة هي إما كتابة تقارير عن الأخبار أو تحليلها، وليست أن تتحول إلى خادم تابع لمجلس الأمن القومي، فإن أحدا لم ينتبه إلى سذاجته البعيدة عن الموضوع كما تجلت في عين الجميع. وهكذا فإن المصالح الأمنية في الدولة كانت قد أدمجت بصمت في صلب التفسير الصحافي.

سيظل تاريخنا العربي المعاصر يستذكر مواقف إدوارد سعيد في تصديه للحملات غير المنصفة، والأحكام المسبقة غير العادلة ضد العرب والمسلمين، وكانت مواقف صلبة. وقد واجه الكثير من المتاعب والتشويهات ضده، على الرغم من مرضه المزمن؛ لكنه لم يتزحزح قيد أنملة عن هذه المواقف المبدئية والشجاعة، دفاعا عن مبادئه وانحيازه للحق والعدل وقضيته الأولى فلسطين ومدينته القدس. ■

المنتدى الاقتصاديّ العالميّ للشرق الأوسط *

شرم الشيخ؛ ٢٠ -٢٢ أيار/ مايو ٢٠٠٦

د. أحمد مختار الجمال**

معلومات عن نشأة المنتدى وأهدافه

- المنتدى منظمة دولية مستقلة غير حكومية، وحيادية، ولا تعمل من وحي مصالح سياسية أو حزبية أو إقليمية. أسسه كلاوس شواب عام ١٩٧١ كناد صغير لرجال الأعمال الأوروبيين باسم منتدى دافوس الاقتصادي. ثم تحول إلى المنتدى الاقتصادي العالمي وأصبح منظمة دولية، واكتسب تمثيلا في الأمم المتحدة، وامتدت مناقشاته من القضايا الاقتصادية إلى القضايا السياسية والفكرية والثقافية.
- مقر المنتدى ضاحية كولون من أعمال جنيف في أقصى جنوب غرب سويسرا.
- تعقد الاجتماعات السنوية بمنتجع دافوس بالقرب من جبال الألب السويسرية. لكنها عقدت استثنائيا في نيويورك عام ٢٠٠٢، تضامنا مع الشعب الأمريكي بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١.
- يحفل الاجتماع بلقاءات اقتصادية وسياسية جانبية على هامش الجلسات تُسهِّل عقد الصفقات والتمهيد لتفاهمات.
- عدد الأعضاء ١٠٠٠ عضو يمثلون كبرى الشركات الاقتصادية في المجتمع المدني، والمهتمين بالشأن الاقتصادي العالمي.

المنتدى الاقتصادي العالمي في شرم الشيخ

- اتخذ المنتدى هذا العام في شرم الشيخ شعار "وعد لجيل جديد".
- مثل المجلس المصري الأوروبي في المنتدى كل من د. إبراهيم كامل، رئيس المجلس، والسفير د. إيهاب سرور. كما شارك عدد كبير من أعضاء المجلس في المنتدى، ومنهم معالي الوزير أحمد أبو الغيط، ومعالي الوزيرة فايزة أبو النجا، ودولة الدكتور عاطف عبيد، ود. محمد ابوالعينين، ود. عبد الحميد موسى، وأ. فريد الطوبجي، ود. إسماعيل سراج الدين، ود. حمزة الخولي، ودة. منى مكرم عبيد، ود. إبراهيم المزلاوي، وأ. ياسر الملواني، وأة. فريدة خميس، وأة. دورا فيعاني، والمهندس إبراهيم المعلم، ود. عصام رفعت.
- حضر المنتدى ١٢٠٠ من رؤساء الدول والوزراء والشخصيات الدولية والقادة العالميين، وممثلي القطاعات الاقتصادية والسياسية، ورجال الأعمال، وممثلي المجتمع المدني، وقادة الفكر، و٦٠٠ إعلامي وفدوا من ٦٦ دولة، منها ٤٦ خارج المنطقة العربية وإفريقيا. وعقد المنتدى في شرم الشيخ بالذات، ما يعود بالفائدة على مصر وعلى جميع دول المنطقة، حيث يوفر فرصا من أجل تبادل الخبرات والتعلم من الدول الأخرى لمواجهة التحديات المحلية والإقليمية، في جو آمن لا يأبه بالمحاولات الصبيانية لزعزعة الاستقرار.

* زود المجلة بهذا التقرير السفير د. **إيهاب سرور**، نائب رئيس المجلس المصري الأوروبي، عضو مجلس أمناء المنتدى ولجنة الإدارة فيه.

** سفير؛ مستشار المجلس المصري الأوروبي.

جدول أعمال المنتدى

اليوم الأول: السبت ٢٠ أيار/ مايو

كلمة افتتاحية للرئيس مبارك، وأخرى لكلاوس شواب، مؤسس المنتدى ورئيسه التنفيذي؛ وجلسة عامة افتتاحية تحدث فيها السيد شفيق جبر وآخرون؛ وجلسة حول التحديات الرئيسية التي يواجهها الشرق الأوسط، والتعرف على مصادر الإبداعات العربية في المستقبل، وتشجيع الإبداعات التكنولوجية من أجل التنمية الاقتصادية، تحدث فيها د. طارق كامل وآخرون.

جلسات حول فرص السياحة، تحدث فيها د. محمود محي الدين والسيد سامح ساو يرس وآخرون؛ ومكافحة الإيدز، تحدث في الجلسة السيد عمرو موسى وآخرون؛ والقوى التي تقود التغيير السياسي والتنمية الاقتصادية، تحدث فيها السيد جمال مبارك وآخرون؛ والتأمين – ارتفاع أسعار البترول وأثره على جهود الإصلاح، تحدث فيها الجلسة د. يوسف بطرس غالي وآخرون؛ والإدارة – الأسواق المالية، تحدث السيد حسن هيكل وآخرون؛ وأحوال الجيل الجديد؛ والثقافة.

جلسات حول أسواق المال – المرأة والمساواة أمام القانون، تحدثت السيدة أنيسة حسونة وآخرون؛ والتعليم والمواطنة وثقافة السلام، تحدث فيها د. إسماعيل سراج الدين؛ ومباحثات عربية.

اليوم الثاني: الأحد ٢١ أيار/ مايو

جلسات حول الديمقراطية العربية، تحدث د. عبد المنعم سعيد وآخرون؛ والمتاجرة في البشر، تحدثت السيدة سوزان مبارك وآخرون؛ والتجارة من أجل التكامل العالمي؛ وندرة المياه وأثرها على النمو الإقتصادى في المنطقة، تحدث د. محمود أبو زيد والسيد كريم مدوار وآخرون؛ والشباب وإتاحة مناصب قيادية لهم، تحدث السيد مصطفى الجندي وآخرون؛ والسياحة، تحدث د. زهير جرانة وآخرون؛ وتقديم جائزة مؤسسة شواب للرواد أصحاب الأعمال الاجتماعيين، تحدث د. أحمد نظيف والسيدة عبلة البدري والسيدة ليلى اسكندر، الفائزة بالجائزة؛ ودعم الحوار وتقوية التعاون، تحدث د. أحمد نظيف وآخرون؛ والنهضة العربية، تحدث السيد شفيق جبر.

جلسات حول الاقتصاد الفلسطيني والتركي والأمريكي.

جلسات حول العلاقات الفلسطينية؛ وأسواق المال؛ والحكم العالمي؛ والمخاطر العالمية؛ وإسرائيل؛ وإصلاح العمالة؛ والشباب والسلام؛ والدور الأمريكي بالنسبة للحرية والتنمية في الشرق الأوسط؛ والقيادة المسؤولة للجيل القادم، تحدث السيد أحمد أبو الغيط وآخرون؛ وتحديات في تطوير الأسواق الرأسمالية، تحدث د. يوسف بطرس غالي والسيد حسن عبد الله وآخرون؛ ودور المنظمات الدولية في المنطقة، تحدث السيد عمرو موسى وآخرون؛ ودور الأديان في نشر الوئام والتسامح في العالم المعاصر، تحدث ماركوس ثيودوسيس من كنيسة الإسكندرية الأرثوذكسية وآخرون؛ ورؤية لما يحدث في إسرائيل، تحدث د. بهي الدين الإبراشي وآخرون؛ والشباب ودورهم في السلام، تحدثت السيدة سوزان مبارك وآخرون؛ والحرية والتنمية في الشرق الأوسط ودور الولايات المتحدة، تحدث السيد عمرو موسى وآخرون.

اليوم الثالث: الإثنين ٢٢ أيار/ مايو

جلسات حول البحث عن الاستقرار؛ والشركات العائلية والجيل الجديد، تحدث السيد تامر نصار وآخرون؛ والدور العالمي للعالم العربي في الحد من الفقر والتنمية الاقتصادية وحسم الصراعات؛ وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات وكيف يستخدمها الشباب والقطاع الخاص، وعلاقة ذلك بالاتجاهات الجديدة للتغيير السياسي والإجتماعى في المنطقة، تحدث د. طارق كامل والسيد عقل حامد بشير والسيد ياسر القاضي وآخرون.

جلسات حول التنافسية؛ والاستقرار؛ والشباب؛ ووسائل الإعلام؛ وبنية النقل الإقليمي، تحدث المهندس محمد منصور وآخرون؛ والتعليم والتركيز على المهارات والخطوات المطلوبة لضمان حسن أداء الجامعات الخاصة

ومعاهد التدريب، تحدث د. هاني هلال وآخرون؛ وسيكولوجية القيادة، تحدث السيد ياسر الملواني وآخرون؛ والأعمال التجارية الاجتماعية وما تقدمه من حلول لمشكلات التنمية، وكيف تحقق أرباحا وتحسن من حياة العاملين والمستهلكين، تحدث فيها الأستاذ حلمي أبو العيش والسيدة هدى ساويرس وآخرون؛ والإصلاحات الاقتصادية في مصر وكيف تؤثر في الأعمال التجارية والمناخ الإقتصادي وفرص الاستثمار الواعدة، ألقى الكلمة الرئيسية د. أحمد نظيف.

اختتام أعمال المنتدى: جلسات عمل؛ ومناقشات؛ وملاحظات ختامية، ألقاها كلاوس شواب.

ملخص كلمة الرئيس مبارك

افتتح المنتدى الرئيس حسنى مبارك بكلمة قال فيها إن مصر تمد يدها للجميع من أجل عالم أكثر سلاما واستقرارا وعدلا، تقترن فيه الدعوة لنشر الديمقراطية داخل الدول بدعوة مماثلة لديمقراطية التعامل الدولي داخل المنظمات الديمقراطية؛ عالم يرسي دعائم نظام اقتصادي دولي جديد يراعى مصالح الجميع، ويسعى لسد الفجوة بين الشمال والجنوب، ويعزز حرية التجارة والاستثمار ونقل التكنولوجيا؛ عالم يتصدى للقضاء على الفقر والجريمة المنظمة وغسل الأموال والمخدرات والاتجار بالبشر؛ عالم يتعامل مع أسلحة الدمار الشامل، وفى مقدمتها السلاح النووي، دون تسييس أو ازدواج المعايير. وأمام المنطقة طريق طويل لتطوير مجتمعاتها وتحديثها، وتحقيق التنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعية بمواصلة الإصلاح النابع من داخل المنطقة، على أن يكون إصلاحا يتم باحترام الدستور والقانون، ويتبنى نهجا حكيما متدرجا، ويحاذر من طفرات متصارعة تؤدى إلى الفوضى. ولن تكتمل نتائج هذا الإصلاح دون مواجهة بؤر التوتر في المنطقة ما بين توقف عملية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين، والوضع في العراق، والجدل الدائر حول برنامج إيران النووي، والوضع في دارفور، والاحتقان بين سوريا ولبنان.

أهم الأفكار التي تم تداولها

- ناقش المنتدى ٩٠ موضوعا تجاريا واقتصاديا، ليس الهدف منها الخروج بتوصيات أو قرارات، لكن بلورة الأفكار والتعرف على فرص الاستثمار. وكانت فرصة ذهبية لمصر لتعريف العالم بما يجري على أرض مصر من إمكانات مناخ الاستثمار، والاقتصاد المفتوح، والسوق المصرية الواعدة وأقل تكلفة في إنتاج المنطقة من الأيدي العاملة والأراضي لإقامة المشروعات. ولكن أكبر تحد تواجهه مصر هو التنافسية في جودة السلعة مع العالم، وهو الفكر الغائب حتى الآن في ذهن العامل المصري.
- إن الاتجار بالبشر نوع معاصر من العبودية، وأصبح نشاطا تجاريا عالميا، حيث يتم الاتجار بمليون وخمسمائة ألف سنويا، وتقدر الأرباح بـ ٣٢ بليون دولار. ودعت السيدة مبارك المشاركين إلى الإسهام في الحملة ضد هذه الممارسة. ودعا بعض المشاركين إلى تغيير المفاهيم بعدم معاملة الضحايا كمجرمين، وضرورة تكثيف حملات التوعية ومكافحة الفساد بين المسؤولين، وتطبيق العقوبات الرادعة على المتاجرين الذين قد يأخذون شكل الجيران أو الأصدقاء، وحتى الآباء الذين يجبرون أطفالهم على العمل غير المناسب.
- نوقشت الديمقراطية على أساس أنها تزدهر في نظام سياسي حيث الجميع يتنافسون على السلطة على جميع المستويات، واحترام الحقوق المدنية والإنسانية. وعن الديمقراطية في الشرق الأوسط، قيل إنها تتقدم بإتاحة الفرصة للمجتمع المدني ليلعب دورا مهمًا. وركز البعض على أن حل الصراع العربي الإسرائيلي والموقف الفلسطيني مهم جدا لإحراز مزيد من الديمقراطية في العالم العربي في الاتجاه الصحيح. كما أكد البعض أن الديمقراطية لا تفرض، لكن يجب أن تنبع من الداخل.
- لابد من تقوية الشباب ليقوموا بالتغيير في المجتمع

والاقتصاد. ويجب على الشركات والحكومات أن تعمل معا لتهيئة مناخ مناسب لأصحاب الأعمال. وإصلاح التعليم أمر حيوي على جميع المستويات بحيث يزود الشباب بالمهارات التي تحتاجها الأعمال التجارية في الشرق الأوسط، كما أن الإبداعات التكنولوجية يجب أن تعكس الثقافة ويقوم بها الشباب.

– طلب البعض تصور النجاح الذي سيكون عليه الشرق الأوسط عام ٢٠٢٠، وما يجب أن يفعله القطاع الخاص والشباب لتحقيق ذلك. وقدم البعض حلولا منها تكاتف الشركات مع الحكومات لتنظيم معسكرات صيفية للأطفال في بيئة صحية ومراكز بحثية ومسابقات في الفنون والعلوم، وإتاحة فرصة لشباب العالم للتعاون وتبادل الأفكار.

– إن الإنضاج في اقتصاد العالم هو التحدي الذي يواجه كل دولة في الشرق الأوسط. ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بأن تكون قويا في الجانب التجاري. والغرض هو زيادة الإنتاجية والتنافسية، وضرورة بناء القدرات. لكن التجارة ليست هدفا في حد ذاته، بل وسيلة لتحقيق منافع معينة وأهمها خلق فرص عمل وتحقيق النمو مع العدالة الاجتماعية.

ملاحظات على مسار المنتدى بشرم الشيخ

– تكون المنتدى في الأصل كمنتدى اقتصادي يعنى بالقضايا والأمور الاقتصادية العالمية أساسا، وإزالة العوائق أمام رؤوس الأموال وأنشطة رجال الأعمال في العالم. لكن في شرم الشيخ كانت السياسة أكثر من الاقتصاد في مناقشات المنتدى وحواراته وأعماله. وكان نجوم المنتدى من السياسيين، مثل رؤساء وزراء مصر ولبنان وماليزيا وتركيا، وأمين عام الجامعة العربية، ووزيري خارجية مصر وإسرائيل، والمسؤول عن ملف المفاوضات الفلسطينية مع إسرائيل، ونائب وزيرة الخارجية الأمريكية. ومن اللقاءات السياسية المهمة كان اللقاء بين الرئيس الفلسطيني ونائب رئيس وزراء إسرائيل ووزيرة خارجيتها بعد انقطاع لمدة عام. وكذلك اللقاء بين الرئيس مبارك مع مجموعة من أعضاء الكونجرس الأمريكي.

– بالرغم من أن الأنشطة السياسية التي تمت على هامش المنتدى اجتذبت الاهتمام أكثر من الأنشطة الاقتصادية، إلا أنه عقدت لقاءات مهمة، مثل اجتماع وزراء مالية دول الثمان ومجموعة دول الشرق المتوسط وشمال إفريقيا الذي دعا إليه وزير المالية المصري، واجتماع وزراء التجارة العرب الذي دعا إليه المنسق العام وزير التجارة والصناعة المصري.

– كان المنتدى فرصة للترويج للمواقف المكررة. لكنه كان أيضا فرصة لطرح أفكار ورؤى جديدة وتبادلها، ومناقشة قضايا كثيرة. فقد طالب رئيس وزراء ماليزيا بألا يقتصر الحوار على الخارج فقط، بل يتعين أن يبدأ أولا بالداخل بحيث لا يتم تهميش أي مجموعة أو فئة. وقال رئيس وزراء مصر: إن من يطلبون الحوار يستمعون لأنفسهم فقط، لا لمن يتحاورون معهم، بينما الحوار يقتضي أن نستمع لبعضنا البعض. وأكد رئيس وزراء تركيا أن الاضطراب الاجتماعي يقضي على الرفاهية، ويعطل خطط التنمية والتخلص من المشكلات الاقتصادية، وأن تركيا لديها برنامج نووي سلمي في الصناعة قد يثار حوله قلق، لكن يجب أن يتبدد هذا القلق، كما يجب حل مشكلة الملف النووي الإيراني بالحوار.

– أطلقت السيدة سوزان مبارك في المنتدى مبادرة التعليم المصرية كجزء من المبادرة العالمية للتعليم التي انطلقت من المنتدى في العام الماضي. علق كلاوس شوب بقوله: إنها لحظة عظيمة أن أقف اليوم معكم لإطلاق المبادرة المصرية كجزء من المبادرات العالمية التي أصبحت حتمية في ظل التحديات العالمية التي تفرضها تكنولوجيا المعلومات الحديثة.

– دعا وزير التعليم العالي المصري إلى ضرورة تشجيع الاستثمار في التعليم من جانب منظمات المجتمع المدني، مشيرا إلى أن الوزارة تلقت عددا من رغبات منظمات

مدنية ومستثمرين لإنشاء جامعات أهلية جديدة في مصر. وصرح الدكتور إبراهيم أبو العيش، رئيس مجلس أمناء جامعة سيكم الأهلية، بأنها أول جامعة أهلية في مصر تحصل على موافقة الحكومة التي أقرت المشروع الذي تصل استثماراته إلى ٣٠٠ مليون جنيه، وسيبدأ العمل به في الخريف القادم.

- عرضت الحكومة المصرية من خلال المنتدى مشروعات استثمارية في شمال خليج السويس وغربه، وتنمية الساحل الشمالي، ومنطقة شرق بورسعيد الصناعية على المستثمرين العرب والأجانب المشاركين في المنتدى.
- أعجب الجميع بمركز المؤتمرات الدولية بشرم الشيخ الذي امتاز بالذوق الجميل والفخامة وأحدث التجهيزات.
- يعقد المنتدى الاقتصادي العالمي للشرق الأوسط في البحر الميت ثم في قطر.
- يعقد المنتدى الاقتصادي العالمي لإفريقيا في كيب تاون في ٣١ أيار/ مايو- ٢ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦.
- يعقد المنتدى الاقتصادي العالمي لشرق آسيا في طوكيو في ١٥- ١٦ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦.
- يعقد المنتدى الاقتصادي العالمي في استانبول في ٢٣- ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٦.

انتقادات للمنتدى

- إن غلبة الطابع السياسي على أعمال المؤتمر تحول الأنظار عن التركيز على القضايا الاقتصادية، خاصة في مجال الاستثمار والخلل الاقتصادي بين الشمال والجنوب، وضرورة تدعيم المبادرات الخاصة في مجال التجارة العادلة، والتي تتمثل في ضرورة شراء منتجات العالم الثالث بأسعار تسمح للمنتجين بالعيش الكريم ومواصلة الإنتاج، وخصوصًا في الدول الفقيرة.
- أصبح المنتدى مثيرا للجدل بين المفكرين. وهناك جمعيات ومجموعات تناهض العولمة والسياسات التي يروجها المنتدى، والتي ترى أنها تهدف إلى سيطرة الشركات المتعددة الجنسيات والبنوك على مقدرات الشعوب على حساب المهمشين، والترويج لمشروع الشرق الأوسط الكبير لإدماج الاقتصاد الإسرائيلي في الأسواق العربية.
- وصف السيد عمرو موسى المنتدى بأنه مجرد لقاء للساسة ورجال الأعمال والشخصيات المؤثرة في العالم لا يمكن أن يبني اقتصادا أو يحل مشكلات المنطقة. لكنه أردف قائلا: لو استطاع أبو مازن أن يكسب الشخصيات الدولية المشاركة في المنتدى إلى صفه، لربما تمكن من حل المشكلة وفك الحصار عن الشعب الفلسطيني.
- يرى بعض المستثمرين والخبراء أن دور المنتدى في رسم أجندة اقتصادية وسياسية للمنطقة هامشي ومبالغ فيه، وأنه لا يمثل سوى منظمة مدنية لتبادل الحوار والرأي، وهو ليس مكانا لرسم سياسات أو أجندة عمل، وأنه لا يتعدى جلسات "حوارية" يتم فيها تبادل الأفكار والمقترحات. إن مصر محتاجة لأجندة محلية عملية تترجم الطموحات والتوجهات إلى أرقام كبيرة يتم استثمارها.
- ومع كل هذا، فلا شك أن المنتدى حقق بالضبط الغرض من إقامته، وهو التقاء عدد كبير من أهم صانعي القرارات وواضعي السياسات للتداول، سواء على المستوى الحكومي أو القطاع الخاص أو المجتمع المدني. أما النتائج التي يمكن أن تتحقق، فلن تظهر الآن. لكن المهم أن الالتقاء حدث، وشرح كل واحد وجهة نظره، وعرض رؤياه في ظروف مواتية تسمح بالإصغاء للرأي الآخر والتعاطف معه، وربما وضعه بالحسبان في المستقبل. هذا إلى جانب أهمية اللقاءات التي تمت على هامش المنتدى، وكان لها طابع سياسي أو اجتماعي أوثقافي، إلى جانب الطابع الاقتصادي والتجاري. ■

ندوة
"مستقبل الدّيمقراطيّة في الوطن العربيّ: رؤية أُردنيّة"

أ. كايد هاشم*

بدعوة من **مركز الدّراسات المستقبليّة في جامعة فيلادلفيا ومركز الرأي للدّراسات في المؤسّسة الصحفيّة الأردنيّة**، عُقدت صباح يوم السبت ٢٠٠٦/٧/٢٢ ندوة في قاعة الاجتماعات بمركز الرأي للدّراسات تحت عنوان **"مستقبل الدّيمقراطيّة في الوطن العربيّ: رؤية أردنيّة"**، شارك فيها مجموعة من الباحثين والأكاديميين والمفكّرين السّياسيين والكُتّاب في الأردن، بينهم عدد من أعضاء منتدى الفكر العربيّ.

وأشار **د. إبراهيم بدران**، مساعد رئيس جامعة فيلادلفيا، الذي ألقى الكلمة الافتتاحيّة للنّدوة وأدار جلساتها بالنّيابة عن رئيس الجامعة **د. مروان كمال**، إلى أنّ هدف هذه النّدوة هو إلقاء الضوء على مستقبل الدّيمقراطيّة في الوطن العربيّ كما تراه النّخبة المفكّرة في الأردنّ، لا سيما بعد أن باتت التنمية التي تصنعها الدّيمقراطيّة تواجه تحدّيات داخليّة وإقليميّة ودوليّة معقّدة، بما في ذلك تحدّيات الفساد والإرهاب.

كما تحدّث في افتتاح النّدوة معالي **د. صبري ربيحات**، وزير التّنمية السّياسيّة في الأردنّ، الذي بيّن أنّ مفهوم الدّيمقراطيّة في الوطن العربيّ ما زال يعتريه الضّباب، وتساءل: هل هذه الدّيمقراطيّة هي ديمقراطيّة في الشّكل أم في المضمون والمبادىء والقيم؟ ذلك أنّ هناك نظماً مختلفة داخل ما يسمّى النّظام العربيّ، وتحدّيات قائمة تفرض المواءمة بين المنظومة الدّيمقراطيّة وواقعنا العربيّ ثقافيًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا وعقائديًّا. كما دعا د. ربيحات إلى رصد المتغيّرات والتعريفات المتعلّقة بالدّيمقراطيّة ومعالجتها بهدف وضع الرؤى والتّصوّرات التي تكفل تجاوز التّحدّيات والدّفع بتيارات التنمية إلى الأمام، وحتّى لا يبقى الحوار دائراً حول شبح الدّيمقراطيّة.

وفي المحور الأول للنّدوة **(إدارة الدّولة)** الذي تركز على الجانب العمليّ للدّيمقراطيّة، قدم **أ. مازن السّاكت**، رئيس ديوان الخدمة المدنيّة/ الأردنّ، ورقة عمل أوضح فيها أنّه، على الرغم من "عدم وجود خلاف على

• مساعد مدير الدّراسات والبرامج في المنتدى.

تعريف الدّيمقراطيّة ونظامها كأحد إفرازات تطوّر الإنسان ورقي الشّعوب في عمليّة تنظيم علاقات مجتمعاتها ودولها وحقوق الإنسان فيها وتحقيق العدالة والحرّيّة، فإنّ هذا النّظام في الدّولة الحديثة، الذي جاء بشكله المعروف نتيجة لتطوّرات اجتماعيّة ثقافيّة شاملة وعميقة في المجتمعات الرأسماليّة المتقدّمة، يصطدم في الدّول النّامية بتراث تاريخيّ من العلاقات والثّقافات لم يتمكّن الواقع الاقتصاديّ والاجتماعيّ والثّقافي ودرجة تطوّره من تجاوزها، وهي بالتّالي تحكم عمليّة تبنّي الدّيمقراطيّة، وتعكس نفسها على طبيعة الخيارات التشريعيّة والمؤسّسيّة، وعلى مراحل التقدّم في اتجاه بناء نظامها ودولتها ومجتمعها والأهداف الواقعيّة لها".

وفي رصده لملامح قضايا تبنّي الخيار الدّيمقراطيّ في الوطن العربيّ، أشار أ. السّاكت إلى أنّ هذا التبنّي أعاد طرح مفهوم الدّولة وتعريفها، وأعاد أيضًا مهمّة تصحيح ما شابَ هذا المفهوم خلال تجربة العقود الماضية من تشويه وخلط لمصلحة النّظام الشموليّ والأنظمة العرفيّة، التي دأبت على إطلاق تعريف الدّولة على السلطة؛ بل إنّها كانت تقصر ذلك على السّلطة التنفيذيّة. وكانت القضيّة الثّانية التي لا بدّ أنْ يتعامل معها تبنّي الخيار الدّيمقراطيّ هي تلك المتمثّلة في الفصل بين السُلطات، الذي هو أحد قواعد النّظام السّياسيّ الدّيمقراطيّ والأنظمة الدّستوريّة النيابيّة.

واستعرض أ. السّاكت تطوّرات تبنّي الخيار الدّيمقراطيّ على السّاحة الأردنيّة والعربيّة منذ ثمانينيّات القرن الفائت، وإشكاليّات الممارسة الديمقراطيّة على صعد إداريّة مختلفة. وأكد أنّ تحوّلات إدارة الدّولة في ظلّ تبنّي الخيار الدّيمقراطي تطرح إعادة النّظر في دور الدّولة وحجم هذا الدّور وحدوده، والتخلّي عن بعض الأدوار التقليديّة والتشاركيّة للقطاع الخاص والمجتمع المدنيّ، وأنّ ذلك لا بدّ أن يتوافق مع مأسسة الممارسة الدّيمقراطيّة وتعميق تجربتها لضمان المشاركة الشعبيّة، وعدالة الفرص، وسيادة القانون، وعدالة الاستفادة من نتائج التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة.

واختتم أ. السّاكت ورقته بتأكيد ضرورة الأمن، بمفهومه الوطنيّ الديمقراطيّ الشّامل اقتصاديًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا، كضرورة وقاعدة لممارسة الحرّيّة وسيادة القانون وتطوّر عمليّة التنمية والتّقدّم الدّيمقراطيّ. وقال في هذا الصّدد: "لا يجوز أن يبقى مفهوم الأمن التقليديّ القمعيّ الموجّه ضدّ حقوق الرّأي والتنظيم والمشاركة الدّستوريّة، ولا مكان للتخوين والانقلابيّة والتّكفير والعنف".

وفي **المحور الفكريّ** للنّدوة قدّم **د. هشام غَصِيب**، رئيس جامعة الأميرة سميّة للتكنولوجيا، ورقة بعنوان "**أُطروحات حول الدّيمقراطيّة ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً**" عبّرت عن مجمل رؤيته للدّيمقراطيّة التي كوّنها خلال السّنوات السبع عشرة الأخيرة، والتي أبان فيها أنّ "الدّيمقراطيّة ظاهرة تاريخيّة معقّدة ومتعدّدة

الأشكال والمعاني والآليّات والجذور، الأمر الذي يصعب معه فهمها وتحديدها ومعرفة بُناها وقوانينها، كما يجعلها عرضةً للسطو الأيديولوجيّ وإساءة الاستعمال المعنويّ".

وقال د. غَصِيب في هذا السياق: إنّ الإعلام الأمريكيّ الرئيسيّ حوّل لفظة الدّيمقراطيّة إلى لغم أيديولوجيّ يُزرع في الوعي الجمعيّ من أجل تفجيره من الدّاخل وشلّ الفعل المرتكز إليه. وأعطى مثالاً على ذلك التمهيد الذي قام به الإعلام الأمريكيّ لغزو يوغسلافيا والعراق؛ إذ أفلح في شلّ الشّارع وعزل المعتدى عليهم من خلال اشتقاق أنموذج للدّيمقراطيّة مبسّط ومجرّد إلى حدّ الابتذال، ثم يُلصق به صفة الخير المطلق الخالي كليًّا من التناقضات، ويُرفد ذلك بإلصاق صفة الشرّ المطلق بغيره من النّظم المثاليّة والواقعيّة من أجل تصفيتها نظريًّا، تمهيدًا لتصفيتها عمليًّا.

ورأى د. غَصِيب في ورقته أنّ خير وسيلة لمجابهة العدوان والتّزوير الإعلاميين الكاسحين في عالم اليوم هي التّدقيق العلميّ في المصطلحات، والكشف عن معانيها الواقعية، وفتح الحوار النّقديّ حولها. وحذّر من عمليّة "تصنيم" (من صَنَم) بعض الأفكار والنّماذج التي يلجأ إليها الإعلام العالميّ المسيطر، مثل "الدّيمقراطيّة الليبراليّة" و"المحرقة اليهوديّة"، التي تُحاط بهالات من التّقديس تمنع نفاذ الفكر النّقديّ إليها.

وفي هذا السياق دعا د. غَصِيب إلى ضرورة التمييز بين النّظم الدّيمقراطيّة التي ظهرت عبر التاريخ، وعدم الخلط بينها أو التقليل من الفروقات بينها. واستعرض هنا نماذج وسِمات من بعض تلك النّظم، مثل: الدّيمقراطيّة الأثينيّة، وديمقراطيّة روما، والدّيمقراطيّة الليبراليّة، وديمقراطيّة كومونة باريس وسوفييت بتروغراد (لينينغراد لاحقًا). وأكد أنّ لكلٍّ من هذه الأصناف تناقضاتها وأرضيّتها ومضمونها الاجتماعيّ ووظائفها المحدّدة ومسوغاتها، ومن الخطأ الظنّ أنّ الصنف اللاحق هو شكل مطوّر في جميع جوانبه للشكل السابق.

وانتقد د. غَصِيب، في معرض مقارنته بين النّظم الدّيمقراطيّة وتحليل نشأتها، النّموذج الذي يروّج له الغرب عبر الدّيمقراطيّة الليبراليّة. وبيّن أنّ هذا النّوع من الدّيمقراطيّة يظلّ تعبيرًا عن الرأسماليّة الغربيّة بأكثر من معنى. فالليبراليّة تفترض حرّيّة السّوق وفصل الدّولة عن المجتمع المدنيّ، ومن ثم حكم البرجوازيّة لا حكم المنتجين. وبذلك فهي ليست ديمقراطيّة بالمعنى الأثينيّ، وإنْ كانت تتضمّن بعض عناصرها. إنّها دكتاتوريّة البرجوازيّة في أرقى صورها. كما بيّن في معرض تحليله هذا أنّ من مظاهر التناقض التناحريّ في جوهر الدّيمقراطيّة الليبراليّة هو انسجامها مع الامبرياليّة والاحتلال والعدوان والإبادة الجماعيّة والاستغلال الرأسماليّ، وإفرازها حكّامًا لاديمقراطيين؛ بل معادين للديمقراطيّة، من أمثال هتلر والنازيين، وبوش والمحافظين الجُدد المتصهينين، وسفاحين كشارون وأولمرت.

وتناول د. **خلدون النّاصر**، الأمين العام لحزب العهد الأردنيّ، في ورقته صلة الثقافة بالدّيمقراطيّة من حيث أنّ النّظم السياسيّة المعاصرة الخاصّة ببلدان الجنوب والمبتلاة بالتخلُّف والتراجع على شتّى الصُعد لا تعاني في الحقيقة من أزمة سياسيّة بقدر ما تعاني من أزمة ثقافيّة. فالسياسة، أو بالأحرى الدّيمقراطيّة، لا تعني انتخابات وترشيحات وصناديق اقتراع، أو مجالس برلمانيّة أو بلديّة، أو إجراء اقتراعات علنيّة أو سريّة، أو إشراك النّساء، أو تفعيل دور الشّباب، إنّما تعني الدّيمقراطيّة أوّلاً وأخيراً ثقافة من دونها لا تتحقّق ديمقراطيّة، وهي "ثقافة المشاركة" Participation culture. وتبدأ هذه الثقافة من ولادة الإنسان وتصاحبه حتّى لحده. وهي ثقافة لا تخلق عن طريق الإعلانات والضغوط، إنّما عن طريق التنشئة الاجتماعيّة السياسيّة ووجود الإرادة السّياسيّة الحقيقيّة لتصبح العمليّة الدّيمقراطيّة طبيعيّة غير مصطنعة.

وتطرّق د. النّاصر في مناقشته لوسائل تقييم الدّيمقراطيّة إلى اعتماد المعايير المتّفق عليها في الإعداد لمؤتمر الدّيمقراطيّات الجديدة الذي سيُعقد في الدوحة (٣١/١٠-١/١١/٢٠٠٦)، وتشارك فيه، من بين (٦٦) دولة في العالم تحوّلت إلى الدّيمقراطيّة، ست دول عربيّة بصفة مراقب هي: الجزائر والبحرين ومصر والأردن والمغرب واليمن، مع إمكانيّة انضمام الكويت بعد السماح للمرأة في المشاركة بالانتخابات، ولبنان بعد الانسحاب السوري من أراضيها، واستُبعدت تونس جراء التّضييق على الحريّات. أما أهم تلك المعايير، فهي: الانتخابات الحرّة العادلة النّزيهة والدّوريّة استناداً إلى التعدّديّة والاقتراع السرّيّ؛ وحرّيّة الأحزاب في التنافس الانتخابيّ؛ وضمان المشاركة في الحكم مباشرةً أو من خلال النواب المُنْتَخَبين؛ ثم حكم القانون، بمعنى التزام الحكومة باحترام الدّستور وإحكام القانون وتداول السُلطة وضمان المساواة أمام القانون وحماية حقوق الجميع؛ والفصل بين السُلطات الثلاث واستقلال القضاء من التدخّلات؛ وخضوع العسكريين للحكم المدنيّ الدّيمقراطيّ المُنْتَخَب؛ واحترام حقوق الإنسان والحريّات الأساسيّة والكرامة الإنسانيّة المتأصّلة؛ وحماية الدّولة لهذه الحقوق من دون أي تمييز؛ والالتزام بالقانون والمعايير الدوليّة للمبادىء والقيم الدّيمقراطيّة؛ واحترام المعايير الدّوليّة المتعلّقة بالعمل.

وحدّدت ورقة أ. **حسني عايش** معالم الدّيمقراطيّة الأصيلة Genuine التي يجب تبنّيها بمجموعة من النّقاط أبرزها: الشعب هو مصدر السُلطات والمصدر النّهائيّ للتشريع والقوانين بالفعل لا بالشّكل أو النّصّ فقط؛ والفصل بين السُلطات والرّقابة المتبادلة بينها؛ وتداول السُلطة في مرحلتي الذّهاب إليها والإياب منها إليها، أي احترام حقّ النّاس في اختيار من يحكمهم وخضوع المُنْتَخَبين للمساءلة، وتلازم السلطة والمسؤوليّة؛ والتعدّديّة بأوسع معانيها وأشكالها (الأحزاب ومؤسّسات المجتمع المدنيّ والصّحف ووسائل الإعلام) وبحرّيّة تعبير سقفها السماء والحَكَم فيها هو القضاء، أي بفكّ الارتباط المشبوه بين الحرّيّة والمسؤوليّة

(الحرّيّة المسؤولة)؛ وقاعدة الأكثريّة الملتزمة باحترام الحقوق الإنسانيّة للأقليّات؛ وتكافؤ الفرص الدّيمقراطيّة؛ وتكافؤ التمثيل بين مختلف شرائح المجتمع والرجل والمرأة؛وأنْ تكون المعارضة السياسيّة مخلصة للوطن.

وفي تحليله لمعاناة الدّيمقراطيّة المرغوب فيها في الوطن العربيّ، أشار أ. عايش إلى التّشويه المتعمّد لها وتزييف وعي النّاس بها بمقابلتها بالشورى في كلّ مرّة يرتفع فيها مدّها. ورأى أن مستقبل الدّيمقراطيّة في الوطن العربيّ بالمعنى والمبنى المشار إليهما بعيد المنال وضعيف الاحتمال. لكنّه من جانبٍ آخر أشار إلى أنّ الوطن العربيّ لن يشذّ عن القاعدة إلى مالا نهاية لأنّ (تماثله) في المنهج الاقتصاديّ، إنتاجًا واستهلاكًا، والمنهج الإعلاميّ، والمنهج التّعليميّ، والمنهج التكنولوجيّ مع الغرب، مؤدٍ لا محالة إلى تماثله مع هذا الغرب في المشكلات والإشكالات والتحدّيات والحلول. وأرجع أ. عايش أسباب ذلك إلى معاداة الثقافة العربيّة الإسلاميّة للدّيمقراطيّة، وتبعيّة مؤسّسات المجتمع العربيّ المدنيّ للحكومات، وتنافس الدّيمقراطيّة التي تدعو إلى الحقوق المجرّدة Abstract rights، كالحريّة والمساواة والعدل وتداول السُّلطة، مع أيديولوجيّات تعد بالمادّيّ أو الملموس Tangible benefits من خدمات اجتماعيّة وصحيّة وتربويّة وماليّة. وكذلك إلى إدّعاء كل حزب أو حركة سياسيّة في الوطن العربيّ أنّه، أو أنّها، الأفضل لحكم البلاد (السلطويّة القويّة) دون احترام حقيقيّ لرأي الآخر، والالتباس النّاشيء عن الخلط بين التّحديث Modernization والدّمقرطة Democratization، وأيضًا الالتباس النّاشيء عن الخلط بين ديمقراطيّة الاستهلاك نتيجة الانفتاح والعولمة واالديمقراطيّة السياسيّة.

وكان **د. عبد اللطيف عربيّات**، رئيس مجلس النوّاب الأردنيّ الأسبق، قد قدم خلال النّدوة عرضًا لتجربة حزب جبهة العمل الإسلاميّ في الأردن في الممارسة الدّيمقراطيّة وما أثمرته من منجزات وبرامج. وتناول في هذا العرض أهميّة الإعداد الاجتماعيّ والتربويّ لضمان حُسن التطبيق في ممارسة الدّيمقراطيّة. وعزا تردّي العمل الدّيمقراطيّ في الوطن العربيّ إلى التأثيرات التي تركتها قوى الاستشراق الموجّه على المفاهيم، والتشويهات التي أحدثها التبشير والاستعمار والمنظمات الصهيونيّة السريّة والعلنيّة في بُنى المجتمعات العربيّة والإسلاميّة.

وقد دار نقاش موسّع خلال جلسات النّدوة حول مضامين الأوراق المقدّمة، ركّز فيه المشاركون على أهميّة اقتران النّظريّة بالتطبيق والآليّات المناسبة للعمل الدّيمقراطيّ العربيّ. ■

التنوع الثقافيّ العربيّ في العصر السيبرانيّ

د. مصطفى المصمودي*

الثقافة هي موضوع تعريف في الإعلان العام لليونسكو الذي يطالب بالنظر إليها كمجموعة السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمعا أو فريقا اجتماعيا، وعلى أنها تشمل، إضافة إلى الفنون والآداب، أنماط العيش وطرق التعايش ومنظومة القيم والتقاليد والمعتقدات.

وتعتبر الحقوق الثقافية جزءً لا يتجزأ من منظومة حقوق الإنسان. وبدون ضمان هذه الحقوق لكل الأفراد لا يمكن احترام كرامة الشعوب. والحقوق الثقافية، كسائر الحقوق الإنسانية، هي فردية وجماعية. وتنطوي ممارسة الحقوق الثقافية على احترام كل أصناف التراث والمعارف التي تتقاسمها المجموعات البشرية. كما إن احترام التنوع الثقافي هو شرط أساسي في حياة كل المجتمعات. فهذا التنوع هو تراث مشترك للإنسانية جمعاء، ويزداد أهمية في العصر العالمي للمعلومات. والتنوع الثقافي يبنى على احترام التعدد اللغوي والفروق المحلية والانفتاح على التغيير، كما يلعب دورا مهمًا في التماسك الاجتماعي ونشر الديمقراطية وتكثيف العلاقات الدولية العادلة. ولا يمكن للتنوع الثقافي أن يتجلى في غياب الظروف اللازمة لحرية التعبير الخلاق.

وتقدر الخصوصيات الثقافية في العالم بما يناهز ٤٥٠٠ مجموعة تتقاسمها شعوب أصلية منتسبة إلى ٨ عائلات حضارية كبرى، وتتفرع إلى أصناف أو أقليات قومية وإثنية ودينية ولغوية.

وتكرس الاتفاقيات الدولية الحق في امتلاك حياة ثقافية متميزة بالاشتراك مع بقية أعضاء المجموعة في ممارسة ديانة معينة، أو استعمال لغة خاصة، والانتماء إلى أقلية ووجود تلك الأقلية ذاتها، وهو ما يكرسه أيضا إعلان الأمم المتحدة حول حقوق الأشخاص المنتمين إلى الأقليات وحمايتهم. لكل هذه الاعتبارات كان موضوع التنوع الثقافي في مقدمة المشاغل الأساسية المطروحة على الساحة العالمية، وفي مداولات القمة العالمية لمجتمع المعلومات.

• منسق المجتمع المدني العربي لتنفيذ قرارات القمة العالمية لمجتمع المعلومات؛ عضو المنتدى.

فالمواطن اليوم هو في حاجة إلى ثقافة من شأنها أن تساعده على التفكير في الشؤون العالمية والأمور المحلية، أي إلى ثقافة شمولية. والثقافة السيبرانية التي ترافق بروز المجتمع العالمي للمعلومات لها بعض من صفات مثل هذه الثقافة، وما ثقافة الإنترنتّ إلا صورة أولية لها.

١- العرب في المجتمع السيبراني

إن الثقافة السيبرانية هي ثقافة مرتبطة أساسا بالعولمة وبالتقلبات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي تتضمنها، كما أنها تعتمد على رسوم ذهنية وطرق تملك اجتماعي وعادات تختلف تماما عما عرفناه حتى اليوم. وهي تمثل مفهوما جديدا يعني الرابط الوثيق بين الشبكات الرقمية ومضمونها المعرفي، وتقاسم الذكاء الاصطناعي الذي تستقي الجماهير منه زادها الثقافي. كما هي تعني الامتزاج الثقافي بين المحلي والعالمي وتقاسم الذكاء الاصطناعي. وقد أصبحت المجتمعات متفتحة أكثر فأكثر الواحد على الآخر، وتعتمد الهوية للدفاع عن مصالحها وبرامجها الإنمائية. والمنطقة العربية طرف من هذا المجتمع الجديد، وعلى المواطن أن يكون فاعلا ومتفاعلا مع هذه الثقافة السيبرانية.

وليس هنالك مبدئيا أية خشية من الاعتماد على هذه المسالك لتنمية التفاعل الثقافي والتقريب بين الشعوب، إلا أن التوازن بين القيم التقليدية والقيم الحديثة في المجتمعات النامية سوف يتغير بقدر ما تفتحه الشبكات السريعة للإعلام والمعلومات من آفاق جديدة. ويستدعي هذا الواقع الجديد قدرا كبيرا من الاهتمام بالخلفيات السلبية للموضوع ومظاهرها كثيرة ومتنوعة، وهي تتصل بالعقيدة والدين والتاريخ والتراث واللغة.

ولن يستقيم فهم مضمون الثقافة السيبرانية دون إدراك مدى علاقة التكنولوجيا الحديثة للمعلومات بالفن التشكيلي وبالآداب وبخصائص اللغة العربية، وبقابلية تفاعلها مع باقي اللغات العالمية الكبرى. ولذلك وجب الأخذ بعين الإعتبار كل هذه المضاعفات عند تحديد السياسات الثقافية التي ترتكز على ثلاثة أهداف رئيسية هي:

- تعميق التواصل مع الثقافات الأخرى، وضمان التفاعل الإيجابي والتوازن للمنتوج الثقافي المحلي مع مختلف التحولات العالمية، وإنجاح انخراطها في الاقتصاد المعرفي الجديد بالاستفادة مما تتيحه الثورة التكنولوجية الحديثة.

- تدعيم الحضور في الفضاء الخارجي المعولم، وضمان الإشعاع الثقافي والاستفادة من الإمكانات الواسعة التي تتيحها وسائل الاتصال الحديثة في دفع الإنتاج الثقافي وإثراء مضامينه.

- تمكين الشباب الريفي من ثقافة إعلامية ومعلوماتية بوضع التقنيات الحديثة في متناوله، علاوة على تعزيز نوادي التنشيط الرقمي بالمدارس الريفية.

والمهم في الأمر أن يشعر العرب جميعا بأنهم أطراف مشاركون يقاسمون الشعوب الأخرى

مشاغلهم، ويعانون ثقافيا من قضايا مماثلة؛ فليس هنالك استثناءات عربية. وقضايا التنوع الثقافي والخصوصيات المحلية والتعددية اللغوية هي قضايا حقيقية، وإن كانت هنالك حلول متميزة في مستوى المنطقة العربية، مثل بعض المناطق الجغرافية الأخرى. فلا بد من البحث عن الحلول الملائمة في مستوى هذا الطرح العالمي.

٢- حق التنوع الثقافي في قرارات القمة العالمية لمجتمع المعلومات

لقد أكدت اللوائح الصادرة عن القمة في مرحلتها الأولى مختلف هذه الإعتبارات، خاصة إعلان المبادئ الذي أبرز أن مجتمع المعلومات يقوم على أساس احترام الهوية الثقافية، وأن الحوار بين الثقافات والحضارات من شأنه تعزيز الهويات الثقافية المتنوعة واللغات المختلفة والحفاظ عليها. ومن جهة أخرى، أكدت لوائح القمة (في مرحلتها الثانية) أنه يتعين تمكين كل فرد من الاستفادة من تكنولوجيا الاتصال، واحترام الخصوصيات الثقافية، واعتبار البعد الأخلاقي. وقد استدركت هذه اللوائح النقاط التي لم تحظ بالعناية الكافية في الإعلان الأول (٢٠٠٣)، ومن ذلك قضايا الطفولة بكل أبعادها، بما فيها البعد الثقافي.

فمن المنتظر بعد كل ذلك إعطاء أولوية عالية في مجتمع معلومات لإنشاء المحتوى بلغات متعددة، ونشره والحفاظ عليه، مع إيلاء الاهتمام اللازم إلى تنوع الأعمال الإبداعية والاعتراف بحقوق المؤلفين لأن تطوير محتوى محلي يناسب الاحتياجات المحلية أو الإقليمية يشجع التنمية الاجتماعية والاقتصادية، ويحفز مشاركة جميع أصحاب المصلحة، بمن فيهم سكان المناطق الريفية والنائية.

وقد اعتبر الحفاظ على التراث الثقافي في عصر المعلومات عنصرًا حاسمًا في تكوين الهوية وفهم الأفراد لذاتهم، وذلك بكل الوسائل المناسبة بما فيها الرقمنة. فقد أقرت كل هذه اللوائح بحق جميع الأطراف الفاعلة في مجتمع المعلومات في اتخاذ الإجراءات المناسبة والتدابير الوقائية، حسبما تقرره القوانين الدولية لمناهضة استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في أغراض سيئة، وفي الأعمال المدفوعة بدافع التمييز العنصري وكراهية الأجانب، وجميع أشكال الاعتداء على الأطفال والتحرش بهم، والاتجار الجنسي بمختلف أشكاله.

والجدير بالذكر أن الجانب العملي لقرارات تلك القمة تمثل في أحد عشر عنصرا، منها العنصر الثامن (C8) الذي خصص لمعالجة موضوع التنوع والهوية الثقافية والتعددية اللغوية والإنتاج الفكري ذات الطابع المحلي. فجاء هذا الباب شارحا لمختلف أبعاد المادة السادسة من إعلان اليونسكو التي أكدت على كفالة التداول الحر للأفكار عن طريق الكلمة والصورة، والحرص على تمكين كل الثقافات من التعريف بذاتها. ذلك أن حرية التعبير وتعددية وسائل الإعلام والتعددية اللغوية والمساواة في فرص الوصول إلى أشكال التعبير الفني والمعارف العلمية والتكنولوجية في صورتها

الرقمية، هي كلها ضمانات للتنوع الثقافي.

٣- تجسيم مقررات القمة العالمية لمجتمع المعلومات في مجال التنوع الثقافي

لقد اهتمت منظمة اليونسكو بموضوع التنوع الثقافي أكثر من أي طرف آخر، باعتبارها المنظمة الدولية الموكول إليها النهوض بالقطاع الثقافي في مختلف أبعاده وأهدافه. وقد اعتبرت من وظيفتها الأكيدة وضع الإطار الملائم للإحاطة به في هذا المحيط المعولم، ومراجعة مختلف مفاهيم الثقافة حتى تتجاوب مع حاجة المجتمعات المتطورة في مجتمع المعلومات. وقد قطعت شوطًا مهمًا في هذا المجال بإصدار إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي يوم ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠١. وقد تم التأكيد في هذا الإعلان لأول مرة في التاريخ على أن التنوع الثقافي هو تراث مشترك للإنسانية. كما شفع هذا الإعلان ببرنامج عمل لضمان نفاذ الإنسان والمجموعات والدول إلى مختلف الثقافات العالمية، وعكس إرادة المجموعة الدولية في إرساء سلوكيات عالمية تقوم على احترام مبدأي التنوع الثقافي والخصوصيات المحلية. فكان مرجعا أساسيا في لوائح القمة العالمية لمجتمع المعلومات.

ومن أجل كل ذلك نظم الاتحاد الدولي للاتصالات بمقر الأمم المتحدة في جنيف يوم ١٢ أيار/مايو ٢٠٠٦، بمناسبة الاحتفال باليوم العلمي لمجتمع المعلومات، ندوة خاصة بهذا الموضوع حضرها ما لا يقل عن مئة مشارك من مختلف القطاعات المعنية، منها ممثل عن منتدى الفكر العربي، وذلك لبحث سبل تنفيذ قرارات القمة، وتعيين الهيئة التي سوف تتولى السهر على إدخالها حيز الواقع، وتوزيع الأدوار بين مختلف الأطراف.

فوزعت مجالات العمل إلى أربعة عناصر أساسية، هي: الذاكرة والتراث، والإنتاج الفكري المحلي المعاصر، والتعددية اللغوية، وثقافة التفاعل بين المحلي والعالمي.

وستتواصل الأعمال في باريس بمقر اليونسكو لبحث مختلف المواضيع المتصلة بحرية التعبير الفكري أيام ١٦-٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦.

والحضور العربي متأكد. ولا بد أن يتولى منتدى الفكر العربي سد الثغرة في هذا المجال الحساس لما له من انعكاس على مستقبل الخصوصيات الثقافية العربية؛ إذ سيبقى موضوع التنوع الثقافي محل اهتمام المجموعة البشرية طوال القرن الحادي والعشرين. ■

لقاء مع وفد ثقافيّ سويديّ عن

التلاقي والمعرفة والحكمة المشتركة بين الشرق والغرب من خلال توظيف الإبداع الرّوائيّ

عقد المنتدى مساء يوم الإثنين ٢٠٠٦/١٠/٣٠ بحضور جمع غفير ضمّ نخبةً شبابيّة – لقاءً خاصًا مع وفد سويديّ ثقافيٍّ زائر حول مفهوم التعرُّف على الآخر والانفتاح على ثقافات الآخرين في إطار حوار الحضارات وأتباع الدّيانات.

وضمّ الوفد الكاتب السويديّ **د. ديك هاريسون Prof. Dick Harrison**، أستاذ تاريخ العصور الوسطى في جامعة لوند وأحد أشهر الكتّاب الاسكندنافيين المعاصرين في العالم اليوم؛ والسيّدة **سيا لانتز Ms. Cia lantz**، المتخصّصة في الشّؤون الثّقافيّة والسياحيّة؛ والسيّدة **هدى الزّعبي**، مستشارة الشّؤون السّياحيّة والثّقافيّة للشّرق الأوسط في **جمعيّة الثّقافة العربيّة** في السويد، التي أدارت اللقاء وقامت بالتّرجمة من السويديّة إلى العربيّة وبالعكس بين أعضاء الوفد والحاضرين. وتناول **د. هاريسون** في حديثه المشروع الثّقافيّ **(لقد التقينا من قبل)** المتعلّق باستكشاف الآخر وإبراز خصوصيّة الشّرق العربيّ، مهد الرّسالات السّماويّة، كمكان استثنائيّ للقاء الحضارات والثّقافات وحواراتها. ووظف لذلك عملاً روائيًا شهيرًا في الأدب السّويديّ للكاتب **جان جيلو Jan Guillou**، الذي أطلق العنان لمخيّلته في رسم شخصيّة أسطوريّة تحمل اسم "آرن"، وعاد بها إلى القرون الوسطى؛ جاعلاً لهذه الشخصيّة موطنًا أصليًا في منطقة من غربيّ السويد، ومتنقلاً بها إلى الشرق في عصر حروب الإفرنجة (التي أطلق عليها الغرب اسم الحروب الصليبيّة). وهناك التقى آرن بعددٍ من أهمّ الشخصيّات العربيّة والإسلاميّة، مثل النّاصر صلاح الدّين الأيوبيّ، وتبادل وإياها المعارف حول ثقافات الشرق وأديانه، فأغنى واغتنى، وأعطى وأخذ. وكان لا بدّ لهذه الشخصيّة، بما سبغ عليها مؤلّفها **جيلو** من خصوصيّة استثنائيّة، أنْ تعود إلى الغرب، حاملةً معها الكثير من الخبرات والمعارف والمعلومات التي تتجلّى في سياق العمل الرّوائيّ بمادة يقوم عليها اللقاء بين الشرق والغرب **(ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا)**.

من هنا برز في إطار هذه الأفكار توظيف شخصيّة "آرن" الرّوائيّة في فيلم سينمائي يجري التّحضير له حاليًا، وتُترجم من خلاله المعاني الخاصة لعمل **جيلو** الروائيّ، وكذلك تحويل هذه المعطيات من معاني الإنسانيّة والانفتاح على الآخر إلى مشروع ثقافيّ سياحيّ متنوّع الأوجه. وقد ظهر بعضها في إقامة متحف "**سكارا**" في غربي السويد، الذي يتبنّى المشروع بأكمله، بالتّعاون مع **د. هاريسون** ومجموعة من المؤسّسات الثّقافيّة والعلميّة وعددٍ من المثقّفين السويديين والعرب المقيمين في السويد.

ويؤكّد **د. هاريسون** في كتابه الأخير باللغة السويديّة **(إنّها إرادة الله)** أنّ البلاد الاسكندنافيّة كانت تعيش فوضى حضاريّة قبل أنْ تعود جيوش الإفرنجة إلى مواطنها، وأنّ الفضل الأكبر في الحضارة الاسكندنافيّة يعود إلى ما حمله العائدون من الشرق من خبرات في الرّقي المعرفي والحضاريّ.

أعقب اللقاء نقاشٌ اتسم بالتّفاعل والحيويّة حول مختلف الموضوعات التي طرحها المتحدّثون. ■

اللقاء الشّهريّ للمنتدى*

يناقش خطورة الفساد في المجتمع

أوّل ضحاياه فقدان الثّقة بين المواطن والمسؤول
عوامل الجهل والفقر وقلّة الخبرة والتدريب تغذّي الفساد

استضاف اللقاء الشهريّ لمنتدى الفكر العربيّ، مساء يوم الأربعاء ١/١١/٢٠٠٦، **الأستاذ الدّكتور جميل جريسات**، أُستاذ الإدارة العامّة والعلوم السياسيّة في جامعة فلوريدا الجنوبيّة وعضو المنتدى، الذي ألقى محاضرة [باللغة الإنكليزية]** ركّز فيها على سلوكيّات الفساد وأثره على العلاقة بين السلطات الإداريّة والسّياسيّة والمجتمعات، ودور الأخلاق التّطبيقيّة في سلوكيّات الأفراد، والعناصر الأساسيّة في استراتيجيّات الإصلاح. وأدار اللقاء الأُستاذ الدّكتور عبد الباري درّة، نائب الرّئيس للشّؤون الثّقافيّة في جامعة عمّان العربيّة للدّراسات العُليا.

في معرض رصده للنّظرة العالميّة للفساد، أكّد د. جريسات أهميّة العناية بالقيم والأخلاق في إدارة السياسية العامّة، موضحًا أنّ هنالك قناعة عامّة في العالم بأنّ الفساد من أهمّ عوائق التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة. وتدل الخبرة العالميّة على أنّ الفساد الإداريّ أدّى إلى فشل الكثير من الخطط والمشروعات التنمويّة في الدّول النّامية والدّول الصناعيّة الكبرى على السواء.

وحذّر المُحاضر في هذا المجال من أنّ ثقة المواطن بمن هم في مراكز السُّلطة الإداريّة والسّياسيّة هي أُولى ضحايا الفساد. ولا بدّ من توافر القيادات القادرة على ترسيخ القيم والأخلاق المتوخّاة بحزم واضح، مع ضرورة وجود سياسة واضحة أيضًا، محدّدة ومُعْلَنة ومعروفة لدى الجميع، لكي تكون أرضيّة لمقاومة ظواهر الفساد وسلوكيّاته، من هبات وعطايا ورشاوى تُسخَّر لتحقيق مصالح خاصّة على حساب المصلحة العامّة، ومن تزوير ومُحاباة وواسطة ومحسوبيّة وتفضيل الأقارب في التّوظيف والتّرقيات والمنافع، وكذلك استغلال المنصب الرّسميّ للإثراء غير المشروع، وعدم معاملة المواطنين بعدالة وأمانة واحترام، وإساءة استخدام الأموال العامة أو هدرها.

وفي تحليله للعقبات التي تقف في وجه الإصلاح ومحاربة الفساد في البلاد العربيّة، أشار المُحاضر إلى مجموعة من العوامل التّاريخيّة والسّياسيّة

• عقد هذا اللقاء [رقم (٨/٢٠٠٦)] في مقر المنتدى؛ ١/١١/٢٠٠٦.
•• سننشر في العدد القادم الترجمة العربيّة لهذه المحاضرة.

والاقتصاديّة والتربويّة التي قضت على ثقة المواطن بالعاملين في الأجهزة الإداريّة. كما أدت هذه العوامل إلى انخفاض معنويّات العاملين أنفسهم وانخفاض ثقتهم بحقيقة وجود حلول مُنصِفة من دون الواسطة أو الرّشوة؛ الأمر الذي انعكس بنظرة سلبيّة إلى أصحاب المراكز العُليا مؤدّاها أنّهم هم المستفيدون من الفساد المؤسّسيّ، وهم في الوقت نفسه العقبة الرئيسيّة في طريق محاولات الإصلاح.

وأشار في هذا المجال أيضًا إلى أنّ التّراث العربيّ الإسلاميّ يختزن كنوزاً من القيم والسلوكات الأخلاقيّة العامّة التي ما زالت عناصرها فاعلة، ويمكن الإفادة منها كأساسيّات للإصلاح والنّموّ وبلوغ الدّرجة المنشودة في تحقيق السّعادة الاجتماعيّة والعدالة بين أفراد المجتمع، بعيدًا عن مُغذيات الفساد النّاشئة عن عوامل الفقر والجهل والعادات القبليّة والثّقافة العشائريّة والفساد الإداريّ والسيّاسيّ وغيرها. ودعا د. جريسات في هذا السّياق إلى تمكين عناصر النجاح لاستراتيجيّات الإصلاح من خلال تشخيص المعضلة كون التشخيص يشكّل جزءًا من الحلّ، ووجود هيئة أو لجنة عُليا من ذوي الخبرة والسّمعة الحسنة والإنجاز العلميّ لإعطاء مشروعات الإصلاح صفتها المؤسّسيّة والمساعدة في تحديد المسؤوليّة وتقدير كفاءة الإنجاز. يضاف إلى ذلك ضمان التأييد السّياسيّ لعمليّات مكافحة الفساد من دون غموض، وزيادة المعرفة والخبرة بإشكاليّاته عن طريق الدّراسات والبحوث، وتبنّي الشّفافيّة في القرارات العامّة والانفتاح على المواطنين.

وبيّن المحاضر دور الصّحافة الأساسيّ في خدمة المواطنين وتثقيفهم؛ فضلاً عن دورها كحارس ومُراقب ومُدافع عن المصلحة العامّة وحقوق المواطنين في المجتمع الحرّ. كما بيَّن أثر تحديث القوانين والإجراءات المتعلّقة بسلوكيّات العاملين في الدّولة، مع بناء قدرات السلطات القضائيّة ودعم حيادها ونزاهتها في محاصرة الفساد وإفرازاته، ووجوب التّدريب المستمرّ لموظّفي الدّولة لتحديد القيم والأخلاق ومسؤوليّة تطبيقها في الخدمة العامّة.

شهد اللقاء نقاشًا حارًّا حول طروحات المحاضر وتفاعلاً واسعًا من الجمهور الذي ضمّ مجموعة من الأكاديميين والمثقفين وأصحاب الخبرة والاهتمام في مجالات الإدارة والخدمة العامّة. ■

- ١ -

مشكلة صدرتها إلينا أوروبا وحان قطافها!

إسرائيل: بضابط فرنسي ابتدأت وبعريف إسرائيلي فرنسي تنتهي

د. جورج جبور*

قبل سنوات من ولادة الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، اجتمع الملك عبد العزيز آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية، بالرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت في القاهرة، شباط/ فبراير ١٩٤٥. تبادل القائدان العربي والأمريكي الأحاديث، وكان منها حديث عن إسرائيل التي ستولد بعد أقل من أربعين شهراً من اللقاء. بالتأكيد لم يسمع الحديث الرئيس الإيراني الذي لم يكن قد ولد بعد، ولكنه كرر أهم ما فيه بعد أكثر من ستين عاماً.

تتطابق المصادر العربية والأمريكية في إيرادها ما دار في اللقاء من حديث عن إسرائيل التي ستولد. تقول المصادر إن الرئيس الأمريكي شرح للملك العربي المهالك التي تعرض لها اليهود في أوروبا. شرح له اضطهاد أوروبا لهم، وشرح له أنهم يأتون إلى فلسطين لاجئين فقراء هاربين من الموت، **وامتدح العرب واصفاً إياهم بأنهم شعب مضياف كريم شهم يعطف على الضعيف اللاجئ إليه. وختم الرئيس الأمريكي شرحه بمناشدة الملك العربي تسهيل إقامة اليهود بين ظهراني العرب في فلسطين، والسهر على راحتهم.**

وجاء دور الملك العربي في الكلام، فماذا قال؟ سأل محدثه الأمريكي: ومَنْ اضطهدهم أيها السيد الرئيس؟ فأجابه الأمريكي: الأوربيون بعامة، والألمان بخاصة. لقد قتل الألمان أعداداً كبيرة منهم يا جلالة الملك، وأولئك الذين أتوا إلى فلسطين، ويأتون إليها، إنما هم الذين استطاعوا أن ينجوا بأنفسهم من القتل، وهم يتطلعون إلى حياة أكثر أمناً في فلسطين. ولهم أمل في أن تساعدهم إنسانيتكم على تحقيق أملهم في حياة أكثر أمناً. أجابه على الفور الملك العربي مؤسس المملكة العربية السعودية: **بما أن الألمان هم الذين اضطهدوهم،**

* عضو المنتدى، الخبير المستقل لدى مجلس حقوق الإنسان في الأمم المتحدة (جنيف)، رئيس الرابطة السورية للأمم المتحدة، أستاذ المذاهب السياسية في جامعة حلب، عضو مجلس الشعب السوري، المستشار السابق لدى الرئاسة السورية، مؤلف كتاب *Settler Colonialism In Southern Africa and the Middle East* (الخرطوم وبيروت، جامعة الخرطوم ومركز الأبحاث الفلسطيني١٩٧٠، ٢١٦ صفحة من القطع الكبير). وهذا المقال يعبر عن رأي صاحبه الشخصي.

أليس من العدالة، أيها الرئيس الأمريكي، أن تعطوهم أرضاً في ألمانيا وقد خضعت لاحتلالكم؟

وتقول المصادر الأمريكية والعربية المتطابقة إن الرئيس روزفلت ارتج عليه، فلم ينبس ببنت شفة. أعجزته عن النطق حكمة الملك العربي المبنية على أساس العدالة.

لم يسمع الرئيس محمود أحمدي نجاد هذا الحديث، وربما أنه لم يسمع به حتى الآن. لكنه أطلق قبل أشهرتصريحاً له المدلول نفسه. مؤدى تصريحه: أوروبا هي التي خلقت المشكلة، فلماذا لاتأخذ اليهود إليها وتريح منهم ديار العرب والمسلمين؟

وقابل الغرب تصريح الرئيس الإيراني بالاستنكار، وطالبه بسحبه. وأصر الرئيس نجاد على موقفه، ولم يسحب تصريحه، بل أكده.

وحين ذكرتُ بالتفصيل الحادثة التاريخية في برنامج حديث الساعة الذي نقلته على الهواء مباشرة هيئة الإذاعة البريطانية (البي بي سي BBC) في ٢٠٠٦/٧/٢٦، تصدى لي صحافي عربي مقيم في أمريكا مبيناً الفرق بين ظروف حديث الملك السعودي وبين ظروف تصريح الرئيس الإيراني. مؤدى التصدي: كلام الملك حكيم لأنه كان قبل ولادة إسرائيل، وكلام الرئيس الإيراني طائش لأن إسرائيل ولدت قبل نحوِ من ستين عاماً، وانتهى الأمر، فلا سبيل إلى العودة عنه. يبدو التصدي وكأنه يقول إن الزمن ذهب بحكمة الملك العربي وعفا على جرأته في التعبير عن حس العدالة الكامن فيه. يبدو التصدي وكأنه يتهم مؤسس المملكة العربية السعودية بأنه كان "غبياً" يوم صارح الرئيس الأمريكي بداخلية وجدانه فتوقع أن تتراجع أمريكا عن تأييدها وعد بلفور، وعن دعمها المستمر للصهيونية منذ عام ١٩١٧، وأن تقوم بإجلاء اليهود الذين استوطنوا فلسطين. إلا أننا نعلم أن عبد العزيز آل سعود لم يكن غبياً. كان يعبر عن وجهة نظر عربية، بل إسلامية، بل دينية، بل إنسانية سليمة. وكان يعلن عدم موافقته على المشروع الصهيوني، ويعلن ذلك أمام الداعم الأول لذلك المشروع. لم يخشَ الغضب الرئاسي الأمريكي، بل كان مؤدى كلامه أنه سيقاوم ذلك الغضب. ولعل الرئيس الأمريكي لم يشعر بالغضب. لعله أدرك أنه، بمقتضى حس العدالة البسيط الكامن في كل إنسان، لايحق له أن يغضب. لعله فكر ملياً فرأى أن محدثه الملك الجليل إنما كان على حق. والله أعلم!

إنها حقاً مشكلة صدّرتها إلينا أوروبا، مشكلة عرفها العالم في القرن التاسع عشر خاصة باسم 'المسألة اليهودية'، وبالألمانية، حيث احتدمت المسألة، باسم اليودن فراغي Juden Frage. مشكلة صدرتها إلينا أوروبا فكانت حصيلتها منذ أقل من شهر ما قد يبلغ ألف شهيد مدني فلسطيني ولبناني. مشكلة قد تجعل من أي عربي مقيم في فلسطين وفي لبنان شهيداً نتيجة قصف لايوفر أحداً.

إنها حقاً مشكلة صدرتها إلينا أوروبا التي فشل إيمانها بالديمقراطية وبالمساواة في المواطنة وبحقوق الإنسان في أن ينتزع منها عواطفها العنصرية التي قادتها إلى اضطهاد اليهود. لماذا لم تستطع أوروبا دمج اليهود في مجتمعاتها؟ أو لماذا استعصى اليهود على الدمج؟ ذلكم سؤالان

كبيران تختلف الإجابات عنهما. إلا أن ما تجمع عليه الإجابات كافة هو أنه ليس للفلسطينيين وليس للعرب أية علاقة باستعصاء دمج أوروبا لليهود، أو باستعصاء اليهود على الاندماج في أوروبا. فبأي منطق تتفق الدول الأوروبية، والدول الغربية عامة والحركة الصهيونية، على قتل البريء وتبرئة القاتل والغفران له؟

يثبت تيودور هرتزل، مؤسس المنظمة الصهيونية، أن ضابطاً فرنسياً هو دريفوس غير مجرى حياته. كان هيرتزل يهودياً علمانياً مندمجاً في مجتمعه الأوروبي، فجاءت مسألة دريفوس، عام ١٨٩٤، ذلك الضابط الفرنسي يهودي الديانة الذي اتهم بالخيانة. جاءت تلك المسألة ومعها هتافات جماهير فرنسا التي ملأت شوارع باريس تصيح "الموت لليهود". جاءت لتقنعه أن أوروبا ترفض أن تدمجه في مجتمعها الديموقراطي الذي يرفع شعار المساواة في المواطنة. جاءت لتقنعه بتأسيس منظمة حلمت بإقامة دولة في فلسطين، أو في الأرجنتين. ووقعت "القرعة" علينا، وتم التنفيذ رغم أنفنا!

لايستطيع أحد أن يتنبأ بالكيفية التي ستسير بها الأحداث (وأنا أكتب مساء الخميس ٢٠٠٦/٧/٢٧). ثمة مقاومة لبنانية بطولية، وثمة عسكرية إسرائيلية تدعمها عسكرية أمريكية. مضى أكثر من أسبوعين على الاشتباكات والمقاومة تنتصر بصمودها، لكن معظم المعركة على أرضها. لا أستطيع أن أتنبأ بالكيفية التي ستسير بها الأحداث، وإن كنت واثقاً من النصر السياسي التي أحرزته المقاومة. وشأني، شأن معظم سكان العالم المهتمين، المطالبة بوقف فوري لإطلاق النار يتزامن معه تبادل جنود إسرائيليين، أعدوا لقتلنا، مع أسرى فلسطينيين ولبنانيين أغلبيتهم الساحقة من المدنيين الذين لايشكل القتل مهنتهم. لا يستطيع أحد أن يتنبأ عسكرياً بما سيحدث بعد يوم أو شهر أو سنة. إلا أن المواجهة المفتوحة التي أقدمت عليها إسرائيل، وفرضتها على المقاومة اللبنانية وعلى لبنان كله، بل ربما على المنطقة بكاملها، قد تؤذن بأن "المسألة اليهودية"، التي خلقتها أوروبا وصدرتها إلينا، قد "حان قطافها" **عن طريق الحوار الفكري المستنير القائم على أساس شرعة حقوق الإنسان، والذي يرفض العنصرية من أية جهة أتت وبأية ذريعة تذرعت، حتى وإن تلفعت بثوبٍ ديني أو بما يَدّعون أنه ديني.**

لم أتقن لفظ اسم العريف الإسرائيلي الذي أسره مقاومو فلسطين قبل ما يقرب من شهر، إلا أنني عرفت أنه فرنسي، وأن عائلته وجهت رسائل تفيض إنسانية إلى جهات متعددة سعياً لفك أسره. لم أتقن لفظ اسمه، ولا أعرف إلى ماذا ستؤول عسكرياً "المواجهة المفتوحة" التي فرضتها حكومة أولمرت، الذي أشرتُ مراتٍ في أحاديث تلفزيونية بريطانية بأن اسمه المستحق: أدولف أولمرت. لكن من الممكن جداً أن إسرائيل، التي ابتدأت نتيجة نزعة عنصرية تعرض لها ظلماً ضابط فرنسي، سوف تنتهي نتيجة نزعة عنصرية ظالمة عبرت هي نفسها عنها بمناسبة رد فعلها الأحمق على أسر مقاومي فلسطين عريفاً إسرائيلياً من أصل فرنسي. ■

- ٢ -

د. عدنان السيد حسين

عضو مجلس الأمناء ولجنة الإدارة في المنتدى

وكتابه **العَلاقات الدّوليّة في الإسلام**

السلم هو الأساس في الإسلام*

أ. عفيــف عثمــان **

يرى بعض الباحثين، مثل إدموند جوفيه E. Jouvet، أن العلاقات الدولية قديمة قدم التاريخ، وجدت عند الفراعنة والإمبراطورية الرومانية وبيزنطة والإمبراطورية العربية الإسلامية والإمبراطورية العثمانية. بيد أنها كانت "جزئية" ومحدودة. وكان عليها أن تنتظر قيام الدولة الأمة في القرن السادس عشر كي تنتظم في قواعد. فهي بحكم المنشأ غربية، وثمة دعوة إلى نزع هذا الطابع عنها والتحرر منه. والحال، قد يقع جهد **عدنان السيد حسين** في هذا الإطار بعيداً من مشروع "أسلمة" العلوم الذي تتبناه بعض الأوساط الإسلامية. فالباحث مهموم أكثر بتقديم الأسس النظرية والعقيدية التي يجب أن ينهض عليها بناء العلاقة الدولية في عالم فقد توازنه بعد انهيار الكتلة الشرقية، وسيطر عليه شبح الإرهاب بعد ١١أيلول/سبتمبر ٢٠٠١، وذلك استناداً إلى العقيدة الإسلامية وأحكام الشريعة والاجتهادات الفقهية، مع مقارنة بما يقابلها في القانون الدولي العام الحالي، ومع الإشارة إلى وجود قواعد للحرب والسلم عند المسلمين.

يشير الباحث بداية إلى تضمن الشريعة الإسلامية لمفهوم القوة، ويضعها في خانة "الدفاع عن العقيدة الدينية وعن بلاد المسلمين"، وهي مضبوطة في إطار أخلاقي أساسه الإنسان. والإسلام نفسه في التعريف "دين السلام"، تلك الغاية التي تسعى المجتمعات إليها. والسنة النبوية تؤكد قاعدة السلم: "يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا اللّه العافية". ويستند حسين إلى رأي محمد أبو زهرة، مؤلف **العلاقات الدولية في الإسلام** (القاهرة، ١٩٦٤)، الذي يقول: "الأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلم، وإن ذلك هو رأي الجمهرة العظمى من الفقهاء، والقلة التي خالفت ما كان نظرها إلى الأصل، بل نظرها إلى الواقع،

* عن مجلة **شؤون الأوسط**؛ مركز الدراسات الاستراتيجية في بيروت؛ العدد ١٢٢؛ ربيع ٢٠٠٦؛ ص ٢٢١ [بتصرف طفيف].

** كاتب وجامعي لبناني.

وكان ما قررته حكماً زمنياً، وليس أصلاً دينياً (أبو زهرة، ص ٥٢).

بدأ العرب في التعرف إلى المجتمع السياسي من خلال "دولة المدينة" التي أسسها الرسول، واستمرت في اعتماد "حلف الفضول" السابق على البعثة النبوية، ما يشير إلى وجود صيغ تعاقدية في داخل المجتمع وعلاقات خارجية أساسها "البساطة والفطرة"، على الرغم من الفتوحات العسكرية التي حملت لواء الدعوة إلى دين الإسلام. وبقيت هذه السياسة إلى زمن الخلفاء الراشدين. فقد آثر الأمويون "الهجوم" في سياستهم الخارجية لتحقيق التوازن مع البيزنطيين، فأسسوا جيشًا قويًا وأسطولاً بحريًا. أما العباسيون الذين خلفوا بني أمية فقد اعتمدوا "سياسة التعايش مع القوى المحيطة".

يميز حسين بين الجهاد والحرب، ويفرد لهذه الأخيرة حيزًا مهمًا، وهي تحمل في الغرب قديمًا وحديثًا مسمى **سياسة القوة**، وتعد قاعدة أساسية من قواعد الفكر السياسي، وبالتالي بناء الدولة.

يقول الباحث إن التقسيم المعهود إلى دار الإسلام ودار الحرب إنما يعود إلى القرن الثالث للهجرة. ومن ثمّ فلا أصلَ شرعيًا له من قرآن وسنة، بل هو منقول عن التنظيم الروماني الذي يقسم العالم إلى دار الوطنيين الرومان ودار الأجانب والأعداء، وهو مرتبط بالحرب يزول بزوالها. على أن ثمة شروطًا لا بد من توافرها لاعتبار أي دار دار حرب، ومنها يستنتج الباحث "أن أصل العلاقات الدولية في الإسلام هو السلم". إلى ذلك تحدث الفقهاء عن دار ثالثة هي دار العهد (أو الصلح)، مثابة ما توصلت إليه البشرية في العلاقات بعضها ببعض، بمعنى المواثيق والمعاهدات ضمن إطار منظمة الأمم المتحدة. فقيم الإسلام، بحسب حسين، تتلاقى مع القيم الكونية وفكرة الدار العالمية الواحدة. ولتأصيل القول في قواعد التعامل مع الآخرين دولاً وأفرادًا، يعرض الباحث لكتاب **السير الكبير** (القرن الثامن الميلادي) الذي " يبين سيرة المسلمين في المعاملة مع المشركين من أهل الحرب، ومن أهل العصر منهم من المستأمنين وأهل الذمة، ومع المرتدين الذين هم أخبث من الكفار بالإنكار بعد الإقرار، ومع أهل البغي الذين حالهم دون حال المشركين، وإن كانوا جاهلين وفي التأويل مبطلين"، على ما يقول السرخسي في **المبسوط**. ويعتبر الشيباني رائدًا في **فقه العلاقات الدولية**، ما أسس لاحقًا للقانون الدولي العام. وقد اشتق الفقهاء المسلمون من كتاب الشيباني قواعد في العلاقات الخارجية، وتوقفوا عند مسائل، مثل الجهاد، والحرابة، والعهد، والأمان، والصلح، والغنائم، والعلاقة مع أهل الذمة، والموادعة، وإقامة الحدود، ودار السلام، والسبايا، والخراج، والعُشر، والغزو، وأهل البغي، وأهل الردة... إلخ.

ومَعَ أن "السلم" هو الأساس في الإسلام، إلا أن فكرة الحرب تبقى موجودة في شكل مقنن في حالين، كما يشير أبو زهرة: دفع العدوان أو تأمين الدعوة الإسلامية. وفي حال وقوعها، ثمة قواعد يلتزم بها المسلمون، وهي سابقة على قواعد القانون الدولي كما نعرفه اليوم – مباشرة وإدارة

وأخلاقًا ونهاية. والحال، عرف المسلمون ومارسوا ما يطلق عليه الدبلوماسية، بمعنى الاتصال وتبادل الرسائل والتفاوض وإقامة العلاقات والمعاهدات واعتماد البعثات مع الدول والشعوب الأخرى.

يسعى الباحث إلى عقد مقارنات في موضوعات شتى بين الفقه الإسلامي والقواعد الدولية، فيوازن بين حقوق المستأمنين الأجانب وتلك الخاصة بحقوق الإنسان، ويجد تشابهًا. ويشير إلى ازدياد أعداد المهاجرين المسلمين إلى الغرب، ما يتطلب برأيه تعميق **"فقه الأقليات"**، على الرغم من إشارته إلى صون القانون الوضعي لهذه الحقوق. وكي يستكمل إطار التعاون والتفاعل مع الغرب، يتبنى صيغة حوار الحضارات. وفي شأن "حقوق الإنسان" (بالمفهوم الغربي)، فليس ثمة تعارض بينه وبين "حقوق العباد" (بالمفهوم الإسلامي) في إطار الحقوق والواجبات. وقد أدى تطور القانون وضرورة الحفاظ على أرواح المدنيين إلى إقرار "القانون الدولي الإنساني" واعتماده، وإصدار "الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان" (عن مؤتمر وزراء خارجية منظمة المؤتمر الإسلامي). ويعقد الباحث مقارنة تبين أوجه الشبه بين هذا الأخير والإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

بفعل العولمة وتزايد الاعتماد بين الدول، تبدو مسألة التفاعل تحصيل حاصل ضمن خصوصية للثقافة العربية الإسلامية يشدد عليها الباحث ويقدم مقترحات أربعة بمثابة قواعد مرشدة للانخراط في العالم هي: حوار الثقافات بدلاً من صراعها، وثقافة الوسطية بدلاً من التطرف، ومن ثم تصحيح الصورة الثقافية العربية الإسلامية في الغرب، وأخيرًا ثقافة الالتزام. ولا يغيب عن بال حسين أن الأساس في النظام الدولي "معايير القوة"، تلك التي لا يملك العرب الآن من أمرها شيئًا. تشهد على ذلك حال فلسطين والعراق، ما يبرر الحاجة إلى النظام الإقليمي العربي وضرورة تعزيزه.

وتقع الدعوة إلى تجديد الفكر الإسلامي، ومن ثمّ الفقه، خصوصًا فقه العلاقات الدولية، في إطار تعزيز وضع العالم الإسلامي كي يشارك بقوة على المسرح الكوني، ويساهم استنادًا إلى الشريعة السمحة في ترويض "النزوع إلى القوة" السائد في العالم المعاصر، والذي يهدد مستقبل البشرية. وهذا ما يبرر، كما يقول الكاتب، الحاجة إلى ثورة عالمية ينخرط فيها المسلمون من أجل تأكيد مبادىء الحرية والعدل والمساواة والسلام العالمي. ■

أمريكا والحرب على الإرهاب*

د. محمد عبد العزيز ربيع**

اتجهت الإدارة الأمريكية منذ الحادي عشر من أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠١ إلى رفع شعار محاربة الإرهاب، وتحميل الإسلام والمسلمين عامة المسؤولية الكاملة عن النشاطات الإرهابية الدولية، واتهام الكثير من المنظمات الإسلامية الخيرية بدعم العمليات الإرهابية وتمويل الجماعات التي تمارس الإرهاب. ومن أجل إضفاء شرعية دولية وقانونية على سياسات محاربة الإرهاب كما رسمتها أمريكا وقامت بتطبيقها على أرض الواقع، قامت إدارة الرئيس بوش بإقناع غالبية الدول الأوروبية ومنظمة هيئة الأمم المتحدة بتبني السياسات نفسها، والوقوف في الصف المعادي للعمليات الإرهابية والفكر الإسلامي السياسي بوجه عام. وهذا دفع التحالف الغربي عامة إلى تصنيف بعض حركات المقاومة الوطنية المشروعة بأنها منظمات إرهابية، والعمل على عزلها سياسيا ودوليا، وحرمان الكثير من منظمات المجتمع المدني ذات الميول الإسلامية من جمع الأموال لمارسة نشاطاتها الخيرية.

إلى جانب ذلك، قامت أمريكا وحلفاؤها في الحرب على الإرهاب بالضغط على الدول العربية والإسلامية، وإجبار بعضها على الانضمام للحملة ضد الإرهاب، والعمل على تجفيف المصادر المالية للمنظمات الإسلامية التي يشتبه في تأييدها للإرهاب وتعاطفها مع القائمين عليه. لكن دول الغرب لم تحاول في أي وقت من الأوقات تحديد مفهوم واضح للإرهاب يجعل بالإمكان التفرقة بين العمليات الإرهابية غير المشروعة ضد الأبرياء، وعمليات المقاومة الوطنية المشروعة ضد قوى الاحتلال والطغيان الأجنبية. وفي الواقع، جاءت أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر لتظهر أن الدول الغربية عامة، وأمريكا خاصة، لم تكن معنية

• عن جريدة **الدستور** الأردنية بتاريخ ٢٠٠٦/٩/١١؛ ص٤٧ [بتحرير طفيف].

•• أستاذ جامعي، عمّان الأردن؛ عضو المنتدى.

كثيرا بحق الشعوب المضطهدة في الحرية والتحرير ومقاومة قوى الاحتلال الأجنبية. ولذلك اتجهت تلك الدول بقيادة أمريكا إلى الخلط المتعمد بين مفهومي الإرهاب والمقاومة، من أجل، على ما يبدو، تجريم كل عمليات المقاومة المشروعة وتحريمها باعتبارها عمليات إرهابية.

وفي بداية الحملة العسكرية في الحرب على الإرهاب، قامت أمريكا بتوجيه التهم للعرب والمسلمين عامة بكراهية الغرب والعمل على تدمير حضارته وطريقة حياته، ورفع شعار "لماذا يكرهوننا؟" كجزء من حملة إعلامية ونفسية ضد العرب والمسلمين من ناحية، ومن أجل ضمان تأييد الرأي العام الغربي للحرب الأمريكية من ناحية ثانية. ولقد كان غزو أفغانستان بداية لحرب طويلة ومريرة ضد العرب والمسلمين، على الرغم من قيام الكثيرين منهم بإدانة العمليات الإرهابية التي وقعت في مدينتي نيويورك وواشنطن في أيلول/سبتمبر عام ٢٠٠١، واتجاههم إلى رفض فلسفة "القاعدة" وممارساتها على الأرض. إن حملة أمريكا على الإرهاب لم تتوقف عند حدود أفغانستان، بل اتسعت لتشمل العراق الذي غزته أمريكا في عام ٢٠٠٣، على الرغم من معارضة هيئة الأمم المتحدة ورفضها إضفاء شرعية دولية على العدوان. ولقد جاءت الحرب الإسرائيلية على لبنان في تموز/يوليو ٢٠٠٦ لتكشف الوجه الحقيقي للخطط الأمريكية المعادية لحرية الشعوب العربية، والمناوئة لكل مفاهيم المقاومة الشعبية ومنظماتها.

إن استمرار العدوان الأمريكي على العرب والمسلمين، وزيادة حدة العمليات العسكرية والجرائم الإنسانية والأخلاقية التي ارتكبت بحقهم في العراق وفلسطين ولبنان كان سببا في تصاعد موجة العداء لأمريكا، سياسة وثقافة ومصالح، وتنامي كراهية العرب والمسلمين عامة للسياسة الأمريكية، ورفضهم لخططها وأطماعها في المنطقة العربية. وعلى الرغم من قيام إدارة الرئيس بوش بحملة إعلامية ودبلوماسية مكثفة ومكلفة لتحسين صورة أمريكا في البلاد العربية والإسلامية، إلا أن الجهود الأمريكية باءت بالفشل، بل ساهمت أيضا في تعميق الشكوك في مصداقية بوش وعقلانية سياساته. ومن العوامل التي ساهمت في تعميق تلك الشكوك، اتجاه الرئيس بوش إلى استخدام عبارات عدائية تفتقر إلى الذكاء والحساسية، مثل عبارتي "الحرب الصليبية" و"الإسلام الفاشي"، وتناقض أقواله مع أفعاله، وعدم التزامه بما يصدر عن إدارته ورجاله من تصريحات، خاصة فيما يتعلق بقضية فلسطين وحقوق شعبها المحتل.

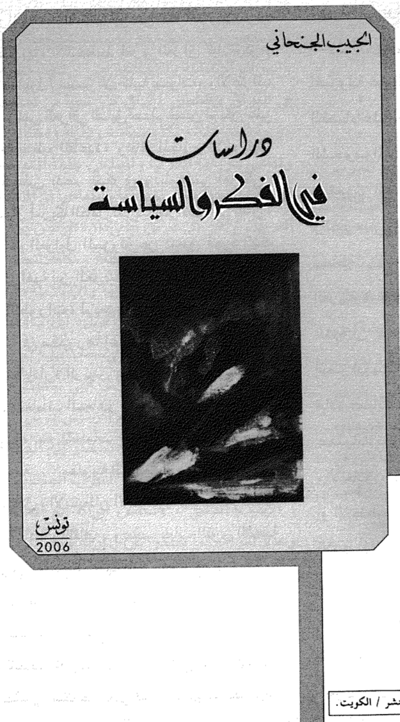
نتيجة لذلك زادت أعداد العمليات الإرهابية وحِدَّتُها بدلا من أن تتراجع، وأصبح العراق، كما اعترفت الإدارة الأمريكية نفسها، بؤرة إرهاب ومعسكرا لتدريب الإرهابيين، وعنوانا لكل من

يرغب في الانضمام لصفوف القوى الملتزمة بمحاربة الاحتلال ومقاومة سياسة الهيمنة الأمريكية. ويمكن القول إن استمرار الحرب على العراق، وكشف الكثير من الجرائم والأسرار المتعلقة بها، كالتخطيط لغزو العراق قبل وقوع أحداث أيلول/ سبتمبر الإرهابية بسنوات، والاعتراف بأن الرئيس العراقي السابق صدام حسين لم يكن على علاقة بتنظيم القاعدة، وتفاقم المجازر الإسرائيلية في فلسطين بدعم عسكري ودبلوماسي أمريكي، وانحياز أمريكا الكامل لحرب إسرائيل على لبنان، تُعَدُّ أهم العوامل المسؤولة عن تعميق فجوة الشك والكراهية بين العرب والأمريكيين. وفي ضوء هذه التطورات، لم يعد بالإمكان خلق قنوات حوار فعالة في مقدورها إعادة بناء جسور الثقة التي دمرتها إدارة الرئيس بوش بالكامل، ما ساهم في زيادة تعاطف الجماهير الإسلامية عامة، والعربية خاصة، مع المنظمات التي تعمل على نشر ثقافة المقاومة... مقاومة الهيمنة الأمريكية، وسياسة الاحتلال والاستيطان الإسرائيلية، ومفاهيم العولمة الاقتصادية والثقافية. وبسبب غياب القوى الشعبية القومية والديمقراطية المنظمة، وخضوع أنظمة الحكم العربية للضغوط الأمريكية، وضعف منظمات المجتمع المدني والمثقفين عامة، فإن منظمات المقاومة الإسلامية التي تجسد الإسلام السياسي استولت على قيادة عمليات المقاومة، العسكرية منها وغير العسكرية.

وما أن بدأت الحرب الإسرائيلية على لبنان في شهر تموز/ يوليو الماضي، حتى قامت الكثير من الدول الأوروبية والعربية بتحميل حزب الله المسؤولية عن الحرب، والتحرك الواعي في اتجاه القضاء على ثقافة المقاومة حيث وجدت. لكن الشعوب المغلوبة على أمرها لم تجد في ضوء استمرار الظلم وسياسات الاستبداد الداخلية والخارجية بديلا من الإسلام السياسي الذي يقول ببساطة: "الإسلام هو الحل". وحيث أن نظم الحكم العربية لا تقوى على مواجهة التيارات الإسلامية خشية أن تتهم بمعاداة الإسلام، فإن غالبية تلك النظم اتجهت إلى منافسة المنظمات الإسلامية في قيادة عمليات التثقيف التي تقوم على الدين، وهي عمليات تقوم بتوجيه العقل في اتجاه التزمت والانغلاق، ولا يمكن التحكم في تبعاتها السياسية أو الاجتماعية. وهكذا تساهم أمريكا وحربها على الإرهاب في زيادة حدة الإرهاب، وتعميق الكراهية المتبادلة بين العرب وأمريكا، واتساع نفوذ المنظمات الإسلامية، وانتشار الفكر الديني المتزمت، وتراجع دور العلم والمثقفين في الحياة العربية عامة. ■

- ٤ -

د. الحبيب الجنحاني



المؤلف : الدكتور الحبيب الجنحاني
الكتاب : دراسات في الفكر والسياسة
الطبعة الأولى : تونس 2006

لوحة الغلاف : للفنان رؤوف قارة
التصميم والإخراج الفني : المنصف المزغني

الطباعة والتسفير: الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم
1، نهج محمد رشيد رضا 1002 تونس
الهاتف: 71790.933 – الفاكس: 71 790.313

سعر النسخة في تونس: 12.000 د.ت

ينشر هذا الكتاب بالتعاون مع دار سعاد الصباح للنشر / الكويت.

ر.د.م.ك. : ISBN : 978-9973-61-341-7

دراسات في الفكر والسياسة

أقدّم للقراء الكرام في هذا الكتاب مجموعة من الدراسات كتبت في فترات مختلفة، نشر بعضها في مجلات أكاديمية، وفكرية، ولم ينشر قسم منها، وقد رأيت إصدارها في هذا المجلد ليسهل على المهتمين بموضوعاتها الرجوع إليها، والإفادة منها في أبحاثهم.

تتناول هذه النصوص المحاور الآتية:

أ – قضايا الحداثة.

ب – تجديد المناهج والمقاربات في تناول قضايا المجتمع العربي الإسلامي.

ج – قضايا الحرية، والإصلاح السياسي في العالم العربي.

وهي قضايا شغلت، وما تزال،المفكرين والسياسيين العرب منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى اليوم. وسيلاحظ قارئها أن كثيرا من الأسئلة التي طرحتها النخبة المثقفة العربيّة في القرنين التاسع عشر والعشرين ما تزال اليوم مطروحة، ونحن في مطلع القرن الحادي والعشرين، وإن تعددت الأزمنة واختلفت المقاربات، وتتبوأ مسألة الحرية والإصلاح السياسي مكان الصدارة.

وأود في هذا الصدد إبداء الملاحظتين التاليتين:

أولا – إنّ جميع التجارب الناجحة التي عرفتها المجتمعات المعاصرة في مجال التحديث قد برهنت بوضوح على أهمية حريّة الفكر والإبداع لتحقيق التقدّم في شتى الميادين، خاصة في الميدان السياسي، إذ لايمكن أن نتصور سياسة عقلانية ناجحة في تسيير شؤون الناس والمجتمع دون اعتماد على فكر حرّ ومبدع، ومُعاد في الوقت ذاته لجميع مظاهر الرداءة والسقوط.

ثانيا – إنّ التوتر الذي تتسم به علاقة المفكر بالسلطة السياسية في الوطن العربي منذ بداية عصر النهضة العربية في القرن التاسع عشر حتى اليوم يعد من أبرز أسباب ظاهرة التردي التي تعانى منها اليوم جلّ الأقطار العربية.

إنني حريص في نهاية هذه السطور على أن أشكر الأصدقاء الذين قرأوا فصول الكتاب، وأبدوا ملاحظاتهم، وأخص بالشكر هنا الشاعرة الكويتية الصديقة الدكتورة سعاد الصباح على مساهمتها في نشر هذا الكتاب.

الحبيب الجنحاني

تونس، جانفي / يناير 2006

- ٥ -

د. حميد الجميلي

خمسة إصدارات عن:

أكاديمية الدراسات العليا، طرابلس - ليبيـــا

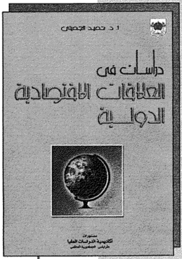
دراسات في العلاقات الاقتصادية الدولية

الناشر: أكاديمية الدراسات العليا

تأليف: د. حميد الجميلي

يراد بالعلاقات الاقتصادية الدولية متعددة الأطراف مجمل الإجراءات والممارسات والقواعد التي تحكم العلاقات الاقتصادية بين دول متعددة تنتمي إلى مجموعة إقليمية معينة Regional أو مجموعات إقليمية مختلفة (ما بين الأقاليم Inter-Regional)، أو بين مجموعات اقتصادية دولية مختلفة، خاصة بين مجموعة الدول النامية ومجموعة الدول الصناعية المتقدمة.

ومما يُسهم في زيادة الاهتمام بموضوع العلاقات الاقتصادية الدولية، ظهور منظمة الأمم المتحدة والوكالات المتخصصة والهيئات التابعة لها التي تُعنى بمختلف القضايا الاقتصادية، كالمجلس الإقتصادي والاجتماعي ومنظمة الغذاء والزراعة الدولية، وكذلك عقد المؤتمرات الاقتصادية الدولية والإقليمية وعبر الإقليمية، كالسوق الأوربية المشتركة، ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD)، ومجلس التعاضد الاقتصادي للدول الاشتراكية (سيف)، وجامعة الدول العربية والسوق العربية المشتركة التابعة لها، والمنظمة الاقتصادية لدول أمريكا اللاتينية (سيلا)، والسوق المشتركة لدول وسط أمريكا، ومنظمة آسيان في جنوب شرق آسيا وغيرها.



لكن كيف يمكن للدول النامية العمل على تغيير الأوضاع الراهنة للنظام الاقتصادي الدولي الراهن؟ ومتى ستستشعر أهمية دراسة العلاقات الاقتصادية الدولية من منظور مصالحها الاقتصادية، خاصة بعد أن تسارعت التطورات الاقتصادية، وبدأت تأخذ شكل التغيرات الجذرية؟

... وفي ضوء أهمية دراسة العلاقات الاقتصادية الدولية، تم إعداد هذا المؤلَّف وفق منهجية حركية، شمولية، استشرافية، تعتمد على المنهج التحليلي والمنهج الاستشرافي المستقبلي، وهذه المناهج يكمل بعضها البعض بحيث تشكل منهجا حديثا لدراسة العلاقات الاقتصادية الدولية في ضوء التطورات الاقتصادية المعاصرة.

[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب]

دراسات في الاقتصاد السياسي للعولمة

الناشر: أكاديمية الدراسات العليا/ ليبيا

تأليف: د. حميد الجميلي

مع بداية التسعينيات انتشرت ظاهرة العولمة لتعني الانتقال من الاقتصاد الدولي، الذي تتكون خلاياه القاعدية من اقتصادات متنافسة ومتمحورة على الذات، إلى الاقتصاد العالمي القائم على النظم الكونية وعلى منطق اللاحواجز بوجه السلع والخدمات ورؤوس الأموال والاستثمارات والتكنولوجيا؛ وبدأ ما يُسمى الاقتصاد العابر للحدود بأخذ السمة المميزة لاقتصاد القرن الحادي والعشرين بحيث تبدو الحدود الطبيعية والسيادية والجغرافية السياسية وكأنها رمز من رموز الماضي وتراث الأمم.



وفي إطار الاقتصاد العابر للحدود يتقلص منطق الدولة ومنطق الأراضي، ويتقلص كذلك منطق سلطة الدولة وسيادتها الاقتصادية، كما يصبح مصدر الكثير من القرارات الاقتصادية آتيًا من خارج منظومة العلاقات الاقتصادية الدولية، أي آتيًا من المؤسسات الاقتصادية الكونية العابرة للحدود، حيث لا سلطة للدولة وللحدود وللسيادة الوطنية عليها.

وانطلاقًا من أهمية ظاهرة العولمة، فإن هذا الكتاب يحتوي على مجموعة دراسات حديثة ذات أبعاد تحليلية استشرافية تلقي الضوء على تحليل ظاهرة العولمة ومرجعياتها وأولوياتها والنتائج المترتبة عليها.

وقد تم ترتيب فصول هذا الكتاب بدءًا من تحليل العولمة بكل أبعادها، مرورًا بتحليلات لمواضيع أساسية وارتكازية، وانتهاءً بالمشهد الاقتصادي العربي وخيارات المستقبل في ظل العولمة.

والدراسات التي يحتويها هذا الكتاب تتجاوز التحليل إلى استشراف المستقبل؛ من خلال التعمق والتوغل في الرؤى والتصورات والمشاهد المستقبلية التي تشكل قوام التفكير الاستراتيجي والفكري لظاهرة العولمة وانعكاساتها.

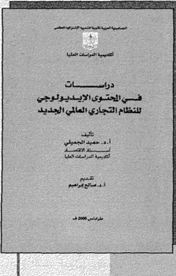
[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب]

دراسات في المحتوى الأيديولوجي للنظام التجاري العالمي الجديد

الناشر: أكاديمية الدراسات العليا/ ليبيا

تأليف: د. حميد الجميلي

إن الدكتور الجميلي يحاول من خلال هذا الكتاب أن يبين حقيقة المحتوى الأيديولوجي للعولمة، أو النظام التجاري العالمي الجديد المؤسس على اتفاقيات الغات في جولة أوروغواي، مرورًا باتفاقية مراكش ونهاية بجملة التطورات الاقتصادية المتعاقبة والقادمة.



إن د. الجميلي بصفته مفكرًا اقتصاديًا قوميًا يحاول أن يستشرف المستقبل للاقتصاد السياسي للغات، والمشاكل والصعوبات التي بدأت تواجه الدول النامية، ومن بينها الدول العربية، وتهدد مستقبل تلك الدول؛ وماهي السياسات التي يجب أن تتبع لتفادي مستقبل كارثي لتلك الدول، وفي مقدمتها الدول العربية التي امتنعت عن تحرير تجارتها البينية، وأخفقت في تأسيس منطقة التجارة العربية الحرة الكبرى، وفشلت في تأسيس السوق العربية المشتركة، وترضخ اليوم لشروط قاسية وخسائر جمّة ما كانت تواجهها لو انتهجت سياسة التكامل الاقتصادي العربي.

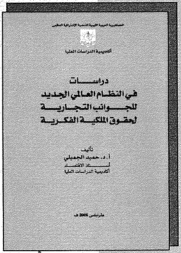
إن د. الجميلي يحاول بناء خريطة جديدة للنظام التجاري العربي في ظل الظروف والتحولات الدولية المعاصرة، ويبرهن على أن منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى هي الملاذ الوحيد للعرب للاندماج في الاقتصاد العالمي دون تعرضهم لمستقبل مظلم، ومصير كارثي لا مفر منه.

[من تقديم د. صالح إبراهيم مبروك (بتصرف طفيف)]

دراسات في النظام العالمي الجديد للجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية

الناشر: أكاديمية الدراسات العليا/ ليبيا

تأليف: د. حميد الجميلي



تعد حقوق الملكية الفكرية وحماية الأفكار المتعلقة بالتجارة إحدى القضايا المهمة في منظمة التجارة العالمية، على الرغم من أنها لا علاقة لها اطلاقًا بتحرير التجارة لكنها تتعلق بحماية الأفكار. فبعد أن أصبحت قيمة السلع تقاس بمحتواها الفكري، وأصبحت نسبة عالية من الكلف النهائية تعود للبحث والتطوير والإبداع والتكنولوجيا، أدخلت حقوق الطبع والنشر وبراءات الاختراع والعلامات التجارية وغيرها قضية أساسية في المفاوضات. كما أصبحت هذه الأمور مصدر توتر في العلاقات الاقتصادية الدولية، خاصة بين الدول المتقدمة والدول النامية.

إن هذا العمل هو في الأصل مجموعة لرؤى وتحليلات حول انعكاسات اتفاقية الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية على مستقبل اقتصاديات الدول النامية. وترجع أهمية هذا الموضوع إلى اتفاقية الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية مع الاتفاقيات السابقة لها باتت تشكل نظامًا دوليًا جديدًا لحقوق الملكية الفكرية كجزء من النظام التجاري العالمي الجديد الذي تشرف عليه منظمة التجارة العالمية. وبهذه المناسبة لا بد من الإشارة إلى أن هذا العمل استند أصلاً إلى الكثير من الدراسات المهمة التي نشرت حول هذا الموضوع.

نأمل من هذا العمل خدمة طلبة الدراسات العليا والباحثين المهتمين بمجال الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية. وهنا لا بد من التأكيد بأنني لا أدعي الأصالة في هذا العمل بقدر ما أهدف إلى وضع مصدر جديد بين يدي طالب الدراسات العليا

ومن الله التوفيق.

[من مقدمة المؤلف (بتصرف طفيف)]

دراسات معاصرة في الاقتصاد الدولي التطبيقي

الناشر: أكاديمية الدراسات العليا/ ليبيا

تأليف: د. حميد الجميلي



منذ بداية تسعينيات القرن الماضي تسارعت التطورات الاقتصادية العالمية والإقليمية آخذة منحى التغيرات الجذرية، لتشكل انعطافًا جديدًا في الاقتصاد الدولي التطبيقي. وضمن هذا الاتجاه أخذت مراكز البحوث تروج لقضايا اقتصادية معاصرة في مجال الاقتصاد الدولي التطبيقي، واتسع حجم الدراسات والمعلومات والندوات التي تبحث في هذه القضايا، وتدفقت الدراسات حول الاستثمارات الأجنبية ودور الشركات متعددة الجنسية، وكذلك الدراسات الخاصة بتحرير التجارة وتحرير رأسمال العولمة المالية والعولمة التجارية، فضلا عن ذلك السيل في الدراسات حول التخصصية.

وانطلاقًا من أهمية هذه الدراسات، فقد جاء هذا الكتاب ليحلل قضايا اقتصادية معاصرة يطرحها الاقتصاد الدولي التطبيقي المعاصر. وقد تم اختيار هذه الدراسات بعناية فائقة؛ لكي تكون بمستوى تحليلي يستفيد منها طلبة الدراسات العليا، خاصة من هم في مرحلة كتابة رسائل الماجستير أو الدكتوراه ودارسي قضايا الاقتصاد الدولي التطبيقي، كقضية الشركات متعددة الجنسية ودورها في الاقتصاد الدولي، وقضية الاستثمارات الأجنبية وخريطة توزيعها، وقضايا العولمة المالية، وقضايا التخصصية، وقضايا سياسات صندوق النقد الدولي، وقضايا أزمات الإقتصاد العالمي المعاصرة.

[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب]

- ٦ -

د. عبد الحسين شعبان

سبعة إصدارات

فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي

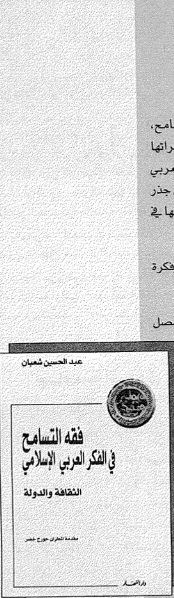
الناشر: دار النهار/ بيروت
تأليف: د. عبد الحسين شعبان

الكتاب الذي نضعه بيد القارئ ينقسم إلى خمسة فصول:

الأول يبحث في موضوع "الراهن والتاريخي في مسألة التسامح"، ويطل على الغرب وفكرة التسامح، خصوصًا بعد أحداث ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ الإرهابية التي حصلت في الولايات المتحدة، وتأثيراتها السلبية وانعكاساتها الخطيرة على حال حقوق الإنسان في العالم أجمع، خاصة على العالمين العربي والإسلامي، وبالتحديد بعد الحرب على أفغانستان والعراق. وفي القسم الثاني من الفصل الأول نتناول جذر فكرة التسامح عبر فلسفة التنوير، كأساس للمقارنة والاسترشاد حين نبحث الفكرة في الإسلام ومقابلها في حياتنا المعاصرة.

أما الفصل الثاني فإنه يتناول "التسامح والفقه الدولي المعاصر"، ويتوقف عند الأمم المتحدة وفكرة التسامح وإعلان اليونسكو والتسامح، ويبحث في إشكاليات التسامح ومعناه على المستوى الدولي.

وخصصنا الفصل الثالث لمناقشة مسألة "التسامح في الفكر العربي الإسلامي". فقدمنا هذا الفصل بدراسة أولية لمسألة "اللاعنف والتسامح في المسيحية" التي هي أقدم من الإسلام سعيًا للبحث عن المشترك الإنساني وتمهيدًا لدراسة التسامح في الإسلام، وذلك من خلال تناول ثلاثة مباحث: الأول يتعلق بالتسامح والإسلام السياسي؛ والثاني يتناول الشريعة الإسلامية والتسامح؛ والثالث يدرس جذر التسامح والتوثيق العربي الإسلامي من خلال حلف الفضول ودستور المدينة وصلح الحديبية والعهدة العمرية ووثيقة فتح القسطنطينية.



أما الفصل الرابع فانه موقوف على البحث في السيرة المحمدية بتقديم نماذج من التراث والمعاصرة، ونبحث فيه الأصل في التسامح لدى النبي محمد ونعرض لموقفين متناقضين للفكر العربي الإسلامي المعاصر من التسامح.

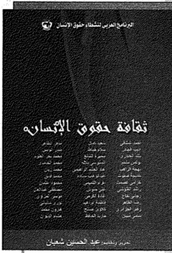
وفي الفصل الخامس درسنا "الخطاب العربي الإسلامي المعاصر بشأن التسامح"، حيث عرضنا آراء بعض المصلحين العرب والمسلمين وأفكارهم منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، عبر إطلالة على الفكر الديني والليبرالي، ثم وقفة للمراجعة من خلال طرح أسئلة للنقد. وفي الختام بحثنا في فرضيات التسامح مع بعض المراجع والمصادر الأساسية.

[من تمهيد المؤلف (بتصرف طفيف)]

ثقافة حقوق الإنسان

الناشر: رابطة كاوا للثقافة الكردية/ بيروت
تحرير وتقديم: د. عبد الحسين شعبان

يقدم هذا الكتاب حصيلة مناقشات فكرية مثمرة بين كثير من الباحثين والمثقفين العرب المهتمين بحقوق الإنسان، خاصة في تناولها لقضايا في غاية الأهمية. وتعد أوراق هذا الكتاب ومداخلاته حصيلة الملتقيات الفكرية من الثالث إلى السابع التي عقدتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان ببريطانيا. وتناولت هذه الملتقيات موضوعات الثقافة والمثقفين بحقوق الإنسان؛ المرأة وحقوق الإنسان؛ التسامح والنخب العربية وحقوق الإنسان؛ القدس وحقوق الإنسان؛ الحصار الدولي والواقع العربي. وعقدت هذه الملتقيات في الفترة من عام ١٩٩٤ حتى عام ١٩٩٨. وكما سنرى استضافت هذه الملتقيات باحثين عرب من مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، ومن رموز الحركة القومية واليسارية، إضافة إلى المنتمين للتيار الإسلامي، ما أسهم في تعدد الرؤى المقدمة إلى القارىء وإثرائها. خاصة فيما يتصل بموضوعات لا تزال تمثل قضايا خلافية في واقعنا العربي، ولعل أبرز مثال لذلك في النقاش حول قضايا المرأة وحقوق الإنسان.



ويمثل عدد الموضوعات التي تم النقاش حولها قضايا محورية لترسيخ أفكار حقوق الإنسان، أهمها كيف يتم نشر ثقافة حقوق الإنسان. وكما يقول د. عبد الحسين شعبان في مقدمته، يظل موضوع ثقافة حقوق الإنسان أحد المواضيع الأساسية التي هي بحاجة إلى إعمال الجهد والفكر، وابتداع أساليب جديدة لنشرها وترويجها وتعزيزها، ليس على صعيد النخب السياسية والثقافية والفكرية وحسب، بل على صعيد المواطن العادي. وحسنًا أن قدم د. عبد الحسين مقدمة لمناقشة إشكاليات ما زالت ملتبسة في منظومة حقوق الإنسان، مثل مفاهيم الخصوصية والعالمية وتسييس حقوق الإنسان وسيادة الدولة.

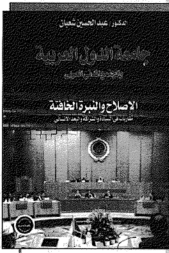
كما يخوض هذا الكتاب في موضوعات غير تقليدية، فيناقش حقوق المرأة في الأدب، والشعور بالأمان وعدم الأمان في مجال حياة المرأة، كما يقدم رؤى إسلامية ومسيحية مهمة في موضوع التسامح.

من ناحية أخرى تثبت هذه المناقشات اهتمام المثقفين العرب - بالرغم من وجودهم في المنافي - بقضايا الأمة العربية، وعلى رأسها قضية القدس، والحصار الدولي المفروض على الدول العربية " ليبيا والعراق والسودان وفلسطين" ، وأثره على انتهاكات حقوق الإنسان.

[من تقديم البرنامج العربي لنشطاء حقوق الإنسان (بتصرف طفيف)]

جامعة الدول العربية والمجتمع المدني العربي

الناشر: مركز المحروسة/ القاهرة
تأليف: د. عبد الحسين شعبان



يحمل هذا الكتاب الذي يعد رائداً من حيث موضوعه، رؤية مفكر عربي بارز وواحد من أبرز نشطاء المجتمع المدني العربي، حول قضية مهمة، ألا وهي إصلاح جامعة الدول ودور منظمات المجتمع المدني. والنبرة الخافتة التي يتسم بها الكتاب هي في الحقيقة تعلو بعمقها ورصانتها، فتحملنا بسلاسة إلى جوهر الموضوع، حيث يتناول الباحث مختلف جوانبه: أزمة الجامعة العربية وسبل الإصلاح، العلاقة بين السيادة ومنطق التدخل الإنساني في زمن العولمة، وقضية الشراكة بين المجتمع المدني العربي وجامعة الدول العربية.

إن ما يميز هذا الكتاب أنه يعكس رؤية مثقف وحقوقي عربي ضليع عاش هموم أمته، مفكرًا ومناضلاً من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان على مدى عقود الزمان.

فما أحوجنا في هذه المرحلة الحرجة من تاريخنا إلى مثل هذه الرؤى التي تعكس هموم العقل العربي الناضج وتطلعاته إلى الإصلاح الذي يعني في رؤية كاتبنا تحرير إدارة المواطن والشعوب العربية وصيانتها من خلال الديمقراطية وحقوق الإنسان.

[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب]

العراق

الدستور والدولة من الاحتلال إلى الاحتلال

توزيع: مركز المحروسة/ القاهرة
تأليف: د. عبد الحسين شعبان



بين دفتي هذا الكتاب يأخذنا المفكر العراقي البارز الدكتور عبد الحسين شعبان في سياحة عبر تاريخ الدولة العراقية الحديث من الاحتلال إلى الاحتلال. وكعادته يستثمر المؤلف عمله وجمال أسلوبه ليقدم لنا نصًا يمتزج فيه التاريخ بعلم السياسة والقانون. وهكذا تأتي قراءته لإشكالية الدستور العراقي بمثابة قراءة حقوقية في التاريخ السياسي للعراق الحديث. وهي كذلك رؤية قانونية تحليلية للدساتير العراقية المتعاقبة، بداية من دستور عام ١٩٢٥ لينتهي بنا إلى محطة الحاضر. فيقدم لنا تحليلاً دقيقًا لقانون إدارة الدولة للمرحلة الانتقالية الصادر في آذار/ مارس ٢٠٠٤، بما فيه من ألغام خطيرة دون أن يهمل بعض (إيجابياته). وكما عوّدنا الدكتور شعبان في أعماله الفكرية، فقد امتلك في هذا الكتاب ناصية موضوعه ليضيء الحاضر بالماضي والماضي بالحاضر في قراءة استشرافية استرجاعية. ولعل الأهمية الاستثنائية لهذا الكتاب تتمثل في أنه ينتقل من حيز التوقعات والاستنتاجات إلى دائرة الاشتباك الفكري والسياسي والحقوقي مع المشهد العراقي الحالي بكل تعقيداته وأزماته.

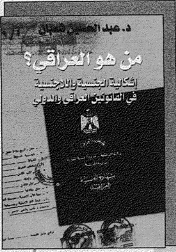
إنه كتاب عن العراق لمفكر عراقي يعيش هموم وطنه ويفكر فيها بعقل نقدي ورؤية موضوعية مستقلة.

[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب]

من هو العراقي؟

إشكالية الجنسية واللاجنسية في القانونين العراقي والدولي

الناشر: مركز الدراسات الشرقية/ بيروت
توزيع: دار الكنوز الأدبية/ بيروت
تأليف: د. عبد الحسين شعبان



الاشكالية التي يعالجها الدكتور عبد الحسين شعبان على غاية من الحساسية والخطورة. ونعني بها مسألة الجنسية والمواطنة والهوية والتمييز. ويداهمك عنوان الكتاب "من هو العراقي؟" بطرح الإشكالية على نحو مباشر بأبعادها القانونية والسياسية والاجتماعية والثقافية والقومية والدينية والمذهبية. والأهم من كل ذلك بالانعكاسات الإنسانية والنفسية لظاهرة مستفحلة لم يتم بحثها بصورة مباشرة منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة. وإن بُحثت أحيانًا، فمن زاوية إنحيازية، أو بالزوغان عنها وفقًا لتفسيرات أو تأويلات، وربما تجنبًا لمواجهات أو خوفًا من الوقوع في الخطأ أو الاتهام.

ضمن منهج انتقادي وعلمي رصين شرّح الدكتور شعبان، وهو باحث مجدد وأكاديمي وحقوقي متخصص، ظاهرة الطائفية السياسية بجرأة ومسؤولية وطنية، وبترفع شديد، وبعيدًا عنها توقف عند القوانين العراقية وقارنها بالقوانين الدولية، وعلى قاعدة حقوق الإنسان اقترح حلولاً ومعالجات لمسألة المواطنة والمساواة والتمييز والجنسية والدستور.

لقد طرح الكتاب أسئلة فكرية جديدة بخصوص المستقبل يعتمد على حلها تحقيق السلام الاجتماعي والوحدة الوطنية والتنمية والتحول الديمقراطي، وأولاً وقبل كل شيء، ضمان حق كل مواطن في جنسيته، وأن لا يُحرم أي مواطن منها ويُشكك في مواطنته وهويته وحقوقه تعسفًا.

[من الغلاف الخارجي الأخير للكتاب]

الاختفاء القسري

بين القانون الدولي والواقع العربي

الكيخيا نموذجًا

الناشر: مجلة شؤون ليبية/ ليبيا

تأليف: د. عبد الحسين شعبان

إن هدف هذا البحث يتلخص في تسليط الضوء على إحدى قضايا حقوق الإنسان الخطيرة، ونعني بها قضية "الاختفاء القسري"، ودراسة موقف القانون الدولي منها، بالارتباط مع المواثيق واللوائح الدولية لحقوق الإنسان، بما فيها محطة مؤتمر فيينا لعام ١٩٩٣ حول حقوق الإنسان.

واستهدف البحث أيضًا الوقوف عند ملابسات قضية اختفاء منصور الكيخيا من فندق السفير في الدقي في القاهرة (١٠ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٣)، حيث كان الكاتب يقيم أيضًا لحضور المؤتمر الثالث للجمعية العمومية للمنظمة العربية لحقوق الإنسان.



وبقدر تناول الظاهرة دوليًا وعربيًا، والتركيز على منصور الكيخيا نموذجًا للمختفين قسريًا، استهدف البحث إثارة أسئلة بحاجة إلى إجابات ودراسات معمّقة حول كيف ولماذا تمارس سلطة أو سلطات مدججة بالسلاح والمال والمخبرين مهمات أبعد ما تكون عن مهمات الدولة، فتخطف مواطنًا أعزل في خلسة من الزمن ثم تخفيه بعيدًا عن الأنظار، في حين تظل الشبهات تحوم حولها والمتواطئين والمتعاونين معها. وأخيرًا فإن البحث توقف عند بعض الاتهامات المتبادلة بين الأجهزة المختلفة، فيما كان الصمت لسنوات هو سيد الموقف.

كلّ ذلك استهدفه البحث كمقدمة أولية لإخراج القضية من دائرة الظل إلى دائرة الضوء، بما له علاقة بصدقية العمل في ميدان حقوق الإنسان. فالاختفاء استهدف فيما استهدف إسكات المدافعين عن حقوق الإنسان بحيث يصبح المدافع هو الضحية!

فهل ينبغي السكوت كي تبرد القضية ويلفّها النسيان؟

ذلك ما يراهن عليه المرتكبون، في كل زمان ومكان!

[من مقدمة المؤلف (بتصرف طفيف)]

عبد الحسين شعبان

صورة قلمية

الحق والحرف والإنسان

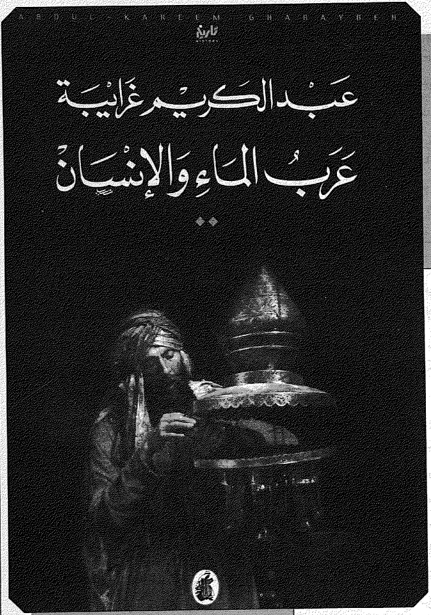


الناشر: مركز المحروسة/ القاهرة

إعداد: البرنامج العربي لنشطاء حقوق الإنسان

يتضمن الكتاب وقائع حفل تكريم للدكتور عبد الحسين شعبان، بما في ذلك الكلمات التي ألقاها عدد من المفكرين والأدباء والكتاب والشعراء والأكاديميين والصحافيين والمسؤولين. كما يتضمن مختارات مما كتب عن الدكتور شعبان وسيرة حياته وعرض لكتابه **من هو العراقي؟**؛ إضافة إلى مقطع من حوار أجري معه حول حركة حقوق الإنسان العربية بين الخطر الداخلي والازدواجية الدولية.

القطْف الرابع



عرب الماء والإنسان / تاريخ
الأستاذ الدكتور عبد الكريم غرايبة / مؤلّف من الأردنّ
الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص.ب : ٥٤٦٠-١١ ، العنوان البرقي : موكيّالي ،
هاتفاكس : ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص.ب : ٩١٥٧ ، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢ ، هاتفاكس : ٥٦٨٥٥٠١
E-mail : mkayyali@nets.com.jo
الإشراف الفنّي :
سعيد ®
لوحة الغلاف :
أنطونيو ماريا فابرس (١٨٥٥ - ١٩٣٨م) / إسبانيا
الصفّ الضوئيّ :
المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
التنفيذ الطباعيّ :
مصطفى قانصو للتجارة والطباعة / بيروت ، لبنان

ISBN 9953-36-836-8

لم يعد التاريخ مادة أرستقراطية تكتبها فئة متعلمة ومطلعة لمصلحة مجموعة مختارة من أصحاب المصالح الحقيقية في البلد - أي الحكام ومن حولهم . ولا يتحدث التاريخ اليوم عن أفراد محدودين متميزين قليلي العدد . بل أصبح التاريخ أوسع أبواب المعرفة وأكثرها شعبية وأقلها دقة وأشدها إلهاباً للمشاعر وإثارة للعواطف . أصبح التاريخ خطراً يهدد الإنسانية ويتوجب ضبطه ووضع قيود لمنع إساءة استعماله . علينا أن نستخدم التاريخ لغرس المحبة بدلاً من الكراهية في نفوس الأبناء . ويميل الاتجاه العالمي العام إلى الانفراج ، مما دفع دولاً مثل الدول الاسكندنافية ثم فرنسا وألمانيا ، وأخيراً سعت الدول الأوروبية مجتمعة «الاتحاد الأوروبي» إلى إعادة النظر في كتب الأطفال . وشعرت دول مثل الكوريتين والصين وغيرها بالغضب ولجأت إلى الاحتجاج على كتب التاريخ اليابانية . وسبق لجيوش الاحتلال في إيطاليا وألمانيا واليابان أن منعت تداول كتب التاريخ لفترة طويلة . وقد رأينا كيف سبقهم في هذا الاتجاه الخليفة عمر بن الخطاب . وبدا للناس اليوم أن الكرة الأرضية أصغر من أن تتحمل زرع الأحقاد ولا تقوى على تحمل ذاكرة مرة بين أممها . وهذا يظهر أن الأمن التاريخي هو ركيزة الأمن العسكري والحربي في العالم .

وقد حاولت في كتابي هذا أن أتجنب اجترار ذاكرة قد تكون حاقدة جاعلاً الحب مقياساً للعلاقات بين الشعوب . لذا ضعف الاهتمام بمن سموهم قادة أو زعماء أو أبطال أو سلاطين أو غير ذلك . وعندما أراد جلالة المرحوم الملك عبد الله الأول أن يمتحنني إبان زيارته الرسمية إلى لندن وإقامته في فندق هايدبارك صيف ١٩٤٩م سألني من هو السلطان العثماني الرابع عشر . وأجبته ، وأنا لا أقصد الإساءة ، أننا في دراستنا نهتم بالشعوب لا بالسلاطين . ولم أدرك أن ما قلته خارج على حدود اللياقة . ولم أعتذر . ولم يغضب الملك . وقابلته بعد عودتي من دراستي في كانون الثاني ١٩٥١م فأظهر لي من الحب والعطف ما لم أتوقعه .

ويتألف هذا الكتاب من جزأين وعشرة فصول وخاتمة على الشكل التالي :

أولاً : الجزء الأول :

ويُشكِّل قاعدة معلومات أساسية للجزء الثاني ، وتُبيِّن أثر العوامل الطبيعية

والأوبئة .

فصل (١) : المقدمة ، وهي طويلة تحاول استعراض تاريخ العرب بطريقة خاصة .

فصل (٢) : الأرض العربية ، دراسة جغرافية للأرض العربية .

فصل (٣) : المياه ، أهمية المياه للعرب وعنايتهم باستنباطها ونقلها إلى أماكن مرتفعة وتزويد المدن بمياه الشرب .

فصل (٤) : اللسان والمعاجم ويضم إليه دراسة عن عنترة وأخرى عن المتنبي واللغة العربية في المغرب لتبين أن قصة عنترة ظاهرة أدبية منتشرة في الآداب الأخرى وأن المتنبي له وضع غريب ، كما أن اللغة العربية في المغرب ليست لهجة عامية محلية بل لهجة عربية قديمة منقطعة انتقلت إلى المغرب بعد القرن السادس عشر الميلادي .

فصل (٥) : الإنسان العربي ، استعراض للأقطار العربية قطراً قطراً مع البيئة البشرية في كلٍّ منها .

ثانياً : الجزء الثاني

فصل (٦) : التمزق في عهد القوة ، توضح أن التجزئة الكبرى حدثت في العهد العباسي الأول فلم يبق لثامن العباسيين أكثر من عُشر الأرض التي حكمها العباسي الأول بينما قامت في الباقي دول مستقلة ذاتياً أو بشكل تام .

فصل (٧) : التمزق في عهد الضعف ، وهو قليل قياساً على ما حدث في عهد القوة .

فصل (٨) : مصر قطب الرحى بدلاً من بغداد ، بعد أن قامت فيها وحدات كبيرة تمثلها الدولة الفاطمية فالأيوبية ثم المماليك .

فصل (٩) : الجزيرة العربية ، القسم الأول : الحجاز ونجد .

فصل (١٠) : الجزيرة العربية ، القسم الثاني : المناطق الساحلية باستثناء الحجاز .

فصل (١١) : الهلال الخصيب - بلاد الشام (سورية) وبلاد ما بين النهرين (العراق) .

الخاتمة .

الفصل الثالث

عرب وموه وأمواه

﴿وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾
البقرة (آية ٢٢)

الفصل الرابع

اللسان العربي

الناس قد أثموا فينا بظنهم
وصدقوا بالذي أدري وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق قولهم
بأن تحقق ما فينا يظنونا
حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة
بالعفو أجمل من إثم الورى فينا

مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات- تونس

المجلّة التاريخيّة العربيّة للدّراسات العثمانيّة

العدد الثالث والثلاثون؛ آب / أغسطس ٢٠٠٦

إنجاز جديد حول الدراسات العثمانية

د. عبد الجليل التميمي*

حرصنا عند إنشاء **المجلة التاريخية المغاربية (منذ ٣٣ سنة) والمجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية** (منذ ١٨ سنة) على الاهتمام بالدراسات العثمانية اهتماما فاعلا ومركزا من خلال عقدنا لإثني عشر مؤتمرا عربيا ودوليا. ثم كنا قد نظمنا سبعة مؤتمرات دولية متخصصة حول مدونة الآثار العثمانية في العالم. وقد واكب تلك المؤتمرات فريق من المؤرخين العرب والدوليين، وهم الذين عززوا هذا الاتجاه الأكاديمي الذي تجسم من خلال ما نشرناه من مئات الدراسات التاريخية ببضع لغات. كما نشرنا مجموعة أخرى مكملة حول الدراسات نفسها، وصاحب ذلك نشر لعدد من الرسائل الجامعية، ولمجموعات من الوثائق الجديدة التي أعدها مؤرخون عرب ودوليون من الجيل الجديد، ووظفوا في دراساتهم الأرصدة الأرشيفية الجديدة العثمانية التركية أساسا، ثم العربية والأوروبية، وساهموا في تناول كثير من الإشكاليات البحثية عن الإيالات العربية في أثناء العهد العثماني. وتم ذلك من خلال بعض مخابر البحث التاريخي العربية والدولية الجادة والفاعلة في صيرورة هذا التحول السريع لمسارات البحث عن التاريخ العثماني عموما، وتاريخية الإيالات العربية بصفة خاصة.

ولا شك أن مساقات التاريخ العثماني قد تعددت وتفرعت لتغطي الكثير من الاهتمامات المتخصصة التي لم يكن من الممكن معالجتها قبل ثلاثين سنة لعدة عوامل كنا قد تناولناها في بحوثنا. أما اليوم، فإنه بفضل المادة الأرشيفية الجديدة، واستعداد جيل جديد من المؤرخين العرب المهتمين بالعهد العثماني أمكن معالجة تلك الإشكاليات. ولا أدل على ذلك من محاور المؤتمر الحادي

* مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات [أنظر مجلة المنتدى؛ العدد (٢٢٢)، ص ٧٤].

عشر الذي أفردناه لموضوع : **الدراسات التاريخية المقارنة حول المرأة والتحركات الاجتماعية والديمغرافية عن الإيالات العربية أثناء العهد العثماني**، وهو الأمر الذي سمح للمؤرخين العرب بتناول التركيبة الديمغرافية والحركة السكانية في لواء صفد بفلسطين، وكذا التحولات العمرانية والبشرية بباجة، أو حركات النزوح والاستقرار السكاني في واحة الإحساء، أو تلك التي صاحبت الهجرة من مصر وإليها في العصر العثماني الأول، ثم مسألة الإنجاب في مدينة الجزائر التي تعالج إشكالياتها لأول مرة على صعيد إحدى الإيالات العربية. كما تناولت بعض البحوث المقدمة دور المرأة في العملية الوقفية، وتداعيات ذلك اقتصاديا في كل من تونس وحلب وأرض الكنانة أيضا؛ ثم موقع المرأة في الجدال الحضاري عند قاسم أمين، ومدى اهتمام الدولة العثمانية بالرعايا، وخصوصية وظيفة الإفتاء في مكة، على أن هناك ملفات أخرى لم تقع إثارتها.

ومع هذا، نذهب إلى الاعتقاد أن مقاربات المؤرخين العرب لكل هذه الإشكاليات التاريخية المعقدة قد ساهمت بشكل مباشر في إبراز مميزات البحث التاريخي العربي للعهد العثماني، وهو الأمر الذي أهل المدرسة التاريخية العربية المهتمة بالعهد العثماني لأن تكون موجودة على الساحة البحثية الدولية بفضل ما منحته لهذه الدراسات من تنوع وإثراء وتجديد حقيقي للمعرفة التاريخية. إن عدم الاطلاع، وكذا عدم المواكبة لهذه النتائج الملموسة التي قام بها المؤرخون العرب، وتداعيات ذلك على صيرورة البحث التاريخي للعهد العثماني، لم يعد مقبولا بحجة أو بأخرى، في وقت أصبحت العولمة تلعب دورا دقيقا جدا في التواصل البحثي عبر العالم. كذلك فإن تنظيم المؤتمرات التلميعية الإقليمية مع تغييب المؤرخين الفاعلين في الحركية التاريخية عن العهد العثماني، كما تم مؤخرا في دمشق، لا يخدم تطور المعرفة التاريخية العربية في شيء.

ليتفضل الباحثون بالتوقف مليا حول أعمال المؤتمر الحادي عشر المهم حول الدراسات العثمانية. وأنا أنتهز هذه المناسبة لتقديم شكري العالي لكل المؤرخين العرب الذين منحونا ثقتهم العلمية، في الوقت الذي حرص البعض منهم على حضور هذه المؤتمرات منذ أكثر من ٢٤ سنة اليوم. أليس ذلك دليلا بالغ الأهمية على تفعيل البحث التاريخي العربي، بعيدا عن مركب الاستعلاء والغرور الذي يمارسه البعض اليوم؟

إن مؤسستنا، التي أخذت على عاتقها وحدها تنظيم مثل هذه المؤتمرات المتخصصة بانتظام مطلق منذ ربع قرن، ستواصل رسالتها البحثية بثبات وإصرار حتى تحتل الدراسات العثمانية مكانة جديدة في سجل الإنجازات البحثية التي تحققت حول العهد العثماني. لقد أدت مؤسستنا دورا رائدا وفاعلا فيها؛ وهذا بشهادة المؤرخين المنصفين من عرب ودوليين. ■

مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ومؤسسة كونراد أديناور بتونس والجزائر

البيــان الختــامي

للمؤتمر العشرين لمنتدى الفكر المعاصر حول:

الرقباء والرقابة بين السياسي والديني في المجتمعات العربية

٢٢-٢٤ حزيران / يونيو ٢٠٠٦

بدعوة من مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وبالشراكة العلمية مع مؤسسة كونراد أديناور، تم أيام ٢٢-٢٤ حزيران/يونيو ٢٠٠٦ عقد المؤتمر العشرين لمنتدى الفكر المعاصر حول:

الرقباء والرقابة بين السياسي والديني في المجتمعات العربية

افتتح المؤتمر كل من الأستاذ عبد الجليل التميمي، والأستاذ علي محافظة من الجامعة الأردنية، ود. هاردي أستري، الممثل الدائم لمؤسسة كونراد أديناور، حيث ألقت كلمته الآنسة ألفة رفرافي. وقد حضر جلسة الافتتاح أصحاب السعادة السفراء العرب والدوليين الآتية أسماؤهم: المستعرب بيتر سميث، سفير ألمانيا، والسيد فرناندو تابوادا، سفير الأرجنتين، والسيد سلمان الحرفي، سفير فلسطين، والسيد ميشال كارليي، وممثل المجموعة الفرنكوفونية ببلجيكا السيد زينون كويل، والسيد كرسيتو كوتاف، المستشار بسفارة بلغاريا، والممثل الدائم لمؤسسة فريديرتش إيتر، والسيد لوتا فايت، والسيد جامس ميلر، مدير مركز الدراسات المغاربية بتونس (CEMAT). كما حضرها عدد من الوزراء والسفراء التونسيين السابقين، فضلا عن الكثير من الوجوه الجامعية والثقافية وعدد من المهنيين، إضافة إلى ممثلي الصحافة التونسية والعربية.

وقد تم خلال عشر جلسات علمية تقديم ٢٢ محاضرة من باحثين وباحثات جامعيين متخصصين، عربا ودوليين، من البلدان الآتية: الأردن، وإيطاليا، وألمانيا، وتونس، والجزائر، وسورية، والمغرب الأقصى، ومصر، والمملكة المتحدة، وهولندا. وقد تم اختيارهم وفقا لخبرتهم العميقة بهذا الملف،

وهم ينتسبون إلى فضائيات ومراكز وجامعات عربية وأوروبية... كما حضر أكثر من مئة مشارك من المهتمين بهذا الملف الدقيق على صعيد البلاد العربية وأوروبا، والمتخصصين في التاريخ والقانون وعلم الاجتماع والمجتمع المدني والصحافة والأنثروبولوجيا والفلسفة والإعلام والآداب.

وقد غطت البحوث المقدمة كثيرًا من الإشكاليات والمقاربات الدقيقة التي نوجز بعضها هنا:

- إن المجتمعات المعرفية تمر بتحولات عميقة جدا اليوم، بدءًا بتعدد منابر استقاء المعلومات الإنترنتية في الفضاء العربي، وهي التي اخترقت الحواجز الرقابية البائسة التي تبنتها الأنظمة العربية التي احتكرت مصادر المعلومات، وراقبتها، وتحكمت فيها بطريقة أقل ما يقال فيها أنها ترجع إلى العهود السابقة، وهي حتما طريقة غير ذكية، وفي الوقت نفسه نرى عددا من وسائل الإعلام العربية الصاعدة والأورو أمريكية تنتهج أسلوبا قضى بتصيد المعلومات وبثها بالسرعة المذهلة. إن ظاهرة حرية التعبير قد نصت عليها قوانين الأمم المتحدة منذ إنشائها، وقد استمدت تلك الشرعية من مخاضات ثورة الأنوار الغربية التي خاضت أوروبا من أجلها ذلك معارك طويلة للوقوف ضد هيمنة الكنيسة.

- إن ظاهرة الرقابة الكنسية والسياسية والدينية قد تعددت قنواته، وهي تمارس بشكل سافر على جميع المستويات، وإن تداعياتها ظاهرة للعيان في الكثير من تلك الدول المتقدمة التي تفتخر بأنها مصدر الحريات وأمها....

- لقد تغيرت الممارسات التقليدية للأمن السياسي والحضاري والديني للشعوب التي تتعرض اليوم لكل الاختراقات والانتهاكات من مؤسسات ومنظمات دولية، وإن الواجب يحتم على الجميع، نخبا ومنظمات مجتمع مدني، إيجاد أسلوب جديد يقضي بوقف الرقابة البائسة، واحترام اجتهادات الباحثين الذين يُعدُّون المهندسين الحقيقيين لتنمية شعوبهم، وإن واجب جميع الأنظمة السياسية هو منحهم حق التمتع بحرية التعبير الأكاديمية الذي هو حق مشروع، بل هو الشرط الأساسي لتنمية المجتمع، كما أنه تتويج للاستقلال السياسي الذي ضحت من أجله شعوبنا العربية طوال القرن العشرين....

- إن الأنظمة السياسية العربية قد حولت الإعلام إلى أدوات تُسَبِّحُ بحمدها، ومارست عليها الرقابة المباشرة ورقابة رجال الدين والمؤسسات الدينية التي أوكلت لنفسها حق ومسؤولية ترشيد السلوك الجماعي للمجتمع والدفاع عن كينونته الحضارية من خلال الاعتناء بالشرعية الإسلامية، وإعادة هيكلة

الحقل الديني. وهذا ما يفسر المضامين والسلوكيات الرقابية التي يؤمنون بها. ألا يحق اليوم التساؤل حول شرعية احتكار الفقهاء، الذين تسلطوا على التصرف بالشرع الإسلامي، للخطاب الديني الشرعي؟ ثم ألا يستوجب توضيح تلك الجدلية البحثية التي أغرقت العالم الإسلامي في حركة جمود منذ العصور الوسطى... ومحاربة أي اجتهاد من الشخصيات العلمية التي أفنت حياتها في تعلم اللغات ومعرفة مجهرية للآخر، وموقعة أمتها، موقعا متقدما جدا في مسار حركة التحديث السياسي التعليمي والإصلاحي الشامل؟

- العمل على إيجاد ضمانات دستورية وقانونية لحماية حرية التعبير عن الرأي من تجاوزات الحكومات ورجال الأعمال والمديرين التنفيذيين الذين يمارسون سلطات إدارية غير قانونية لا تخدم مصلحة المجتمعات العربية، والمناداة بضرورة تعديل قوانين النشر والطباعة لضمان حرية التفكير والتعبير والرأي.

- إن ظاهرة الرقابة ومصادرة الكتب عرفت نسبة متزايدة ومقلقة وغير مقبولة أصلا. وقد طالب المشاركون في المؤتمر أن تكون مؤسسة القضاء هي المرجعية القانونية لحجز أي كتاب علمي، مثل ما هو الشأن في مصر الآن. ولا تعطى هذه المسؤولية للموظفين الإداريين الذين يستحيل عليهم تمثل منظومة القيم الثابتة لجدلية المعرفة والبحث العلمي على الصعيد الدولي بحكم عدم اختصاصهم واهتمامهم بهذا الحقل من الدراسات والبحوث.

- إن تأثيرات مركبة ومتعددة الجوانب والمصادر، نتيجة غزارة الإنتاج الإعلامي العالمي، قد أدت حتما إلى تعديل مضامين الهوية الوطنية وتشويهها وتذويبها في حركة اندماجية حضارية أفرزتها الثقافة الإنسانية، وهي المتقاطعة تماما مع ثوابت الهوية الوطنية وخصوصياتها.

- لقد توقف المشاركون حول مؤسسات المجتمع المدني بالوطن العربي، التي تختلف عن مثيلاتها بالغرب لاختلاف البيئة والظروف والآليات التي تتحكم فيها، ونادوا بتطويرها وإرساء دعائمها من خلال إيجاد القوانين والتشريعات الضابطة لأنشطتها، وهو ما سيؤدي بالنتيجة إلى تكثيف العمل الجمعياتي الذي يتعارض تلقائيا مع هيئة الرقابة والرقباء أنى كان مصدرها في المجتمعات العربية.

- أكد المشاركون دراسة رقابة السلطة وغياب رقابة المجتمع، الأمر الذي أدى إلى إضعاف المؤسسة القضائية والبرلمانية ووضع قيود وخطوط حمراء قضت بعدم تناول الشخصيات

السياسية المتنفذة والتي تتمتع بالصفة الشرعية والأميرية والسلطانية والشريفية. . . .

- إن الأغنية الشعبية العربية قد لعبت دور المتنفس الاجتماعي لمجابهة مختلف الضوابط والحواجز الاجتماعية، وهي حتما لا تخضع لمقص الرقابة ومعاييرها ويمكن الاعتماد عليها في دراسة الصراعات والخلفيات الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وهذه ظاهرة مهمة جدا في جدلية تتبع تداعيات الرقابة من خلال الرسم والفنون والمسرح والشعر.

وهنالك عدد آخر من الإشكاليات الأخرى التي أثيرت في متن البحوث المقدمة وتناقش حولها المشاركون بحماس وإيمان وبمسؤولية عالية، وصاحب كل ذلك حوار حقيقي رفيع المستوى اتسم بممارسة حرية التعبير المطلقة والكاملة بين المشاركين العرب والأوروبيين وفيها مقاربات وتحاليل معمقة في كثير من الأحيان. ولا شك أن مثل هذا الحوار الذي تم في المؤسسة جدير بالتنويه والتقدير، وأنه لا يقل أهمية وبعدا استراتيجيا عن ما يتم اليوم في أهم مخابر المعرفة البحثية الدولية.

وتمنينا من المؤتمرين لاستكمال هذه السلسلة من المؤتمرات في إطار فعاليات منتدى الفكر المعاصر، وبعد حوار مكثف وعميق جدا، أقر المشاركون الاهتمام بالجدلية البحثية الآتية للمؤتمر القادم خلال سنة ٢٠٠٧ حول:

أبعاد الرقابة الذاتية ودور المجتمع المدني في الحراك الاجتماعي والإعلامي

وقد نوه جميع المشاركين باهتمام مؤسسة التميمي للمرة الرابعة بملف الرقابة الفكرية والسياسية والدينية في المجتمعات العربية خلال الخمس سنوات الماضية، للأهمية الاستثنائية التي احتلها، ومازال يحتلها، هذا الملف على صعيد الوطن العربي والصعيد العالمي.

كما أنهم يعبرون عن عالي تقديرهم لمؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات لحسن ونجاعة إدارتها للمؤتمر ذي الأبعاد العربية والدولية، حيث أكسب هذا المؤتمر أهمية علمية عالية جدا لجدلية البناء المعرفي للمجتمع العربي العلمي السليم الذي تؤديه هذه المؤسسة بكل اقتدار وفعالية ونجاعة كبيرة.

كما ينتهز المشاركون هذه المناسبة لشكر مؤسسة كونراد أديناور وممثلها الدائم د. هاردي أستري الذي قام بدعم هذا المؤتمر خدمة للتواصل والشراكة البحثية الأورو عربية، وتلك هي الرسالة الحضارية التي ترفعها هذه المؤسسة الألمانية النشطة، دون دعاية أو مركب استعلاء، لكل من يعمل بحق من أجل إثراء الشراكة البحثية العربية الأوروبية. ■

البيـــان الختـــامي

للمؤتمر الثاني عشر للدراسات العثمانية حول:

العلاقات السياسية والتجارية والاجتماعية والثقافية بين الإيالات العربية أثناء العهد العثماني ومؤسسة الانكشارية في الدولة العثمانية

مؤسسة التميمي؛ تونس ٥-٧ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦

بدعوة من مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات واللجنة العربية للدراسات العثمانية، التأم في الفترة ٥ -٧ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦ المؤتمر الثاني عشر للدراسات العثمانية حول :

العلاقات السياسية والتجارية والاجتماعية والثقافية بين الإيالات العربية أثناء العهد العثماني ومؤسسة الانكشارية في الدولة العثمانية

وقد افتتح المؤتمر الأستاذ عبد الجليل التميمي بخطاب بالعربية والفرنسية، ثم ألقى كل من سعادة سفير تركيا بتونس السيد ناجي أكنجي خطابه باللغة الفرنسية، ود. فيصل الكندري خطابه باسم المشاركين العرب بالعربية والإنجليزية. وقد حضر جلسة الافتتاح سعادة سفير المغرب الأقصى الأستاذ نجيب زروالي وارثـــي، وبعض الوزراء السابقين، وثلة من سفارة الجزائر بتونس. أما المشاركون فكانوا من كل من تونس والجزائر والكويت ومصر والمملكة العربية السعودية وألمانيا، فضلا عن عدد من الشخصيات السياسية والعلمية التونسية من مختلف الجامعات والتيارات السياسية.

وقد انتظمت ثمان جلسات علمية، قدم خلالها ست عشرة محاضرة أثارت إشكالية إعادة الاعتبار للذاكرة الوطنية لتاريخية المجتمعات العربية أثناء العهد العثماني، وبرز من خلال المداخلات أهمية التراث الأرشيفي التركي الذي تم توظيفه، توظيفا علميا ومنهجيا. وقد نادى الجميع بتكثيف ذلك، والتوقف مليا حول مختلف المصطلحات العثمانية لتحديد المفاهيم التي كانت مستعملة في السجلات والوثائق العثمانية.

وقد عالج المشاركون الظاهرة الانكشارية قبل دخول الأتراك العثمانيين إلى الفضاء المغاربي، مثل تجربة المليشيات في العهد الموحدي. أما مع بداية عثمنة الإيالات العربية في أوائل القرن السادس عشر، فقد تم تناول أدوار الأوجاقات في كل من مصر وتونس مثلا، ولوحظ مدى تماثل الأدوار

العسكرية التي أدوها في الحروب، مثل حرب القرم مثلا، كما حافظوا على الأمن والنظام. وتفرعت اهتماماتهم لتشمل المجالات التجارية والاقتصادية، وجمع الضرائب، ومراقبة مداخيل الصيد البحري والقرصنة، وقاموا بإنشاء وكالات لهذا الغرض، على الرغم من أن قانون نامة مصر والأوامر السلطانية المباشرة والموجهة إلى الولاة تحرم عليهم التعاطي بالتجارة أو الصناعة. وفي هذا الإطار تندرج أنشطة بعض الموانئ، مثل البصرة، التي على ضوء الوثائق العثمانية الجديدة أوضحت مدى غزارة التجارة التي وصلت من الهند وبلاد فارس والإيالات المجاورة، وبلغت يومئذ ٧ ملايين أقجة، مفندة الزعم القائل بفقدان دور البصرة التجاري في منتصف القرن ١٦.

كما أثيرت بعض مظاهر الحياة الاجتماعية لطائفة الانكشارية، ونوعية العلاقات القائمة بينهم وبين الأهالي أو الأجانب، وحياتهم اليومية، من زواج وطلاق وإعتاق للعبيد والجواري. وبرزت ضرورة القيام بدراسات اجتماعية مقارنة في الإيالات العربية، انطلاقا من منهجية وتمثل واع وجديد لدور المؤرخ في التعاطي مع الكتابة التاريخية عن الانكشاريين، إذ لا تكفي الوثائق، بل لا بدّ أيضًا للمؤرخ من رؤية نافذة وفاعلة لهذا الدور؛ إضافة إلى تفعيل مختلف علوم الإنسان التي أصبحت محورا جوهريا يرتكز عليه مستقبل الدراسات التاريخية. وفي هذا السياق أبرز دور السادات الأشراف، وطبيعة القوانين والعادات الخاصة التي كانت مطبقة لديهم، ثم دور الأوقاف والصرة وطريقة التصرف فيهما. كما تركز الاهتمام على مدى دور الأزهر الثقافي، باعتباره ملتقى للكفاءات العلمية العربية والطلاب أثناء العهد العثماني، وسعيه لتأطير التواصل العلمي من خلال سهولة اقتناء كل قنوات المعرفة وحسن إبلاغها لطلاب العلم. وفي هذا الإطار كانت الإجازات العلمية بين المغرب والمشرق واجهة أخرى مهمة في هذا التلاقي المعرفي بين نخب الإيالات العربية جميعها.

وهنالك محور أساسي تمثل في أهمية اللقاءات الدورية بمناسبة الحج ودوره في ترابط العالم العربي الإسلامي روحيا واجتماعيا، باعتبار ذلك مرصدا فاعلا وقوة معنوية وروحية لتقارب الشعوب العربية وتلاحمها بعضها مع بعض. وقد سهلت الدولة العثمانية وباركت هذا التقارب من خلال إضفائها معنى سياسيا بالغ الأهمية لكسوة الكعبة الداخلية والخارجية.

وفي جانب آخر، برزت حركية المجتمع الريفي في الإيالات العربية، وتم توظيف دفاتر العدول الإشهاد والمراسلات والوثائق الجنائية والأدب الشعبي لرصد الفضاء الريفي ودور المرأة فيه بصفة خاصة، باعتبار ذلك شرطا نظريا وعمليا لاستكمال صورة المجتمعات العربية وأدوار المرأة الريفية فيها مغربا ومشرقا، وهي الأدوار المغيبة حتى اليوم في الدراسات التاريخية العربية والتركية والغربية عموما. وهنالك محطات أخرى وكثيرة توقف عندها المشاركون في المؤتمر حول ندرة الدراسات المقارنة، وضعف الحوار الأكاديمي بين المؤرخين العرب أنفسهم، وهم

المهتمون بالعهد العثماني، وبينهم وبين الأتراك والدوليين، وعدم تبني الشراكة العلمية العربية عربية والعربية تركية التي تبقى المحك الحقيقي لأي تطور فاعل لمستقبل الدراسات عن الإيالات العثمانية أثناء العهد العثماني.

وفي جلسة مطولة عبر المشاركون عن أملهم في تكوين لجنة علمية للاهتمام مستقبلا بالدراسات الانكشارية على مستوى البلاد العربية، يكون تشكيلها من متخصصين عربا وأتراكا، وتعمل على تبني منهجية جديدة لتعميق هذه الدراسات واستيعاب كل تداعيات وخصوصيات طائفة الانكشاريين الذين حكموا الفضاء الترابي العربي طيلة أربعة قرون. كما تعرض المؤرخون لاختيار محاور المؤتمر القادم (أي الثالث عشر للدراسات العثمانية)، وبعد نقاش مستفيض وبناء واستشراف دقيق وهادئ، اتفق المؤتمرون على اختيار المحورين الآتيين :

أولا: الأرياف العربية أثناء العهد العثماني: دور المرأة الريفية (القبلية) نموذجا،

ثانيا: الدراسات التاريخية المقارنة عن الإدارة والاقتصاد وضرب العملة في الإيالات العربية،

على أن يتم ذلك في الأسبوع الأول من شهر أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٨.

وفي الختام يتقدم المؤتمرون بخالص الشكر والتقدير لمؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات واللجنة العربية للدراسات العثمانية على استضافتهما للمؤتمر الثاني عشر للدراسات العثمانية، واستمرار تنظيمهما لهذه السلسلة من المؤتمرات العلمية المتخصصة منذ ٢٤ سنة. كما ينوهون بالطابع الأكاديمي للمداولات، والنقاش الرفيع المستوى، والتنظيم المحكم الذي تميزت به إدارة المؤتمر، ثم المناخ الودي والأخوي الذي ساد كل مداولات المؤتمر، حيث تم أثناءه إرساء مفاهيم فاعلة ومقاربة جديدة بين جيلي المؤرخين، تعميقا للتواصل والشراكة العلمية مستقبلا بين الجميع. كما يشدد المؤتمرون على تمتعهم المطلق بمناخ مثالي للحرية الأكاديمية التي مارسوها أثناء المؤتمر. وينتهز المؤتمرون هذه المناسبة ليرفعوا تقديرهم لسعادة سفير تركيا السيد ناجي أكنجي على تفضله بافتتاح المؤتمر وتنظيم حفل استقبال في دار السفارة التركية تكريما للمشاركين، وتلك هي رسالة بالغة الدلالة.

وفي الختام ينوه المؤتمرون بصدور أعمال المؤتمر الحادي عشر للدراسات العثمانية هذه الأيام حول: **المرأة والتحركات الاجتماعية والديمغرافية في الإيالات العربية أثناء العهد العثماني**، ٣٨٨ ص باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية، منشورات المؤسسة، أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦. ■

٣

إعلان صنعاء حول:

الديمقراطية والإصلاح السياسي وحرية التعبير

صنعاء؛ ٢٦ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦

تحت رعاية فخامة الرئيس علي عبد الله صالح، رئيس الجمهورية اليمنية، عقد مؤتمر صنعاء حول الديمقراطية والإصلاح السياسي وحرية التعبير في يومي ٢٥ و ٢٦ حزيران/ يونيو ٢٠٠٦.

واستضافت الحكومة اليمنية المؤتمر بالتعاون مع المنظمات غير الحكومية، مركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان من اليمن، ومنظمة لا سلام بلا عدالة من إيطاليا، بحضور أكثر من ٥٠٠ مشارك ومشاركة من الحكومات ومنظمات المجتمع المدني في دول المنطقة.

وكان من ضمن المشاركين في المؤتمر ممثّلون عن حكومات المنطقة، وعن مجموعة الدول الصناعية الثمان، وشركاء آخرون من الديمقراطيين، وكذلك من المنظمات الدولية، والفاعلين غير الحكوميين من السياسيين والبرلمانيين والأكاديميين والمثقفين ومناصري الديمقراطية وأصحاب الرأي، وممثلون عن المنظمات غير الحكومية والصحفيين.

وعقد المؤتمر في إطار برنامج حوار دعم الديمقراطية بغرض تأسيس منصة لقيام حوار حر بين المشاركين حول المواضيع الحيوية المتعلقة بالديمقراطية والإصلاحات السياسية وحرية التعبير.

وشجع الاجتماع على التبادل الحر للأفكار، وأتاح فرصة ثمينة للمشاركين لمراجعة ناقدة للإنجازات التي تحققت في الإقليم منذ إطلاق مبادرة الشرق الأوسط الكبير وشمال إفريقيا، بما في ذلك، بصفة خاصة، اجتماعي منتدى المستقبل في المغرب في ٢٠٠٤ والبحرين في ٢٠٠٥، في إطار مسيرة الدمقرطة والإصلاحات السياسية. كما تمت مراجعة الإنجازات الأخرى التي تحققت في إطار الحوار المستمر حول برنامج حوار دعم الديمقراطية.

إن المشاركين يثمنون تجربة اليمن الناجحة في الممارسة الديمقراطية و إشراك منظمات المجتمع المدني بصفتها شريكة في برنامج حوار دعم الديمقراطية.

– ويؤكدون على مساهمة الفاعلين غير الحكوميين

بصفتهم شركاء ضروريين في حوار بناء العملية الديمقراطية، ويتشاركون المسؤولية جنبا إلى جنب مع الحكومات؛

- ويجددون التزام أقطار المنطقة بتعزيز الديمقراطية وتوسيع مجال المشاركة في الحياة السياسية، وكذلك التزام مجموعة الدول الصناعية الثمان والشركاء الآخرين بمصاحبة هذه الإصلاحات ودعمها بفعالية بروح الشراكة والاحترام المتبادل. وفي هذا الإطار رحب المشاركون بإعلان إنشاء مجلس الإدارة الخاص بمؤسسة المستقبل، وأوصوا بأن تعمل بالتشاور والتعاون مع المبادرات الإقليمية والدولية الأخرى التي تدعم الديمقراطية في المنطقة، خاصة برنامج حوار دعم الديمقراطية؛

- ويجددون تأكيد نيتهم الاستمرار في الإصلاحات السياسية الجارية حاليا والمستقبلية. وقد تعهدوا بالقيام بأعمال ملموسة لتنفيذ الالتزامات المتضمنة في إطار عملية حوار دعم الديمقراطية؛

- ويجددون تأكيد التزامهم بالسعي قدما لتطبيق جميع التوصيات المشتركة بين الحكومات والفاعلين غير الحكوميين الواردة في تقرير الرباط حول التعددية السياسية والعملية الانتخابية في تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٥، وكذلك الواردة في اجتماع مؤتمر تمكين المرأة في الحياة العامة الذي عقد في أنقرة في أيار/ مايو ٢٠٠٦؛

- ويرحبون بالتزام الحكومة اليمنية ومركز المعلومات والتأهيل لحقوق الإنسان باقتراح آلية للتشاور بين الحكومات والفاعلين غير الحكوميين، وتحديد إطار زمني معين ونقاط مرجعية لمتابعة موضوع حوار دعم الديمقراطية بغرض تعزيز حرية التعبير بما يتفق مع المعايير الدولية في هذا الجانب؛

- ويشجعون توسيع أنشطة برنامج حوار دعم الديمقراطية والشراكة بغرض توسيع إطار عمل البرنامج عبر المنطقة، بناء على الخبرات الإيجابية جراء إشراك الفاعلين الآخرين في العملية؛

وبخصوص آليات التحول الديمقراطي، أكد المشاركون في المؤتمر على:

أولا: دعوة الأنظمة إلى تسريع وتيرة الإصلاحات، وإشراك المجتمعات المدنية للتغلب على الصعوبات المختلفة التي تواجه مسارات التحول الديمقراطي، وتوفير الشروط المساعدة على إقامة الحكم الرشيد. ويتم ذلك من خلال تمكين المجتمعات المدنية والأحزاب السياسية من حرية التنظيم في كنف الاستقلالية والشفافية.

ثانيا: ضرورة قيام كل حكومات المنطقة بوضع جداول زمنية لتحقيق التحول الديمقراطي السلمي.

ثالثا: الالتزام بالحد الأدنى من آليات التحول الديمقراطي السلمي، وهي:

- إطلاق حرية الإعلام بكل أصنافه المسموعة والمكتوبة والمرئية، مع إقرار حق المواطنين في امتلاكها، ووضع حد لاحتكار الدولة لها.

- ضمان استقلال القضاء باعتباره أساس دولة القانون وأحد ضرورات تحقيق التحول الديمقراطي في كل دول المنطقة، واستصدار التشريعات الكفيلة باستقلال القضاء وحماية القضاة.

- إطلاق حرية إنشاء منظمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية، وتمكين القضاء المستقل من صلاحية مراقبتها وتقييم أدائها في الحياة العامة باعتبارها تشكل العصب الرئيسي للديمقراطية الحقيقية.

رابعا : إستحداث مراصد قطرية وإقليمية تساهم منظمات المجتمع المدني في إنشائها وتسييرها، ويكون هدفها متابعة الإنجازات والإخفاقات في مسيرة التحول الديمقراطي والحريات الأساسية في بلدان المنطقة.

كما يلفت المشاركون النظر إلى المظالم التي تتعرض لها النقابات المهنية في المنطقة، ويدعون إلى تصحيح هذه الأوضاع، باحترام استقلال هذه النقابات في كل شؤونها المهنية، ما ينسجم مع أهداف هذا المؤتمر.

وأخيرًا: يطالبون بتقديم نتائج مؤتمر صنعاء إلى الاجتماع الثالث لمنتدى المستقبل في الأردن في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٦؛

ويقدرون أهمية دعم إيطاليا ومملكة هولندا، ومبادرة الشراكة الشرق أوسطية من أمريكا وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومساهمتهم المالية في التنظيم الناجح للمؤتمر.

[وبما يتفق مع ما سبق، يرحب المشاركون بتوصيات جلسات المحاور الثلاثة المرفقة بهذه الوثيقة، ويقرونها.] ■

دار جذور

انطلاق "دار جذور" الثقافية للأدب المهجري العربي

تعلن مؤسسة **جذور الثقافية** عن إطلاق "دار جذور" للطباعة والنشر في خطوة مهمة على مسار مشروعها الثقافي الساعي إلى التعريف بالإبداع المهجري المعاصر، ولمواصلة تحقيق أهدافها الثقافية التي أعلنتْ عنها في لقائها التأسيسي نهاية عام ٢٠٠٥.

تُعدّ هذه الدار أول دار عربية غير ربحية تخصّص برنامج عملها لرعاية ماتبدعه الأقلام العربية المقيمة خارج البلاد العربية؛ فيتصدّر أهدافها التعريف بالنص الإبداعي المهجري والمُبدع المهجري بما يملكان من خصوصية ثقافية وجغرافية في خريطة الإبداع العربي والعالمي. وتطمح دار جذور، إضافة إلى تسهيل طباعة النص الإبداعي، إلى التعريف بالكتاب والكاتب ثقافيًا وإعلاميًا، مُحاولةً سدّ الفجوة الكبيرة في آليات وطرائق عمل دور النشر العربية المُعتمدة في معظمها على منطق الربح فقط. كما ستُكمل مؤسسة جذور الثقافية، من خلال دار النشر، دعمها الخاص للترجمة من اللغة العربية وإليها، وتمتين التواصل الثقافي الخلاّق بين الغرب والشرق.

تأسّستْ دار جذور من خلال اتفاق تعاون خاص مع الدار العربية للعلوم في بيروت. وستعتمد في آليات عملها واختياراتها على معايير أدبية وفنّية راقية مُرتكزة على خطّة ثقافية تسعى إلى تقديم الإنتاج الفكري والأدبي ذي القيمة الإبداعية المُميّزة، والذي يغطي مختلف أطياف الحركة الثقافية المهجرية المُعاصرة بجميع أجناسها الفكرية والأدبية وأجيالها الزمنية ومدارسها المتعدّدة. وهي دار نشر مُحكّمة يتم النشر فيها ضمن معايير إبداعية دون الخضوع لأي اعتبارات أخرى، وتعمل بالتعاون مع هيئة استشارية أدبية لإرشاد خطّها واختياراتها الثقافييْن.

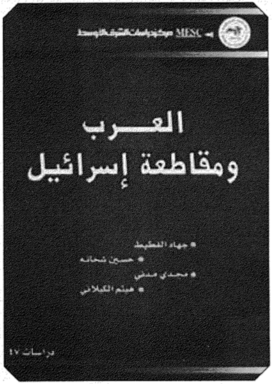
مؤسسة جذور الثقافية مؤسسة مستقلة غير ربحية تعنى بالإبداع المهجري والترجمة. ويوجد المزيد من المعلومات عن دار النشر ومؤسسة جذور في موقع المؤسسة على الإنترنت على العنوان الآتي:

www.jozoor.net

مؤسسة جذور الثقافية

مركز دراسات الشرق الأوسط

صدر حديثاً عن مركز دراسات الشرق الأوسط كتاب **العرب ومقاطعة إسرائيل**. ويحاول الكتاب دراسة تجربة المقاطعة وملامحها وانعكاساتها، ومدى تحقيقها لأهدافها، والآفاق التي أحاطت بها.



كما تثبت هذه الدراسة جدوى أسلوب المقاطعة الذي طبق من خلال مكتب المقاطعة العربية لإسرائيل في جامعة الدول العربية.

وتأتي الدراسة في فصلين. يتطرق الفصل الأول منها إلى تجربة المقاطعة العربية لإسرائيل من عام ١٩٤٨ وحتى عام ٢٠٠٣؛ فيما يناقش الفصل الثاني تطور النظرية العربية في المقاطعة ومستقبلها، وتأتي في سياق دراسة تحليلية للموضوع.

مَعَ الفنـــان المصريّ الموْهوب

أ. محمّد عفـّت

رسوم كاريكاتيرية مهداة إلى

"مؤتمر الشّباب العربيّ في المهجر"

عمّان؛ ٢-٣/٤/٢٠٠٦

[أنظر العدد (٢٢٨+٢٢٩) من مجلّة **المنتدى**، ص ٥ - ٤٢]



مؤتمر الشّباب العربيّ في المهجر

التواصل والتشبيك بين الأوطان والمهاجرين (المحور الثاني)



مؤتمر الشّباب العربيّ في المهجر

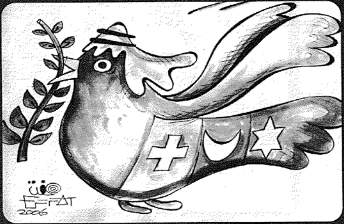
الحـوار البنّـــاء

مؤتمر الشّباب العربيّ في المهجر



وحدة لغة تعانق اللهجات

مؤتمر الشّباب العربيّ في المهجر



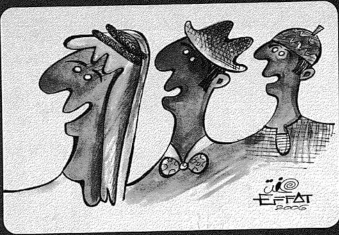
التسامح من أجل السلام العادل

مؤتمر الشّباب العربيّ في المهجر



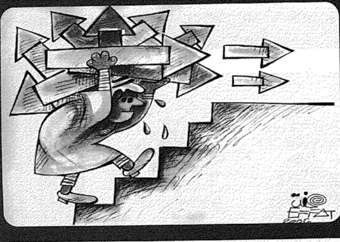
ارتباط الإنسان العربي في فترة زمنية سابقة لأسباب عديدة

مؤتمر الشّباب العربيّ في المهجر



ظهور عوامل الاتصالات الحديثة َالعولمة

مؤتمر الشّباب العربيّ في المهجر



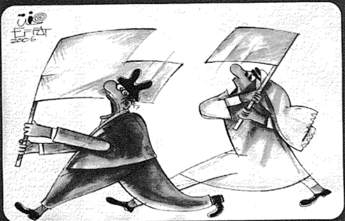
المهاجرين العرب أثبتوا جدارة وكفاءة في المهجر

مؤتمر الشّباب العربيّ في المهجر



البيـت العـــربي

مؤتمر الشّباب العربيّ في المهجر



المشاركة السياسية والإجتماعية للشباب في المهجر (المحور الأول)

السيد آغا شاهي في ذمة الله

نعت وزارة الخارجية الباكستانية السيد آغا شاهي Agha Shahi، وزير الخارجية الأسبق والشخصيّة الدوليّة المرموقة، الذي سيبقى الشعب الباكستاني يذكر بكل الإجْلال خدماته الطويلة في الدفاع عن قضايا باكستان وقضايا الأمّة. فقد كان السيد شاهي رجل دولة على المستوى العالمي، وعمل طوال حياته العمليّة من أجل السلام العالميّ وحقوق الإنسان في كل مكان. ومن الأمثلة على جهوده في هذا المجال، ما ورد في مقالته المميزة بعنوان "**مبادىء التعايش السلمي الخمسة والعلاقات الدولية الحديثة**"، التي ترجمها منتدى الفكر العربي ونشرها في العدد (٢٢٠) من مجلته **المنتدى** الصادر في كانون الثاني / يناير ٢٠٠٥.

إن منتدى الفكر العربي، إذْ يُعربُ عن عميق حزنه لرحيل هذه الشخصية العالميّة الفذة، ليتقدّم بأحرّ مشاعر العزاء والمواساة لشعب باكستان ولعائلة الفقيد. تغمّد اللّه الراحلَ الكبير بواسع رحمته وأسكنه فسيحَ جنانه، وألهمَنا جميعًا جميلَ الصّبر وحُسْن السّلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

نعــي فاضل

تنعى أسرة **منتدى الفكر العربيّ** بمزيد من الحزن والأسى عضو المنتدى

الأُسـتاذ

مخلص عمر العَلمي

وتتقدم من عائلته وعموم آل العَلمي الكرام بأصدق مشاعر العزاء والمواساة؛ سائلة المولى أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه فسيح جنّاته.

إنّا لله وإنا إليه راجعون.

كُتّاب هذا العدد

(ألفبائيًا)

د. أحمد مختار الجمال

سفير، مستشار المجلس المصري الأوربي – مصر

خلوي: ٢١١٥٧٠٣(١٢ ٢٠+)

أ. بســام الهلســة

كاتب وإعلامي؛ معلق في الشؤون الفكرية والثقافية – عمّان

هاتف: ٦٧٧٧٥١١(٧٩ ٩٦٢+)

أ. د. جميل جريسات

عضو المنتدى؛ أستاذ في جامعة فلوريدا الجنوبيّة

هاتف: ٩٧٤٢٢١٥(٨١٣ ١+)

فاكس: ٩٧٤٠٨٣٢(٨١٣ ١+)

jreisat@cas.usf.edu

أ. د. جورج جبور

عضو المنتدى؛ الخبير المستقل لدى حقوق الإنسان في الأمم المتحدة (جنيف) – حلب

تلفاكس: ٦١١٨٨٦٦(١١ ٩٦٣+)

أ. د. حميد الجُميلي

عضو المنتدى؛ أستاذ الاقتصــاد والعَلاقات الاقتصاديّة الدوليّة

أكاديميّة الدّراسات العليا – طرابلس؛ ليبيا

أ. د. عبد الأمير الأعسم

أبو ظبي

خلوي: ٤٣٨٥١٥٣(٥٠ ٩٧١+)

أ. عبد الله بن علي العليّان

كاتب وباحث من عُمان

خلوي: ٩٩٤٩٨٩٧٦(٩٦٨+)

فاكس: ٢٣٢٩٣٩٠٩(٩٦٨+)

أ. كمال القيسي

عضو المنتدى؛ مستشار وخبير في الطاقة والنفط – عمّان

خلوي: ٦٤٤٦٠٨٥(٧٩ ٩٦٢+)

k_kaisi@wanadoo.jo

د. مصطفى المصمودي

عضو المنتدى؛ منسق المجتمع المدني العربي لتنفيذ قرارات القمة العالمية لمجتمع المعلومات – تونس

خلوي: ٣٣٠٠٣٣(٩٨ ٢١٦+)

أ. يوسف عبدالله محمود

كاتب صحافي في جريدة الرأي–عمّان

هاتف: ٥١٥٥٠٥٠(٦ ٩٦٢+)

سنتنــا الفضيّة

النــدوات والمؤتمرات

١ **مؤتمر الشباب العربي في المهجر**

عمّان؛ ٢-٣ نيسان/إبريل ٢٠٠٦

٢ الندوة الفكريّة السنويّة لمنتدى الفكر العربيّ

الفكر العربي في عالم سريع التّغيرّ

عمّان؛ ٨-٩ أيار/مايو ٢٠٠٦

اجتماعات لجنة الإدارة

رقم (٢٠٠٦/١)؛ يوم الإثنــين الموافق ٢٠٠٦/٠٤/١٧

رقم (٢٠٠٦/٢)؛ يوم الخميــس الموافق ٢٠٠٦/٠٦/٢٩

رقم (٢٠٠٦/٣)؛ يوم الأحــد الموافق ٢٠٠٦/١١/٢٦

سلسلة أيّام المنتدى (٢)

الذكرى الثالثة لرحيل إدوارد سعيد

عمّان؛ ٣٠ آب/ أغسطس ٢٠٠٦

اجتماعات مجلس الأمناء

اجتماع مجلس الأمناء التاسع والعشرين

يوم الأربعاء الموافق ٢٠٠٦/٠٥/١٠

تعيينات جديدة في الأمانة العامّة للمنتدى

ميساء "محمد هاشم" خلف/ مسؤولة الإخراج الفني

دينــا محمّد المبيضين/ مسؤولة موقع الإنترنت

سلسلة اللقاءات الشهرية

رقم اللقاء	تاريخ اللقاء	الموضــــوع	اسم المحــاضــر
اللقاء الأول	٢٠٠٦/١/٤	العــــراق	**السيد توم هيدن**/ الناشط الأمريكي المعروف في مجالات الحقوق المدنية والعدل والسلام
اللقاء الثاني	٢٠٠٦/٢/١	المشهد الإسرائيليّ الرّاهن عشيّة انتخابات الكنيست	أ. **مروان كردوش**/ مدير الأبحاث في المركز الأردنيّ لأبحاث وحوار السياسات الوطنيّة
اللقاء الثالث	٢٠٠٦/٢/٨	A World of More Conflict? Recent Discoveries in the Global Trends in Political Conflict	أ. د. **بيتر فالنستين**/ أستاذ كرسي داغ همرشولد في بحوث السّلام والنّزاعات، جامعة أبسالا، السويد
اللقاء الرابع	٢٠٠٦/٣/١	العوْلمة والمجتمع العربيّ	أ. د. **مجد الدين خمش**/ أستاذ علم الاجتماع في الجامعة الأردنيّة
اللقاء الخامس	٢٠٠٦/٦/٢٨	العراق وتحديات المستقبل	د. **عبد الحسين شعبان**/ المفكر والباحث والمستشار القانونيّ العراقيّ وعضو المنتدى
اللقاء السادس	٢٠٠٦/٨/٦	المشهد اللبنانيّ الرّاهن	**سمو الأمير الحسن بن طلال؛ أ. حسن أبو نعمة؛ د. طاهر كنعان؛ أ. عدنان أبو عودة؛ د. كامل أبو جابر**
اللقاء السابع	٢٠٠٦/٨/١٦	عكس الإرهاب	د. **جوزيف مسعد**/ الأستاذ المشارك في جامعة كولومبيا/ نيويورك
اللقاء الثامن	٢٠٠٦/١١/١	Developing an Ethics Reform Strategy for Public Service	أ. د. **جميل جريسات**/ أستاذ الإدارة العامة والعلوم السياسية في جامعة فلوريدا الجنوبية؛ عضو المنتدى.

لقاء خاصّ لقاء مع وفد ثقافي سويدي عن التلاقي والمعرفة والحكمة المشتركة بين الشرق والغرب يوم الإثنين الموافق ٢٠٠٦/١٠/٣٠

منتدى الفكر العربي

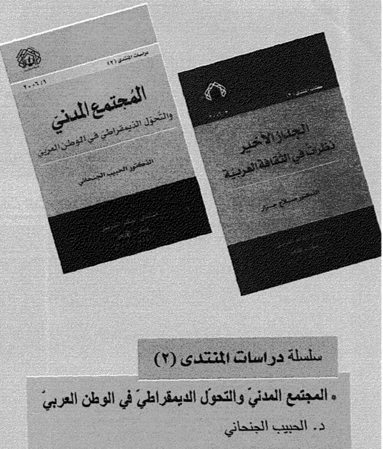
حصاد العام ٢٠٠٦

المطبوعات

سلسلة كتاب المنتدى (١) و (٢)

- الوسطية: أبعادٌ في التّراث والمعاصرة
(عدد من المساهمات، بإشراف سموّ الأمير الحسن بن طلال)

- الجدار الأخير: نظرات في الثقافة العربيّة
د. صلاح جرّار



سلسلة دراسات المنتدى (٢)

- المجتمع المدنيّ والتحوّل الديمقراطيّ في الوطن العربيّ
د. الحبيب الجنحاني

سلسلة اللقاءات الشهرية (٣)

- بيْن الأقْلمةِ والعوْلمة: آراء واجتهادات وحوارات في عالمٍ مضطرب

سلسلة حوارات عالمية

- العـرب والصيـن: آفاق جديدة في الاقتصاد والسّياسة

سلسلة أيام المنتدى (١)

- اللّغة العربيّة والإعلام وكُتّاب النّصّ
(بالتعاون مع مَجْمع اللّغة العربيّة الأردني)

- الكتاب التّذكاريّ بمناسبة السنة الفضّيّة للمنتدى:
في الفكر العربيّ النّهضويّ
دراسات ومقالات؛ إصدارات وشهادات
لفيف من أعضاء المنتدى

سلسلة كرّاسات المنتدى (٤) و (٥)

- قضايا شبابية
د. محمود قطّام السّرحان

- التـوثيق: ما بين الموروث التاريخيّ والواقع المعاصر
د. سعد أبو ديّة



محتويات المجلّد الحادي والعشرين ٢٠٠٦م

تقــــاريــر:

العدد (٢٣٠+٢٣١)

تقـــاريـــر ومراسـلات

العدد (٢٢٦)

تقـــاريـــر ووثائق

العدد (٢٣٠+٢٣١)

مقـــــالات

العدد (٢٢٦)

العدد (٢٢٧)

العدد (٢٢٨+٢٢٩)

اللقـاءات الشهريـة

جولـــة العــــدد

العدد (٢٢٧)

العدد (٢٢٨+٢٢٩)

العدد (٢٣٠+٢٣١)

مع أعضاء المنتدى

العدد (٢٢٧)

العدد (٢٢٨+٢٢٩)

العدد (٢٣٠+٢٣١)

هذا العالم الانساني

يقوم منتدى الفكر العربي بنقل هذا الكتاب القيم إلى اللغة العربية لنشره ضمن سلسلة مترجمات عالمية قبل نهاية هذا العام، ويسر "المنتدى" ان تقدم الفصل الاول من هذا الكتاب وهو بعنوان "فرص الإنسان في هذا العالم".

الفصل الأول فرص الإنسان في هذا العالم

وفقاً لسفر التكوين، قال الله تعالى (نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض على جميع الدواب التي تدب على الأرض).

(وهكذا خلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكراً وأنثى خلقهم وباركهم الله، وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها).

قد يشعر البعض بأن الإنسان قد فصم علاقته بقصة الخليقة. ولكن هل هذا صحيح؟ عن طريق التكاثر وملء الأرض فإن الكائنات الإنسانية تحكم الأرض وتخضعها، وهكذا فإنها تسيطر على الطبيعة. والصراع بين الإنسان والطبيعة هو اسطورة قدم أخيلا في عصرنا.

لم نعد في أمان منذ هيروشيما وناجازاكي، فالطريق الى الدمار الذاتي يبدو قريبا. ومع ذلك، فإننا تقبلنا واقع سباق التسلح كحقيقة عاماً بعد آخر. لقد هدأت الحروب العالمية، ربما كان هناك أمل. ولكن تواجهنا الآن امور جديدة مثيرة للرعب. فموارد الطبيعة تتمرد واحداً بعد الآخر : النفط، المواد الكيماوية، والاشعاعات التي تسبب الكوارث، البحار الملوثة، التربة المتلاشية، والأجواء الفاسدة، ماذا يحصل للطبيعة؟

الإنسان اعتدى على الطبيعة. بدأنا ندرك تدريجيا بأننا سبب هذه التغيرات. نحن نقوم بتغيير العالم لأننا نحن الذين نقوده وقد بدأنا نعرف أي نوع من القادة نحن. لسنا بعد بقادرين على حل لغز الاتجاه الذي يأخذه تطور العالم. نحن لا نستطيع ان نقيس او حتى أن نقدّر تأثر نشاطاتنا على البيئة. نحن قادة عميان لا يعرفون بأي اتجاه يقودون. لقد نجحنا كثيراً في قهر الفضاء او صنع السلع المادية. وسيطرتنا على ما يحيط بنا وعلى الطبيعة هي اقوى وادعى للإعجاب من أي وقت مضى. ولكن ما هو الثمن؟ إذا كان الإنسان لا يستطيع أن ينجح الا على حساب الطبيعة، فما هو المصير الذي ينتظرنا؟

ومع اننا لا نستطيع الاجابة على هذا السؤال، فإن الصراع بين الإنسان والطبيعة لا يمكن تجنبه. وربما كان أفضل طريق لفهم هذا الصراع هو تحليل نجاح الإنسان كظاهرة طبيعية. وهذا الكتاب هو محاولة لوضع تطور الإنسانية في الإطار الطبيعي وبموجب وظائف الطبيعة وعملياتها. وهو محاولة للجمع بين معرفتنا بالإنسان كجزء من الطبيعة وكمجتمع انساني مما يكوّن نوعاً من اسلوب البحث الحيوي - الإجتماعي.

انها لمهمة شاقة جداً أن نحاول وصف وتحديد المعرفة الحيوية (البيولوجية) والمعرفة الإجتماعية (السوسيولوجية) حول تطور الإنسان. انني واع تماما لعجزي في هذا المجال، ولكن لدي في الوقت ذاته وعي عميق بأهمية هذا المشروع.

إن ولع الإنسان بالمعرفة ينتج عنه حصاد علمي اكثر دقة وخاصة في العلوم الطبيعية، حيث كان تقدم المعرفة سريعاً. وقد بدأ بعض علماء الطبيعة في تطبيق المعرفة البيولوجية لصياغة فلسفة حياة ومناقشة تطور الإنسان.

وعلماء الإجتماع، من ناحية ثانية، يترددون في الإبتعاد عن ميدانهم المضمون. والتوفيق بين النظريتين لا يخلو من الغموض والاجتناب بالرغم من حاجتنا المتزايدة الى صورة عامة لنمط تطور العالم. وإذا كان الجنس البشري هو الذي سيقود، فإنه يجب ان يكون قادراً على رؤية الإتجاه التقريبي الذي يسير فيه العالم، وما هي نتائج سلوكه الذاتي.

بحثاً عن العزاء والتشجيع، فقد قرأت "الصدفة والضرورة" من تأليف جاك مونود. وفي المقدمة، يتحدث مونود عن "الواجب الذي اصبح اكثر ضرورة الآن من اي وقت مضى، والذي يفرض على العلماء ان ينظروا الى مناهجهم في اطار اوسع من الثقافة المعاصرة، بهدف اغناء هذه الثقافة، ليس فقط بنتائج فنية هامة، بل ايضا بما يمكن ان يشعروا بانه افكار مهمة انسانيا تنبع من منطقة اختصاصهم. ان عبقرية النظرة الجديدة للاشياء (وعين العلم شابة دائما) انها تستطيع احياناً ان تلقي ضوءا جديداً على المشاكل القديمة."

من هنا فانني سأحاول ان ارسم صورة عامة لتطور العالم. وسيعتمد اسلوبي على البصيرة اكثر من البحث العلمي المجرد. وسوف استعمل، واجمع، وازاوج بين المعلومات، دون ان اصنع هذه الحقائق. مونود ايضا لجأ الى نفس هذا الأسلوب في بنائه لفلسفته الطبيعية لعلم الاحياء الحديث، يقول : "لم افعل اكثر من تلخيص ما يعتبر افكارا ثابتة في العلوم المعاصرة."

قراءة الفلسفة الطبيعية لمونود تقود الإنسان للتفكير في نفسه. ولا استطيع أن اطمح بالوصول الى اي شيء افضل لفلسفتي الاجتماعية التي تعتمد على البيولوجيا. فاذا كانت هذه الصورة العامة لتطور العالم تستطيع ان تظهر اين نحن، وربما اين نتجه، فهذا اكثر من كاف. واذا كان تقصيري واخطائي تدفعان الى المراجعة واستكمال النتائج فهذا افضل بكثير. ان هذا الكتاب يكون قد كتب عبثا اذا لم يشجع احدا ان يستكشف، ويحلل ويرسم خريطة اساليب السلوك الإنساني البديلة.

• أنظر (ص٤) من هذا العدد من المنتدى.

أخبار المنتدى ونشاطاته

● **مجلس امناء جديد للمنتدى**

خلال الاجتماع السنوي للهيئة العامة لمنتدى الفكر العربي تم انتخاب مجلس امناء جديد بالشكل التالي:

الرئيس :	سمو الأمير حسن بن طلال	
نواب الرئيس :	الاستاذ الأخضر الابراهيمي	(الجزائر)
	الاستاذ عبدالله بشارة	(الكويت)
	الاستاذ محمود رياض	(مصر)
الأمين العام :	الدكتور سعد الدين ابراهيم	(مصر)
الأعضاء :	الاستاذ الياس سابا	(لبنان)
	الدكتور اسامة الأنصاري	(سورية)
	الاستاذ أحمد بهاء الدين	(مصر)
	الاستاذ برهان الدجاني	(فلسطين)
	الدكتور خليل السالم	(الأردن)
	الدكتور خير الدين حسيب	(العراق)
	الاستاذ سعيد غباش	(الامارات)
	الدكتورة سعاد الصباح	(الكويت)
	الدكتور عبد السلام المجالي	(الأردن)
	الدكتور عبد العزيز حجازي	(مصر)
	الدكتور عبد المحسن زلزلة	(العراق)
	الدكتور علي فخرو	(البحرين)
	الدكتور علي عتيقة	(ليبيا)
	الاستاذة فاطمة الحبابي	(المغرب)
	الدكتور محي الدين صابر	(السودان)
	الدكتور محمد عمر بشير	(السودان)
	الدكتور محسن العيني	(اليمن)
	الاستاذ محمد مزالي	(تونس)
	الدكتور ناصر الدين الرشيد	(السعودية)
	الدكتور يوسف صايغ	(فلسطين)

● **ولجنة ادارة**

انتخب مجلس الأمناء لجنة جديدة للإدارة من الأعضاء التالية اسماؤهم:

الدكتور اسامة الأنصاري
الاستاذ برهان الدجاني
الدكتور خليل السالم (رئيساً)
الدكتورة سعاد الصباح
الدكتور سعد الدين ابراهيم (مقرراً)
الدكتور عبدالسلام المجالي

ندوة الأمن القومي العربي في العقد القادم

بمناسبة الاجتماع السنوي الثالث للهيئة العامة لمنتدى الفكر العربي عقدت يوم ٢١ نيسان/أبريل ١٩٨٦ ندوة **الأمن القومي العربي في العقد القادم**، وقد أعد ورقة العمل الأساسية لها **الدكتور علي الدين هلال**، (نصها الكامل في هذا العدد). وقد افتتح الاجتماع بخطاب شامل لسمو **الأمير حسن ولي العهد رئيس المنتدى** عالج فيه موضوع الأمن القومي، وقرر الحاضرون، بناء على اقتراح **الاستاذ محمود رياض** اعتباره ورقة عمل (النص الكامل تحت الاعداد للطبع). وقد استمر نقاش الموضوع طيلة اليوم. وسيصدر عن المنتدى قريباً كتاب واف يشتمل على خطاب الافتتاح ودراسة الدكتور علي الدين هلال وخلاصة المناقشات التي دارت حولها والنتائج التي تمخضت عنها.

● **الثقافة والتخطيط**

التقى سمو الأمير حسن ولي العهد رئيس المنتدى في ٢ نيسان/أبريل ١٩٨٦ بعدد من الفعاليات الثقافية الأردنية لمناقشة هموم وتطلعات القطاع الثقافي ومدى تلبية خطة التنمية الأردنية الجديدة لمتطلبات الواقع الثقافي. وحضر الاجتماع، الذي عقد في مقر منتدى الفكر العربي، ممثلون عن كل من: رابطة الكتاب الأردنيين، نادي أسرة القلم، رابطة الفنانين التشكيليين، رابطة الفنانين، المنتدى الثقافي - اربد، نادي احياء التراث الشعبي، رابطة الموسيقيين، والمنتدى الانساني، كما حضر اللقاء كل من وزير الاعلام والثقافة الأردني، ووزير التخطيط، ومدير عام مؤسسة الاذاعة والتلفزيون، ومدير دائرة الثقافة والدكتور سعد الدين ابراهيم أمين عام المنتدى. وقد نوقش في الإجتماع دور الدول في الثقافة وامكانيات التنسيق بين خطة التنمية وتطلعات المثقفين.

● **ندوة قانون الأحوال الشخصية العربي الموحد**

استضاف منتدى الفكر العربي بتاريخ ١ نيسان/ابريل ١٩٨٦ **نادي صاحبات الأعمال والمهن** في ندوة عن مشروع قانون الأحوال الشخصية العربي الموحد وحضرها **سماحة الشيخ عز الدين الخطيب** مفتي المملكة الأردنية الهاشمية. وناقشت الندوة ورقة عمل بعنوان أضواء على قانون الأحوال الشخصية الأردني اعداد **المحامي راغب محمد القاسم** وورقة عمل بعنوان حقوق المراة في قانون الأحوال الشخصية اعداد **المحامية رحاب شوكت القدومي**. وكان انعقاد الندوة في قاعة الاجتماعات في مركز الأمانة العامة للمنتدى.

● **محاضرة حول التنمية وسيناريوهات المستقبل العربي**

بدعوة من حكومة البحرين القى **الدكتور سعد الدين ابراهيم** الأمين العام للمنتدى محاضرة حول **"التنمية وسيناريوهات المستقبل العربي"** في المنامة يوم ١٤ نيسان/أبريل ١٩٨٦ استمع اليها عدد كبير من المثقفين والمسؤولين.

- ٢٣ -

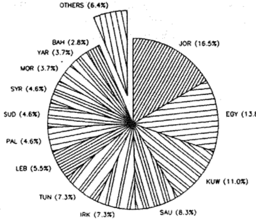
من ألاعيب الدكتور مهدي المنجرة

الدكتور مهدي المنجرة (المغرب) من أكثر أعضاء المنتدى خبرة بالمعلوماتية وغراماً بالحاسوب (الكمبيوتر). ومهاراته في استخدام الحاسوب معروفة.

ورغم انشغالاته المغربية والعربية والدولية، فقد وجد بعض الوقت يغازل فيه الكمبيوتر الخاص به، على حساب منتدى الفكر العربي، فأخرج هذه الالاعيب الطريفة حول توزيع العضوية على الأقطار العربية.

MEMBERSHIP OF ARAB THOUGHT FORUM (ATF)

TOTAL: 109 MEMBERS FROM 17 COUNTRIES

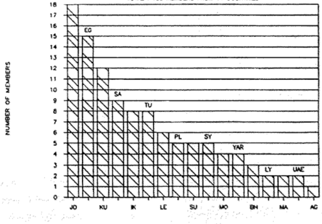


GEOGRAPHICAL DISTRIBUTION OF MEMBERSHIP

CODE	COUNTRY	NO. MEMBERS
JOR	JORDAN	18
EGY	EGYPT	15
KUW	KUWAIT	12
SAU	SAUDI ARABIA	9
IRK	IRAK	8
TUN	TUNISIA	8
LEB	LEBANON	6
PAL	PALESTINE	5
SUD	SUDAN	5
SYR	SYRIA	5
MOR	MOROCCO	4
YAR	YEMEN (A.R.)	4
BAH	BAHREIN	3
LYB	LYBIA	2
MAU	MAURITANIA	2
UAE	U.A.E	2
ALG	ALGERIA	1
TOTAL	17 COUNTRIES	109

MEMBERSHIP OF ARAB THOUGHT FORUM (ATF)

TOTAL : 109 MEMBERS FROM 17 COUNTRIES



وضربنا على آذانهم...

أ. كمال القيسي*

ألم يسمعوا قصة وطن قتلته غفلة حكامه وضياع أبنائه وجهل أمته. ألم يسمعوا بكوارثه التي أضحكت وأبكت المجانين. ألم يسمعوا بوطن ثراء نفوس أبنائه يضاهي ثراء أرضه ومياهه. ألم يسمعوا بوطن تراثه حصيد السماء وزهور العقول. عاش على أرضه أنبياء السماء وأولياء الأرض. ألم يسمعوا بكرم أهله في حب "الآخر" قبل العشير. ألم يسمعوا بشعب استباح حاضر وجوده ومستقبله من أجل سلامة قبائل الأمة ووحدتها. ألم يسمعوا بمجد أبنائه في حمل مشاعل الحرية والفكر. عقول سائحة مهاجرة، ونفوس عظيمة معذبة قتلها حب الانعتاق. تتعانق حكمة شيوخه مع رؤى أبنائه. لم يفسد حياتهم تنوع المعتقدات وجذور الأعراق. أوصلهم التعايش والتكافل عبر الزمن إلى تلاحم نفوسهم في حب الوطن والاستعداد التام لهدرها من أجله. كانت نفوسهم تتفاعل وتقترب وتتباعد وتتحد في إطار الالتزام بمصلحة الوطن. بهذا "عاشوا... وتعذبوا... وماتوا" عبر الأجيال.

وفي ليلة من ليالي زمن عقيم أغبر، غزا المغول الجدد "بغداد"، وأجروا فيها وفينا "ما لا عين رأت ولا أذن سمعت". أطلقوا علينا الوحوش الكاسرة والنفوس المريضة الخائبة لتدمر العمار والإنسان، ولتجعل الناس، كل الناس، هائمين في رحاب رعب يومي لا يعرف الحدود. قتلوا الأطفال والنساء والشيوخ، وأجبروا الناس على ترك مساكن ذكرياتهم وأحلامهم. ضاقت على الناس السبل، فهاجر خلق كثير داخل الوطن وخارجه، وضاعوا بين ذل الحاجات و ليالي الغربة. كل ذلك حدث ويحدث وأمراؤنا نيام، وما هم بنيام. نيام من فرط ذلهم ووهنهم وانتحار عقولهم.

ألم يسمعوا نحيب دم مظلوم يبحث عن سبب لهدره؟ ألم يروا بقايا أشلاء بشر مبعثرة على طرقات الكلاب. لم يكن لأصحابها ذنب سوى اضطرارهم الخروج من جحورهم لاصطياد لقمة من شجرة زقوم الحياة، أو التماس أمل ضائع. ألم يروا أعين يتامى غائرة أسكرها خراب بيوتهم وموت آبائهم. ألم يسمعوا بآباء باعوا قعر ضمائرهم من أجل غنى ظالم وجاه مغتصب تقطر منه دماء الشرفاء من الضعفاء والمساكين. ألم يسمعوا قصصا عن أعراض وطن تباع وتشترى كل يوم في أسواق دعارة الوافدين مع المغول. ألم يسمعوا ويروا أناسا شرفاء في نسبهم وضمائرهم أصفقت أبواب الأرض بوجوههم، وأخجل صراخهم من في السماء.

في كل يوم يذبح عشرات العراقيين، وتقطع جثثهم، وتضيع بعض من بقاياها في المزابل والأحراش، أو ترمى على الأنهار. في كل يوم تختطف وتغتصب امرأة، أو عذراء من بيت كريم. في كل يوم يضيع جزء من الحياء والمروءة، فيزداد احتضار العراق. في كل يوم يزيد عدد السجناء والسجانين. في كل يوم تقطع شرايين العراق. في كل يوم تنتهك سيادة الوطن وتسرق ثرواته من قبل محتل قاده زبد ماء آسن. في كل يوم تزداد ثروة سماسرة الأعراض الوطنية الذين أوجدهم المحتل من أجل تنظيف عفونة غزوه واحتلاله.

في كل يوم ينتفض عراقيون حاملين راية من رايات ثورة العشرين. وفي القريب سيكتظ العراق بحملة البيارق الساعين لإيصالها إلى ما قاتلت من أجله الشعوب الحرة الكريمة. فلنرفع البيارق والرايات على أرض الرافدين. وليعلم العالم أن من وراء ذلك عراقيون قتلهم حب الوطن عبر العصور.

يا أمراء العرب ألم تسمعوا أو تروا؟ وإن سمعتم ورأيتم، ألم تعوا؟

﴿*وكانوا قوما بورا*﴾ صدق الله العظيم. ■

* مستشار وخبير في الطاقة والنفط؛ عضو المنتدى.

الدور الثقافي لأمانة عمان الكبرى

يرتكز الدور الثقافي لأمانة عمان الكبرى على مضمون بيانَيْ الرسالة والرؤية الثقافية المعتمدين، اللذين ينصان على التزام الأمانة بتقديم خدمات ثقافية قائمة على التعاون بين المؤسسات الثقافية والفنية والأفراد المبدعين داخل عمان وفي عموم الأردن، للإسهام في إعداد جيل جديد من أبناء المدينة ينتسب لها حضارياً وجغرافياً. ويتم ذلك من خلال العمل الجاد على تقديم خدمات ثقافية متميزة تبرز الإبداع الأردني وتدعمه، وتكرسه رافداً للثقافة العربية، وصولاً إلى تحقيق منظومة من الأهداف تتلخص فيما يأتي:

- التعريف بالثقافة الوطنية الأردنية باعتبارها جزءًا من الثقافة العربية الإسلامية.
- تعميق الانتماء للوطن وتعزيز الارتباط به عبر الارتباط بالمدينة وقيمها وخصوصيتها.
- خدمة الثقافة العربية والإسهام في نهضة الإنسان العربي المعرفية والثقافية.
- تعميق مبدأ الحوار بين الثقافة العربية والثقافات الأجنبية، وتعزيز التفاعل بين الثقافة الوطنية والعربية.
- إبراز الدور الوطني والحضاري لأمانة عمان الكبرى في تنشيط الحركة الثقافية باعتبارهما عنصرين أساسيين في الحياة.

وحتى يتسنى لأمانة عمان الكبرى القيام بدورها الوطني في تفعيل الحركة الثقافية وتنشيطها، كان لا بد من توافر مجموعة من المتطلبات والعناصر الأساسية الضرورية للقيام بهذا الدور تتلخص فيما يأتي:

أولاً: البنية التحتية الضرورية لإقامة الأنشطة الثقافية على اختلاف أشكالها.

ثانياً: خطة ثقافية طويلة المدى تشتمل على برامج وأنشطة ثقافية قابلة للتطبيق، وكافية لإشغال المرافق المشار إليها في البند السابق.

ثالثاً: الاهتمام بالأنشطة الثقافية الخاصة بشرائح معينة من شرائح المجتمع الأردني، كالأطفال والمرأة...إلخ.

وإذا أردنا إلقاء المزيد من الضوء على الدور الحقيقي لأمانة عمان في تفعيل الحركة الثقافية الأردنية، فلا بدّ من الحديث بشكل أكثر تفصيلاً عما أنجزته الأمانة في ضوء العناصر والمتطلبات المذكورة آنفاً، حسب الموضوعات الآتية:

البنى التحتية، وتشمل ما يأتي:

- **المكتبة العامة (دائرة المكتبات العامة حالياً):** وقد تم افتتاحها عام ١٩٦٠، وتقع قرب المدرج الروماني، ويبلغ مسطح بنائها حوالي ١٧٥٠ م٢، في حين يبلغ حجم مقتنياتها من الكتب والمواد المعرفية ما يزيد على نصف مليون مادة. وقد أصبح لها الآن ما يقرب من ٣٤ فرعاً منتشرة في مختلف ضواحي عمان.
- **الدائرة الثقافية:** وقد تأسست عام ١٩٩٧، وتقع في شارع الأمير محمد، ويتكون الهيكل التنظيمي لها من: قسم الدراسات والنشر، وقسم الفنون، وبيت الفن، وفرقة الأمانة للفنون الشعبية، والديوان. وتتلخص مهمات الدائرة في إقامة الأنشطة الثقافية على اختلاف أشكالها وأنواعها بهدف إبراز الدور الوطني لأمانة عمان ضمن نظرة شمولية تنظر إلى الثقافة باعتبارها أحد عناصر الحياة الرئيسية، إضافة إلى وضع الأمانة في موقعها

الحقيقي راعية وداعمة للثقافة والمثقفين.

• **قاعة المدينة:** وتقع في منطقة رأس العين، وتبلغ مساحتها الإجمالية ٨٨٦٠ م٢ وتضم عدداً من المرافق الثقافية والقاعات متعددة الأغراض.

• **مركز زها الثقافي (للأطفال):** وقد تأسس عام ١٩٩٨، وتبلغ مساحته حوالي ٩٠٠٠ م٢، ويضم حديقة للأطفال، ومكتبة، ومركزاً تعليمياً، وقاعات متعدد الأغراض.

• **بيت الشعر الأردني:** وقد تأسس عام ٢٠٠٠، ويقع في منطقة رأس العين، ويضم مدرجاً للحفلات الفنية وحفلات الاستقبال، ومكتبة، ومسرحاً، وقاعات متعددة الأغراض.

• **حدائق الملكة رانيا العبدالله المعظمة:** وقد تم افتتاحها عام ٢٠٠٢، وتقع في منطقة القويسمة/حي أم نوارة في الجانب الشرقي من عمان، وتبلغ مساحتها حوالي ٢٦٠٠٠م٢، وتضم حدائق للأطفال، ومركزاً لثقافة الطفل، ومركزاً لتنمية وتأهيل المرأة، ومركزاً صحياً لطب الأسرة يشتمل على عيادة وصيدلية ومختبر.

• **بيت الفن الأردني:** وقد تم افتتاحه عام ٢٠٠٢، ويقع ضمن مبنى الدائرة الثقافية في شارع الأمير محمد، وتبلغ مساحته ٢٠٤ م٢، وهو أحد بيوتات عمان القديمة، وقد تم تخصيصه ليكون متحفاً للحياة التراثية الأردنية، ويضم عدة أجنحة هي: جناح الموسيقى، وجناح التمثيل، وجناح الفن التشكيلي، وجناح البيت الأردني، وجناح الحرف اليدوية.

• **شارع الثقافة:** ويقع في شارع ١١ آب في منطقة الشميساني، ويضم جداراً مائياً، وأحواض زهور وقنوات مياه، ومقاعد خشبية، ومناطق خضراء للتنزه، ومدرجاً لإقامة العروض الفنية التي تقام في الفضاء الطلق، وحوانيت لبيع الكتب والصحف والأشغال اليدوية... الخ، وجداراً بواجهة طولها ٢٨م تستخدم لعرض الأعمال الفنية والأشغال اليدوية ومنتجات الحرف التقليدية.

• **حدائق الحسين:** وتقع قرب مدينة الحسين الطبية، وتضم أربعة مرافق أساسية، هي:

١. القرية الثقافية، وتشتمل على مواقع للتنزه، وعدد من الحوانيت والمعارض والمحترفات الفنية والمطاعم والمقاهي التي تطل على مدينة عمان، إضافة إلى قسم يضم معروضات الجناح الأردني في معرض هانوفر في ألمانيا.

٢. الممر التاريخي، ويشتمل على جداريه فنية تجسد رحلة الأردن عبر التاريخ، وصولا إلى العصر الحديث. وقد قام بانجاز هذه الجدارية عدد من الفنانين الأردنيين من مختلف الاتجاهات والمدارس الفنية بواجهة يبلغ طولها ما يقرب من ٤٨٨ مترا.

٣. المدرج المكشوف، ويتسع لما يزيد على ٥٠٠٠ شخص، ويستخدم لإقامة الاحتفالات والمهرجانات الشعبية في المناسبات والأعياد.

٤. مبنى مؤسسة آل البيت، الذي يؤكد ريادة الهاشميين في الاهتمام بالحياة الإسلامية من جميع جوانبها: المعرفية والعلمية والأدبية والدينية والترفيهية. وقد روعي في تصميم هذا الصرح إظهار النمط المعماري الإسلامي.

• **الحدائق المرورية:** وتقع في منطقة تلاع العلي، وتشتمل على خمس حدائق تمثل نماذج لمدن صغيرة تحتوي على شوارع وشواخص مرورية وإشارات ضوئية ومركبات صغيرة يقودها الأطفال. وتهدف هذه الحدائق إلى توعية الأطفال حول قواعد المرور وأنظمة السير وطرق الوقاية من حوادث الطرق.

الأنشطة الثقافية:

في ضوء منظومة البنى التحتية التي تحدثنا عنها سابقاً، نستطيع أن نلخص الإنجازات الثقافية التي حققتها أمانة عمان في الفترة من ١٩٩٨ حتى ٢٠٠٥ فيما يأتي:

١- نشر الإنتاج الفكري الأردني ودعمه: قامت الأمانة بنشر ما يقرب من ٢٠٠ كتاب أردني ودعم نشر ما يقرب من ١٠٠ كتاب. كما قامت، عن طريق دائرة المكتبات والدائرة الثقافية، بشراء عدد من المؤلفات الأردنية التي قام أصحابها بطباعتها على نفقتهم الخاصة.

٢- إصدار مجلة **عمان**: وهي مجلة ثقافية شهرية تصدر عن أمانة عمان، ويشرف على إدارتها هيئة تحرير يرأسها الكاتب الأستاذ عبدالله حمدان، ويشارك في عضويتها كل من: الدكتور إبراهيم خليل، والأستاذة ليلى الأطرش، والأستاذ جريس سماوي، والأستاذ يحيى القيسي، والأستاذ موفق ملكاوي. وهي مجلة واسعة الانتشار تتضمن بين دفتيها مقالات وأبحاث جادة في مختلف الموضوعات الإبداعية والثقافية، مثل الشعر والقصة والدراسات النقدية والترجمات والنصوص النثرية والفنون التشكيلية.

٣- إقامة عدد من المهرجانات والعروض المسرحية والسينمائية ومعارض الفن التشكيلي: دأبت أمانة عمان خلال الفترة الواقعة ما بين عام ٢٠٠٠ وعام ٢٠٠٥ على إقامة عدد من المهرجانات الفنية والعروض المسرحية والسينمائية ومعارض الفن التشكيلي نذكر منها:

- مهرجان الفرق الفنية الشعبية (٢٠٠٠).
- إنتاج عدد من الأعمال المسرحية، بواقع عملين مسرحيين للكبار وعملين للأطفال في العام. وشراء عدد من العروض المسرحية التي أنتجتها جهات أخرى، مثل وزارة الثقافة أو نقابة الفنانين أو الفرق الخاصة أو المخرجين أنفسهم.
- إقامة عدد من معارض الفن التشكيلي، بواقع ثلاثين معرضًا في العام، إضافة إلى معرض "ربيع عمان" للفن التشكيلي، الذي يقام سنويًا برعاية ملكية سامية، وبالتعاون بين أمانة عمان ورابطة الفنانين التشكيليين.
- دعم المهرجانات الفنية والثقافية التي أقامتها وزارة الثقافة في الفترة من عام ٢٠٠٠ وحتى عام ٢٠٠٥، مثل: مهرجان أغنية الطفل، ومهرجان عمون، ومهرجان مسرح الطفل العربي، ومهرجان المسرح الأردني. وقد بلغت قيمة الدعم المقدم لهذه المهرجانات حوالي (٥٨٣٥٠) ديناراً.

٤- تنفيذ عدد من الجداريات الفنية في مناطق متعددة من عمان، حيث تم إنجاز جداريتين، الأولى بعنوان "ولادة" والثانية بعنوان " أرابيسك"، ما كان له أثر كبير في إعادة إنتاج المكان بصرياً، وبناء علاقة مباشرة مع المواطن العادي من خلال المشاهدة اليومية لهذه الجداريات.

٥- إقامة عدد من الندوات والدراسات البحثية والميدانية، حيث قامت الدائرة الثقافية في الأمانة في الفترة مابين ١٩٩٩ و ٢٠٠٠، من خلال قسم الدراسات والنشر فيها، بعقد عدد من الندوات والمحاضرات العامة والمتخصصة بهدف تبادل الخبرات والمعرفة بين مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الرسمية. وقد تم في الفترة المشار إليها عقد ما يقرب من ٨٤ ندوة عامة ومتخصصة، إضافة إلى إنجاز دراستين ميدانيتين بعنوان "الواقع الثقافي في مجتمع مدينة عمان، ٢٠٠٤"و "علاقة الجوار بين سكان الشقق في عمان، ٢٠٠٥".

٦- اعتماد الدائرة الثقافية في أمانة عمان مكتبًا رسميًا لجائزة الملك عبد الله الثاني بن الحسين للإبداع، وهي جائزة أردنية عربية. وقد تم اعتماد الجائزة للمرة الأولى عام ٢٠٠٢ بمناسبة إعلان عمان عاصمة الثقافة العربية. وتهدف الجائزة إلى تمييز الأعمال المهمة في الحقول التي تندرج في إطارها، وبناء تنافس خلاق بين المبدعين الأردنيين والعرب، ودعم المبدعين والعلماء وتوفير الحد المعقول لمتطلباتهم الإنسانية، والتعريف بالمتميزين منهم وإشهارهم، والتعريف بالمشاريع المتميزة في المدن العربية في مختلف الحقول. وتعقد هذه الجائزة مرة كل سنتين، وتتضمن حقول الفنون والآداب والعلوم والمدينة العربية وقضاياها. وتمنح للمستحقين تقديراً لعطائهم المتميز، وتشجع المبدعين الآخرين على تطوير أدائهم في مجالات الإبداع المتعددة.

٧- مشاركات فرقة أمانة عمان للفنون الشعبية في الأنشطة والمهرجانات الثقافية: شاركت فرقة أمانة عمان للفنون الشعبية والتراثية، التي تم إنشاؤها عام ١٩٩٠ بهدف إحياء التراث الأردني والمحافظة عليه، في الكثير من المهرجانات والفعاليات الثقافية والفنية المحلية والعربية والدولية التي لا يتسع المقام لحصرها. وقد كان لهذه المشاركات أثر كبير في التعريف بالتراث الأردني المتميز والترويج له، من خلال نقله إلى خارج حدود الوطن.

٨- إقامة الكثير من الأمسيات الشعرية: قامت الأمانة في الفترة ما بين ١٩٩٩ و ٢٠٠٠، من خلال الدائرة الثقافية وبيت الشعر الأردني، بإقامة الكثير من الأمسيات الشعرية الأردنية والعربية، التي كان لها أثر كبير في تفعيل الحركة الثقافية الأردنية وتنشيطها، إضافة إلى التعريف بأعمال بعض الشعراء الشباب والترويج لها.

٩- إقامة عدد من الحفلات الموسيقية: دأبت أمانة عمان منذ عام ٢٠٠٠، بالتعاون مع المراكز الثقافية التابعة لعدد من السفارات العربية والأجنبية، على إقامة حفلات موسيقية في مختلف مرافقها، في إطار بناء منظومة من التعاون والتبادل الثقافي مع مختلف شعوب العالم.

١٠- إقامة عدد من معارض الكتب الوطنية والدولية: دأبت أمانة عمان في الفترة الواقعة ما بين عام ١٩٩٩ وعام ٢٠٠٥، بالتعاون مع عدد من دور النشر والمؤسسات المعنية بالكتاب، مثل اتحاد الكتاب الأردنيين ورابطة الكتاب الأردنيين... إلخ، على إقامة عدد من معارض الكتب المحلية والدولية، بهدف نشر الوعي والثقافة وتشجيع الإقبال على الكتاب والترويج للكتاب الأردني. ونذكر من هذه المعارض: "معرض الكتاب الأردني الأول، ١٩٩٩"، و "معرض الكتاب الإيراني، ٢٠٠٠" و"معرض الكتاب الإسلامي، ٢٠٠١"، و"معرض عمان الدولي التاسع للكتاب، ٢٠٠٢"، و"معرض منشورات عمان، ٢٠٠٣"، ومعرض "مكتبة كل بيت ٢٠٠٤"، و"معرض عمان الدولي العاشر للكتاب ٢٠٠٤"، و"معرض عمان الدولي للمعلوماتية والكتاب، ٢٠٠٥".

الاهتمام بقطاع الطفولة:

دأبت أمانة عمان عبر مسيرتها الطويلة على تقديم كل وسائل الدعم والعناية لقطاع الطفولة، من خلال إنشاء البنى التحتية الخاصة بالأطفال واليافعين، مثل: الحدائق والملاعب والمراكز الثقافية المتطورة والمكتبات، إضافة إلى دعم الأنشطة الرياضية والثقافية والترفيهية الموجهة للأطفال واليافعين. كما شاركت الأمانة بشكل رئيسي في إعداد الخطة الوطنية الأردنية للطفولة، التي تهدف إلى توفير بيئة آمنة تنمي قدرات الطفل من خلال وضع

التشريعات والسياسات والبرامج التي تعنى بالنواحي الجسدية والعقلية والاجتماعية والانفعالية للطفل، وتتمثل البرامج الخدمية المجانية التي تقدمها الأمانة لقطاع الطفولة فيما يزيد على ٢٢ مكتبة عامة، و ١٣ مركزاً لتكنولوجيا المعلومات، و ١٣٠ حديقة عامة، وعدد من المراكز الثقافية التي تديرها الأمانة، مثل مركزها الثقافي وحدائق الملكة رانيا العبدالله، والكثير من المرافق الأخرى، مثل الملاعب والساحات العامة والمتنزهات.

وتنفق الأمانة سنوياً ما يقرب من ثمانية ملايين دينار على إنشاء البنى التحتية والبرامج المختصة، إسهاماً منها في التنمية الشاملة لقطاع الطفولة.

ومن الجدير بالذكر أن عمل أمانة في مجال خدمة قطاع الطفولة قد توسع منذ مؤتمر "الأطفال والمدينة، ٢٠٠٢"، الذي عقد تحت رعاية جلالة الملكة رانيا العبدالله المعظمة في عمان في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٢ بالتعاون بين أمانة عمان والمعهد العربي لإنماء المدن والبنك الدولي، والذي تلاه إطلاق الخطة الوطنية الأردنية للطفولة، ٢٠٠٤. فقد تبنت الأمانة مبادرات نوعية أسهمت في دعم البرامج الثقافية والرياضية، وإنشاء مرافق ترويحية مجانية للأطفال واليافعين، مثل: مبادرة "حماية الأطفال في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا"، التي انبثقت عن مؤتمر "الأطفال والمدينة"، ومبادرة "مدن صديقة للأطفال" التي تحتضنها منظمة اليونسيف المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة. وتهدف هذه المبادرات والمرافق إلى تطبيق اتفاقية حقوق الطفل التي صادق عليها الأردن عام ١٩٩١، وهي تمثل في مجملها إستراتيجية تهدف إلى تحسين نوعية معيشة الأطفال عبر الاعتراف الكامل بحقوقهم وواجباتهم.

الاهتمام بالمرأة الأردنية:

دأبت أمانة عمان طوال الأعوام السابقة على دعم قطاع المرأة وتنميته، من خلال العمل الجاد والدائم على تطوير المجتمع المحلي، وإقامة النشاطات والدورات الخاصة بهذه الشريحة الاجتماعية والتي تهدف إلى تحقيق تنمية اجتماعية وثقافية واقتصادية شاملة لقطاع المرأة، إضافة إلى تدريبها وتوعيتها ثقافياً وصحياً واجتماعياً. ومن البرامج والمرافق الخاصة بخدمة القطاع النسائي التي تتبناها أمانة عمان وتشرف عليها:

١- مركز تنمية المرأة الذي يقع في حدائق الملكة رانيا العبدالله: ويقوم بعقد دورات متخصصة لتدريب سيدات المجتمع المحلي في مجال الخياطة، والتريكو، والتطريز، والأشغال اليدوية، والإسعافات الأولية... وغيرها.

٢- الشبكة العالمية للمرأة في الإدارة المحلية: وتهدف إلى تطوير وتفعيل مشاركة المرأة في الإدارة المحلية وصنع القرار. ويشمل ذلك النساء المنتخبات والمعينات والإداريات والمهنيات اللواتي يعملن في مجالس الحكم المحلي. وهناك ثمانية مكاتب إقليمية على المستوى العالمي، ومنها المكتب الإقليمي للشبكة الدولية للمرأة في الإدارة المحلية الجيدة، ويشمل الدول العربية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وقد أنشىء في آذار/مارس ٢٠٠٥، واستضافته أمانة عمان الكبرى في مبناها الرئيسي.

٣- مجلة **تايكي**: وهي مجلة ثقافية فصلية تصدر عن أمانة عمان، وتعنى بشؤون المرأة القافية والإبداعية، وتلقي الضوء على تجربتها الحية في شتى المجالات، وتشرح دورها في نهضة المجتمع وتطوره. وقد بدأت هذه المجلة بالصدور منذ عام ١٩٩٨ بواقع أربعة أعداد في العام، وفي عام ٢٠٠٣ بدأت بالصدور بواقع ستة أعداد في العام. ■

قسيمة اشتراك
في المجلة وفي كتب المنتدى

أرجو قبول اشتراكي في : ☐ مجلّة المنتدى
☐ مجلّة المنتدى + إصدارات العام (الكتب)

الاســـم : ....

العنوان : ....

....

....

قيمة الاشتراك*: .... طريقة الدفع : ☐ نقداً

رقم الـ CVV2 : ....

بطاقة فيزا رقم : .... تاريخ انتهاء مدتها : ....

حوالة بنكية (صافي القيمة) ....

رقم الحساب : 0118/001769 - 8/610 (البنك العربي، فرع الشميساني؛ عمّان، الأردن)

التوقيع : ....

التاريخ : ....

تُملأ هذه القسيمةُ وتُرسلُ مع قيمة الاشتراك إلى العنوان الآتي :
منتدى الفكر العربي؛ ص.ب: (٩٢٥٤١٨)
عمّان ١١١٩٠؛ الأردنّ

*قيمة الاشتراك السنوي		المجلـــة	المجلة + الكتب
	داخل الأردن	للأفراد : (٢٠) عشرون ديناراً أردنياً للمؤسسات : (٤٠) أربعون ديناراً أردنياً	للأفراد : (٥٠) خمسون ديناراً أردنياً للمؤسسات : (١٠٠) مئة دينار أردني
	خارج الأردن	للأفراد : (٥٠) خمسون دولاراً أمريكياً للمؤسسات : (١٠٠) مئة دولار أمريكي	للأفراد : (١٥٠) مئة وخمسون دولاراً أمريكياً للمؤسسات : (٣٠٠) ثلاثمئة دولار أمريكي

اختتام السّنة الفضّيّة ٢٠٠٦

لمنتدى الفكر العربيّ





اللّهمّ بارك هذا البَيت!